هيئة تكريم العطاء المميز
تأسست ١٩٩٦ - علم وخبر ٥٣/أد/٢٠٠٠
العدد العاشر
إغتراب
آداب
علوم وصحة
حقوق وقانون
تكنولوجيا
تربية
إقتصاد
إجتماع وإنسانيات
مجلة معرفة وعطاء
www.OCHDD.org

مجلة معرفة وعطاء

(مجلة ثقافية علمية)

تصدرها هيئة تكريم العطاء المميّز كل ستة أشهر

العدد العاشر : كانون الثاني 2025

تعبّر المواد المنشورة في هذه المجلة عن آراء أصحابها و هي على مسؤوليتهم .

هيئة التحرير

تتكون هيئة تحرير مجلة " معرفة و عطاء " من تسعة أساتذة وخبراء في الشأن الثقافي العلمي الأكاديمي ، تُناط بهم المسؤوليات التالية :

- **وضع خطة العمل للمجلة مع الاشراف على تنظيم وتنفيذ الأمور الفنية .**
- **إقرار البحوث المعدة للنشر و إعتمادها .**
- **إدارة التقويم الدوري للمجلة من حيث الشكل و المضمون بهدف تطويرها .**
- **إقرار الإخراج الفني .**

تتوزع الهيئة الحالية على الشكل التالي :

1- رئيس التحرير : د. كاظم نور الدين

2-أمين التحرير : د. حسين ظاهر

3-التدقيق اللغوي : الأستاذ علي جوني

4- الشؤون المالية : الحاج حسيب عواضة

أعضاء هيئة التحرير

5- د. سلام شمس الدين

6-الأستاذ يوسف نصار

7-الأستاذ اسماعيل رمال

8-المهندس نبيل مكي

9- د. هدى فحص

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الإفتتاحية: د.كاظم نور الدين	4
تصويبات لغوية: د. عباس فتوني	6
ثقافات مؤدلجة هدفها المجتمع العربي: د. سمير حسن علوان (العراق)	22
الحب والعشق في كلام القدماء : د. ناهض قديح	25
الإرشاد الأسري ضرورة ملحّة: د. كاظم نور الدين	36
ألعابنا أجمل من ألعابكم: الأستاذ محمد قاسم قديح	51
الوحدة الوطنية تبقى رافعة إستقلال لبنان وتحصينه من إستهدافات الخارج : أ. د. محمد مراد	59
الربيع أيام زمان (قصة قصيرة): أ. شوقي مارتينوس	64
عمالة الأطفال، أزمة تتفاقم	66
دور الجمعيات الأهلية في معالجة نتائج الأزمات والحروب: د. نادين نور الدين	79
مختارات من أوصاف وأسماء (الدواهي – المصائب – الشدائد و متعلقاتها) : أ.علي سعيد توبة	116
دور الحروب في تدمير المعالم والكنوز الثقافية والحضارية : د. صالح زهر الدين	119
التاريخ وتحديات العولمة: أ. د. طارق شمس	145
La Paix; Justice et Liberte : د. عدنان نجيب الدين	169
العبور الى الدولة الديموقراطية: د. أمين صالح	171
الشبكة المدرسية، تطلّع جديد لتطوير عمل المؤسسات التعليمية : د. أسامة الإرناؤوط	177
دروس من الحياة (الجزء الثاني): د. حسين قديح	190
خلفية العدد تناقل ونقل الثقافة: د. غدير خليل حوماني	200

الدكتور كاظم نور الدين

إفتتاحية العدد العاشر

لقد بات واضحاً أننا أمام شكل جديد من التطور المجتمعي يُعتمد في نمط سيطرته ونفوذه على المعرفة، إذ تتعاظم مكانة صناعتها وأهميتها بوصفها الركيزة الأساسية في بناء الاقتصادات الحديثة، وتعزز قوة الأنشطة المعرفية لتتبوأ أكثر المفاصل حساسية وتأثيراً في منظومة الإنتاج الاجتماعي . لذا فقد عُدّت المعرفة أهم مظاهر القوة في عالم الغد، لما لها من دور فاعل ومؤثر في إعداد رأس المال البشري، وحسن الإستفادة منه في عملية التنمية البشرية المستدامة . وباتت تمثل إحدى الفرص الهامة للإنخراط في ميادين السبق التي ستفرز الشعوب والتي ستساهم في صياغة ملامح المستقبل...

وهكذا مع كل عدد من أعداد مجلة معرفة وعطاء التي تصدرها هيئة تكريم العطاء المميّز، نخطو خطوة جديدة نحو تحقيق رؤيتنا المتمثلة في نشر المعرفة، ونقلها للأجيال ،وتعزيز روح العطاء في مجتمعاتنا. هذه المجلة ليست مجرد صفحات إلكترونية، بل هي منبرٌ يهدف إلى استكشاف كل ميادين المعرفة، من العلوم والفنون إلى الأدب والفكر...

إننا نفخر بأن نقدم لكم في هذا العدد (العاشر) مجموعة متنوعة من المقالات والنصوص والدراسات التي تتناول أحدث المستجدات والأفكار في مختلف المجالات، وكشف ما هو مستور منها. ونسعى من خلالها إلى تحفيز التفكير النقدي والإبداعي، وتشجيع التفاعل الإيجابي بين القراء، سواء كانوا باحثين أو مهتمين (كافة الفئات المثقفة).

في هيئة تكريم العطاء المميّز، نؤمن بأن المعرفة ليست هدفًا في حد ذاتها، بل هي وسيلة لتحقيق التغيير الإيجابي في حياتنا وفي مجتمعاتنا، إذ أنها تعطي أهمية مقدّرة للمعلومة

والقدرات الإبداعية للأفراد، وتحقيق حرية التفكير وهذا يعني نشر الوعي وثقافة الإبداع و العدالة في توسيع العلم و المعرفة والخدمات في الحياة الاجتماعية.

ومن هذا المنطلق، نحن ملتزمون بالاستمرار في تقديم محتوى ثري وقيّم، يعزز من قوة الفكر، وينمّي روح العطاء لدى الأفراد. خاصة العطاء الثقافي بإعتبار أن الثقافة هي أحد أركان بناء المجتمعات، او هي فعليًا تُشكّل العمود الفقري والمعنوي للشعوب، وتشمل كافة الجوانب غير المادية والمتمثلة في القيم والأفكار والتقاليد وحب المعرفة، وغيرها من القضايا التي يختص بها مجتمعٌ واعٍ مدركٍ ومنظّمٍ عن غيره من المجتمعات اللامتحضرّة.

نتمنى أن تجدوا في هذا العدد ما يهمكم ويثري معارفكم. ودعونا نواصل معًا هذه الرحلة نحو المزيد من الإبداع والعطاء المتميّز.

شكرًا لكم على دعمكم الفكري المتمثل بالمادة التي تزودونا بها وتغني أعداد مجلتنا المستمرة.

الدكتور عباس فتوني

تصويبات لغوية

-1-

الخَطأُ أَنْ نَقولَ: *إِحْيوا* أَمْرَنا (*إِحْيوا*: بالهَمْزَةِ المَكسورةِ)

الصَّوابُ: *أَحْيوا* أَمْرَنا (*أَحْيوا*: بالهَمْزَةِ المَفتوحةِ)

*** -أَحْيوا*: فعلُ أَمرٍ ؛ ماضيه: "أَحْيا."**

تَكونُ الهَمزةُ في أَوَّلِ فِعلِ الأَمرِ هَمزَةَ قَطعٍ مَفتوحةً إِذا كان ماضيهِ رُباعِيًّا على وَزنِ "أَفْعَلَ"

نَحْو :

-أَرْسَلَ ، *أَرْسِلْ*

-أَكْبَرَ ، *أَكْبِرْ*

-أَكْرَمَ ، *أَكْرِمْ*

-أَعظَمَ ، *أَعظِم*

-أَنْعَمَ ، *أَنْعِمْ*

-أَقْبَلَ ، *أَقْبِلْ*

-أَطْلَقَ ، *أَطْلِقْ*

-أَسْلَمَ ، *أَسْلِمْ*

-أَعطى ، *أَعط*

-أَبْشِرْ* بخَيْرٍ*

-أَعْرِبِ* الجُمْلةَ الآتية*

-*أَكْرِمي* مَثْواهُ". (سورة يوسُف/ الآية21)

-*أَسْمِعْ* بِهِمْ و *أَبْصِرْ*". (سورة مريم الآية38)

-قال الشَّاعرُ أَبو الفَتح البُسْتِيُّ:

***أَحْسِنْ* إِلى النَّاسِ تَسْتَعبِدْ قلوبَهُمْ فطالَما اسْتَعبَدَ الإِنسانَ إِحسانُ.**

-2-

-الخَطَأُ أَنْ نَقُولَ :

باتُوا عَلى *قِلَلِ* الأَجْبالِ، تَحْرُسُهُمْ

غُلْبُ الرِّجالِ، فَلَمْ تَنْفَعْهُمُ *القِلَلُ.*

***(القِلَّةُ*: بِكَسْرِ القافِ)**

-الصَّوابُ :

باتُوا عَلى *قُلَلِ* الأَجْبالِ، تَحْرُسُهُمْ

غُلْبُ الرِّجالِ، فَلَمْ تَنْفَعْهُمُ *القُلَلُ.*

***(القُلَّةَ*: بِضَمِّ القافِ)**

*** -القِلَّةُ*: ضِدُّ الكَثْرَةِ. صِفَةُ الشَّيْءِ القَليلِ .**

الجَمْعُ: قِلَل.

نَحْو :

-المُؤْمِنُونَ *قِلَّةٌ.*

*** -قِلَّةٌ* مِنَ الطُّلَّابِ.**

*** -القُلَّةُ*: أَعلَى الرَّأْسِ والجَبَلِ وكُلِّ شَيْءٍ .**

الجَمْعُ: قُلَل.

نَحْو :

*** –قُلَّةُ* الجَبَلِ.**

*** –قُلَّةُ* الرَّأْسِ .**

–3–

الخَطأُ أَنْ نَقولَ: أَحَبَّ *اللهَ* مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا .

(اللهَ : بفَتحِ الآخِرِ)

الصَّوابُ: أَحَبَّ *اللهُ* مَنْ أَحَبَّ حُسَيْنًا .

(اللهُ: بضَمِّ الآخِرِ)

*** –اللهُ*: هُنا لَفْظُ الجَلالَةِ فاعلٌ مَرفوعٌ .**

ومَعنى الحديثِ :

أَنَّ اللهَ تعالى يُحِبُّ الَّذي أَحَبَّ الإمامَ الحُسَينَ (عليهِ السَّلامُ).

–يَجِبُ تأْخيرُ المَفعولِ في حالِ انْتِفاءِ الدَّلالةِ على فاعِلِيَّةِ أَحَدِهِما ومَفْعولِيَّةِ الآخَرِ.

نَحْو: ضَرَبَ *موسى* عيسى.

***موسى*: فاعلٌ مَرفوعٌ.**

–4–

الخَطأُ أَنْ نَقولَ: بَرَزَ إلى المَيْدانِ *مُصَلِّتًا* سَيْفَهُ .

(*المُصَلِّت*: بالصَّادِ المَفتوحةِ، واللَّامِ المُشَدَّدةِ)

الصَّوابُ: بَرَزَ إلى المَيْدانِ *مُصْلِتًا* سَيْفَهُ .

(*المُصْلِت*: بالصَّادِ السَّاكنةِ، واللَّامِ المُخَفَّفةِ)

- أَصْلَتَ الشَّيْءَ : أَبرَزَهُ.

-أَصْلَتَ السَّيْفَ: جَرَّدَهُ مِنْ غِمْدِهِ.

-مُصْلَت: اِسْمُ مَفعولٍ مِنَ الفِعلِ الرُّباعيّ: "أَصْلَتَ ."

-مُصْلِت: اِسْمُ فاعِلٍ .

نَحْو :

-عادَ سَيْفُ النَّقْدِ *مُصْلَتًا .*

-الدُّولارُ *مُصْلَتٌ* على رِقابِ المُواطِنينَ.

-باتَتْ لُقْمَةُ عَيْشِ المُواطِنِ سَيْفًا *مُصْلَتًا* على رَقَبَتِهِ.

-لا يوجَدُ فِعلُ *صَلَّتَ* في اللُّغَةِ العَربيَّةِ.

-5-

الخَطأُ أَنْ نَقولَ :

أَحِبَّايَ لو غَيرُ الحِمامِ أَصابَكُمْ

عَتِبْتُ وَلكِنْ ما على المَوتِ مَعتَبُ.

(*عَتِبَ*: بالتَّاءِ المَكسورةِ)

الصَّوابُ:

أَحِبَّايَ لو غَيرُ الحِمامِ أَصابَكُمْ

عَتَبْتُ وَلكِنْ ما على المَوتِ مَعتَبُ .

(*عَتَبَ*: بالتَّاءِ المَفتوحةِ)

* -عَتَبَ* عليه *يَعتُبُ* و *يَعتِبُ* عَتْبًا وعِتابًا: لامَهُ على مَكروهٍ فَعَلَه .

نَحْو:

* -عَتَبَ* علَى صَديقِه .

* -عَتَبَتِ* الأُمُّ على ابنَتِها .

-لا *تَعتِبْ* عَلَيْهِ لتَقصيرِهِ في السُّؤالِ عنك .

-6-

الخَطأُ أَنْ نَقولَ :

أَيْنَ الوُجوهُ الَّتي كانتْ مُنَعَّمَةً

مِنْ دونِها تُضْرَبُ الأَستارُ و *الكُلَلُ*؟

(*الكُلَلُ*: بِضَمِّ الكافِ)

الصَّوابُ:

أَيْنَ الوُجوهُ الَّتي كانتْ مُنَعَّمَةً

مِنْ دونِها تُضْرَبُ الأَستارُ و *الكِلَلُ*؟

(*الكِلَلُ*: بِكَسْرِ الكافِ)

* -الكِلَل*: مُفردُها الكِلَّة، أَيْ: سترٌ رقيقٌ، أَو غِطاءٌ رقيقٌ يُخاطُ كالبيتِ، يُتَّقى به مِنَ البَعوضِ أَو البَرغش، ويُعرَفُ أَحيانًا "بِالنَّاموسيَّة ."

نَحْو :

هَلْ عَهِدْنا الشَّمْسَ تَعتادُ *الكِلَلْ*

أَمْ شَهِدْنا البَدرَ يَجْتابُ الحُلَلْ؟

* -الكُلَل*: مُفردُها: الكُلَّة، أَي :

-تأْخيرٌ أَو تأَخُّرٌ .

-قِطعةٌ مُستديرةٌ مِنْ حَديدٍ أَو نَحوِهِ، تُوضَعُ في فُوهَةِ المِدفَعِ ويُرمى بها مِنْها .

-كُرَةٌ صَغيرةٌ بحَجمِ البُندُقَةِ مِنْ زُجاجٍ أَو غَيرِهِ، يَلعَبُ بها الأَولادُ .

نَحْو: لَعِبَ الأَولادُ *بِالكُلَلِ. *

-7-

الخَطَأُ أَنْ نَقولَ: الرَّدُّ آتٍ لا *مَحالَ.*

(*مَحال*: مِنْ دونِ التَّاءِ المَرْبوطَةِ)

الصَّوابُ: الرَّدُّ آتٍ لا *مَحالَةَ.*

(*مَحالَة*: بِالتَّاءِ المَرْبوطَةِ)

-لا *مَحالَةَ*: لا بُدَّ، لا رَيْبَ.

نَحْو:

-المَوْتُ آتٍ لا *مَحالَةَ .*

-لا *مَحالَةَ* مِنْ عِقابِهِ.

-أَيْقَنْتُ أَنِّي، لا *مَحالَةَ*،

حَيْثُ صارَ القَوْمُ صائِر.

-أَلا كُلُّ شَيْءٍ، ما خَلا اللهَ، باطِلُ

وكُلُّ نَعيمٍ، لا *مَحالَةَ*، زائِلُ.

*** -المَحال :***

-البَكَرَةُ العَظيمَةُ .

-نَوْعٌ مِنَ الحَلْيِ .

-الحِذْقُ، المَهارَةُ .

-8-

الخَطأُ أَنْ نَقولَ: هَذِهِ *رُفاةُ* الفَقيدِ .

(*رُفاةُ*: بالتَّاءِ المَربوطةِ)

الصَّوابُ: هَذا *رُفاتُ* الفَقيدِ .

(*رُفات*: بالتَّاءِ المَفتوحةِ)

الرُّفاتُ: مُفْرَدٌ مُذَكَّرٌ ، وليس جَمْعًا مُؤَنَّثًا .

فِعلُهُ: "رَفَتَ رَفْتًا"؛ وَهُوَ :

أ – الحُطامُ .

ب – كُلُّ ما تَكَسَّرَ وبَلِيَ مِنْ عَظْمٍ أَو غَيرِهِ .

نَحْو:

* –رُفاتُ* أَمواتٍ .

* –رُفاتُ* الأَثاثِ.

* –رُفاتُ* الطَّائِرةِ.

–حَمَلَ *رُفاتَ* المَيْتِ.

–أَحْيا *رُفاتَ* المَكارِمِ.

–تَحَوَّلَتْ عِظامُهُ إِلى *رُفاتٍ.*

–نُقِلَ *رُفاتُ* الفَقيدِ إِلى مَسْقَطِ رأْسِهِ.

" –أَإِذا كُنَّا عِظامًا و *رُفاتًا*". (الإِسراء/٤٩)

الرُّفاةُ: جَمْعُ "الرَّافي"؛ وهو الَّذي يَرفو الثَّوبَ؛ أَيْ يُصلِحُهُ ويَسُدُّ خَرْقَهُ .

–9–

الخَطأُ أَنْ نَقولَ: قَدْ يُعقَدُ اللِّقاءُ في شَهْرِ *آبِ* المُقْبِلِ .

(*آبِ*: بِكَسرِ الباءِ)

الصَّوابُ: قَدْ يُعقَدُ اللِّقاءُ في شَهْرِ *آبَ* المُقْبِلِ .

(*آبَ*: بِفَتحِ الباءِ)

* –آبُ*: هُوَ اسْمُ الشَّهرِ الثَّامِنِ مِنَ السَّنةِ الشَّمسيَّةِ .

أَيَّامُهُ واحِدٌ وثَلاثونَ يَومًا .

وهُوَ مَمنوعٌ مِنَ الصَّرفِ .

نَحْو :

–شَهْرُ *آبَ* هُوَ الشَّهرُ الأَكثَرُ حَرارَةً في السَّنَةِ .

* –آبُ* يَعني الثَّمَرَ النَّاضِجَ .

–شَهْرُ *آبَ* هُوَ شَهْرُ جَمْعِ الغِلالِ.

–سُجِّلَتِ المُقابَلَةُ في شَهْرِ *آبَ* الماضي .

–اليَومُ التَّاسِعَ عَشَرَ مِنْ شَهْرِ *آبَ* هُوَ اليَومُ العالَمِيُّ لِلعَمَلِ الإِنسانِيِّ .

–خَوضُ آخِرِ مَعارِكِ تأْليفِ الحُكومَةِ تَحتَ وَهْجِ *آبَ* اللَّهَّابِ .

–الرَّابِعُ مِنْ *آبَ* المُقْبِلِ يَومُ حِدادٍ وَطَنِيٍّ.

–10–

الخَطأُ أَنْ نَقولَ: *أَزَفَ* الوَقتُ.

(*أَزَفَ*: بِفَتْحِ الزَّايِ)

الصَّوابُ: *أَزِفَ* الوَقتُ.

(*أَزِفَ*: بِكَسْرِ الزَّايِ)

* –أَزِفَ*: دَنا. قَرُبَ .

نَحْو:

* –أَزِفَ* المَوْعِدُ.

* –أَزِفَ* الرَّحيلُ.

" –أَزِفَتِ الآزِفَةُ". (النَّجْم/٥٧)

–وشَمِّرْ لِلتَّرَحُّلِ بِاجْتِهادٍ

فَقَدْ *أَزِفَ* التَّرَحُّلُ والمَسيرُ.

الخَطأُ أَنْ نَقولَ :

* لِكُلِّ* شَيْءٍ آفَةٌ مِنْ جِنْسِهِ

حَتَّى الحَديدُ سَطا عَلَيْهِ المِبْرَدُ .

الصَّوابُ:

* ولِكُلِّ* شَيْءٍ آفَةٌ مِنْ جِنْسِهِ

حَتَّى الحَديدُ سَطا عَلَيْهِ المِبْرَدُ .

–نُظِمَ هَذا البَيْتُ الشِّعرِيُّ عَلى بَحرِ الكامِلِ؛ وقَدْ نُشِرَ عَلى بَعْضِ وَسائِلِ التَّواصُلِ الاجتِماعِيِّ بِحَذفِ "الواو" مِنْ أَوَّلِ الصَّدْرِ، ما جَعَلَهُ مُخْتَلَّ الوَزْنِ، لِذا اقتَضى التَّصحيحَ.

-11-

الخَطأُ أَنْ نَقولَ: لَوْلا *الوَزيرَيْنِ* لَكانتِ الحُكومةُ غائِبةً .

(*الوَزيرَيْنِ*: منصوبٌ أَو مَجرورٌ بَعْدَ "لَوْلا)

الصَّوابُ: لَوْلا *الوَزيرانِ* لَكانتِ الحُكومةُ غائِبةً .

(*الوَزيرانِ*: مَرفوعٌ بَعْدَ "لَوْلا)

–لَوْلا: أَصْلُها "لَوْ"، رُكِّبَتْ مَعَ "لا ".

إِذا دَخَلَتْ على الجُملةِ الاسميَّةِ فهيَ حَرْفُ شَرْطٍ غيرُ جازِمٍ، ولا بُدَّ لَه مِنْ جَوابٍ؛ ويَدُلُّ على امْتِناعِ شَيْءٍ لِوُجودِ غَيرِهِ.

تَكْثُرُ "اللَّامُ" الرَّابطةُ في جَوابِ "لَوْلا"، ما لَمْ يَكُنِ الجَوابُ مَنْفِيًّا "بلَمْ."

ويكونُ الاسْمُ بَعْدَ "لَوْلا" مَرفوعًا على أَنَّهُ مُبتدَأٌ، وخَبَرُهُ مَحذوفٌ وُجوبًا، تَقديرُهُ: "مَوجودٌ."

نَحْو :

-لَوْلا *الأَمَلُ* لَهَلَكَ النَّاسُ .

-لَوْلا *الماءُ* لَهَلَكَ الزَّرعُ .

-لَوْلا *العِلْمُ* لَسادَ الجَهْلُ .

-لَوْلا *القُرآنُ* لَضاعَتِ اللُّغةُ العَرَبِيَّةُ.

" -قُلْ ما يَعْبَأُ بِكُمْ رَبّي لَوْلا *دُعاؤُكُمْ*". (الفُرقان/77)

-قال الشَّاعرُ جَريرٌ في رِثاءِ زَوْجِهِ :

لَوْلا *الحَياءُ* لَهاجَني اسْتِعْبارُ

ولَزُرْتُ قَبرَكِ، والحَبيبُ يُزارُ.

-12-

الخَطَأُ أَنْ نَقولَ: لَقَدْ *هَزُلَتْ .*

(*هَزُلَتْ*: بِالزَّايِ المَضمومَةِ)

الصَّوابُ: لَقَدْ *هَزَلَتْ .*

(*هَزَلَتْ*: بِالزَّايِ المَفتوحَةِ،

أَوْ: *هُزِلَتْ*: بِضَمِّ الهاءِ، وكَسْرِ الزَّايِ)

*** -هَزَلَ*: ضَعُفَ ونَحُفَ**

نَحْو :

-هَزَلَ* القَوْمُ

*** -هَزَلَهُمُ* الزَّمانُ**

*** -هَزَلَ* المَريضُ**

*** -هَزَلَ* بَعْدَ المَرَضِ**

* -هَزَلَهُ* السَّهَرُ

* -هَزَلَتْ* حالُهُ

* -هَزَلَتِ* الدَّابَّةُ

-قَلَّتِ المَراعي *فهَزَلَتِ* الأَبقارُ

* -هَزَلَ* الرَّجُلُ: افْتَقَرَ.

* -هَزِلَ*: مَزَحَ؛ لَمْ يَجِدَّ

نَحْو :

* -هَزِلَ* في الأَمْرِ

* -هَزِلَ* في كَلامِهِ

* -هَزِلَ* في اللَّعِبِ.

-13-

الخَطأُ أَنْ نَقولَ: شُهودُ *عَيانٍ

(*عَيان*: بالعَيْنِ المَفتوحةِ)

الصَّوابُ: شُهودُ *عِيانٍ

(*عِيان*: بالعَيْنِ المَكسورةِ)

-عاينَهُ مُعايَنةً *وعِيانًا*: رآهُ بعَيْنِه.

نَحْو:

* -العِيانُ* مَصدَرُ الفِعلِ الرُّباعِيّ "عايَنَ.

-شاهِدُ *عِيانٍ*: أَيْ رَأَى الحادِثةَ وشَهِدَها .

-باتَ هَذا الأَمرُ واضِحًا *لِلْعِيانِ

-اِسْتَنَدَ إِلى شُهودِ *عِيانٍ.*

-14-

الخَطأُ أَنْ نَقولَ: لَهُ في الحَرْبِ *مَرْتُبَةٌ* تُهابُ.

(*المَرْتُبَة*: بِضَمِّ التَّاءِ)

الصَّوابُ: لَهُ في الحَرْبِ *مَرْتَبَةٌ* تُهابُ.

(*المَرْتَبَة*: بِفَتْحِ التَّاءِ)

*** -المَرْتَبَة*: الرُّتْبَة. المَكانة. المَنْزِلَة. المَقام. مَقامٌ عالٍ . المَنْزِلَةُ العالِيةُ .**

نَحْو :

-هُوَ في *المَرْتَبَةِ* الأُولى.

-حَصَلَ على *مَرْتَبَةِ* الشَّرَفِ.

*** -مَرْتَبَةٌ* اجتِماعيَّةٌ.**

-اِحْتَلَّ *مَرْتَبَةً* عالِيَةً.

-جَعَلَهُ في *مَرْتَبَتِهِ.*

*** -مَرْتَبَةُ* الآحادِ.**

-15-

الخَطأُ أَنْ نَقولَ: المَطارُ يُعلِنُ تَأْخيرَ بَعضِ *الرَّحَلاتِ*

(*رَحَلات*: بالرَّاءِ المَفتوحةِ، والحاءِ المَفتوحةِ)

الصَّوابُ: المَطارُ يُعلِنُ تَأْخيرَ بَعضِ *الرِّحْلاتِ*

(*رِحْلات*: بالرَّاءِ المَكسورةِ، والحاءِ السَّاكِنةِ)

-إذا أَرَدْنا أَنْ نَجْمَعَ اسْمًا على وَزْنِ "فِعْلَة" جَمْعَ مُؤَنَّثٍ سالِمًا، فإِنَّ فاءَهُ المَكسورةَ لا تَتَغَيَّرُ حَرَكَتُها .

نَحْو :

-تُنَظِّمُ الخُطوطُ الجَوِّيَّةُ *رِحْلاتٍ* يَومِيَّةً.

-تَحدَّثَ عَنْ *رِحْلاتِهِ* إلى بِلادٍ مُختلِفةٍ.

-السُّودانُ يَسْتَثْني *رِحْلاتِ* الإِجْلاءِ .

-رِحْلَة: جَمعُها *رِحْلات

-أَدَبُ *الرِّحْلاتِ

-أَسْدى إليهِ *خِدْماتٍ* جَليلَةً.

-خِدْمة: جَمْعُها *خِدْمات

-شَكَرَهُ على *خِدْماتِهِ.*

-16-

الخَطأُ أَنْ نَقولَ :

*** إذا سَيِّدٌ مِنَّا ماتَ قامَ سَيِّدٌ ***

قَؤولٌ لِما قالَ الكِرامُ فَعولُ.

(*إذا سَيِّدٌ مِنَّا ماتَ قامَ سَيِّدٌ*،

أَوْ: *إِنْ ماتَ مِنَّا سَيِّدٌ قامَ سَيِّدٌ :*

مُخْتَلُّ الوَزْنِ)

الصَّوابُ :

*** إذا ماتَ مِنَّا سَيِّدٌ قامَ سَيِّدٌ ***

قَؤولٌ لِما قالَ الكِرامُ فَعولُ.

(*إذا ماتَ مِنَّا سَيِّدٌ قامَ سَيِّدٌ*،
أَوْ: *وإِنْ ماتَ مِنَّا سَيِّدٌ قامَ سَيِّدٌ*،
أَوْ: *إِذا سَيِّدٌ مِنَّا مَضى قامَ سَيِّدٌ*،
أَوْ: *إِذا سَيِّدٌ مِنَّا خَلا قامَ سَيِّدٌ*،
أَوْ: *وإِنْ سَيِّدٌ مِنَّا خَلا قامَ سَيِّدٌ :*
مُسْتَقيمُ الوَزْنِ)

-نُظِمَ هذا البَيْتُ الشِّعرِيُّ عَلى بَحرِ الطَّويلِ؛ وتَفْعيلاتُهُ: فَعولُنْ مَفاعيلُنْ فَعولُنْ مَفاعِلُنْ؛ ويَجوزُ في فَعولُنْ: فَعولُ .

وقَدْ نُشِرَ عَلى بَعْضِ مَواقِعِ التَّواصُلِ
الاجْتِماعِيِّ وصَدرُهُ مُخْتَلُّ الوَزْنِ، لِذا
اقْتَضى تَصحيحَهُ .

-17-

الخَطأُ أَنْ نَقولَ: وُضِعَتِ المُسْتَشْفَياتُ عَلى *أَهِبَّةِ* الاسْتِعْدادِ .
(*الأَهِبَّة*: بِفَتْحِ الهَمْزَةِ، وكَسْرِ الهاءِ أَوْ ضَمِّها، وتَشْديدِ الباءِ المَفْتوحَةِ)
الصَّوابُ: وُضِعَتِ المُسْتَشْفَياتُ عَلى *أُهْبَةِ* الاسْتِعْدادِ.
(*الأُهْبَة*: بِضَمِّ الهَمْزَةِ، وتَسْكينِ الهاءِ، وتَخْفيفِ الباءِ المَفْتوحَةِ)

* -الأُهْبَةُ*: العُدَّةُ، الاسْتِعدادُ .
الجَمْعُ: أُهَبٌ .
نَحْو:
-أَخَذَ لِلْأَمْرِ *أُهْبَتَهُ.*
-أَخَذَ *أُهْبَتَهُ* لِلسَّفَرِ.

-الطَّائِرَةُ عَلى *أُهْبَةِ* الإِقْلاعِ.

-الجَيْشُ عَلى *أُهْبَةِ* الحَرْبِ .

-قَدْ أَغْضَبوكُمْ فاغْضَبوا وتَأَهَّبوا

لِلْحَرْبِ *أُهْبَةَ* ثائِرٍ غَضْبانِ .

-18-

الخَطأُ أَنْ نَقولَ: يَوْمُ *المَنبَرِ* العالَمِيُّ.

(*المَنْبَر*: بِفَتحِ الميمِ)

الصَّوابُ: يَوْمُ *المِنبَرِ* العالَمِيُّ .

(*المِنْبَر*: بِكَسرِ الميمِ)

*** -المِنْبَر*: مَحَلٌّ مُرتَفِعٌ يَعتَليهِ الخَطيبُ فيُكلِّمُ منه الجَمْعَ .**

الجَمع: مَنابِرُ .

نَحْو :

-اِرتَقى *المِنْبَرَ . *

-هُوَ فارِسُ *المِنْبَرِ.*

-أُعلِنُ مِن هذا *المِنبَرِ* أَنَّ الفيلَ سَقَطَ مِنَ الشَّجرةِ.

الإعلامي د. سمير حسن علوان(د. سمير السعد)

ثقافات مؤدلجة خبيثه هدفها المجتمع العربي

تشهد المجتمعات العربية في السنوات الأخيرة تحولات جذرية على مستوى الثقافة والقيم الاجتماعية. هذه التحولات، التي تبدو ظاهريًا كنتيجة للعولمة والانفتاح على العالم، تخفي وراءها أجندات خبيثة تهدف إلى تمزيق النسيج الاجتماعي والأخلاقي. ومع انتشار وسائل التواصل الاجتماعي والفضائيات، أصبحت الأفكار والتوجهات الدخيلة أكثر تأثيرًا وسهولة في الوصول إلى كل بيت عربي.

أحد أبرز الأهداف التي تسعى هذه الأجندات لتحقيقها هو إضعاف القيم الأخلاقية التقليدية التي طالما كانت ركيزة أساسية في المجتمعات العربية. ويتجلى ذلك في الترويج لقيم جديدة تتعارض مع القيم الأسرية والاجتماعية التي نشأت عليها الأجيال. هذه القيم الجديدة غالبًا ما تُبَثُّ بشكل مباشر أو غير مباشر من خلال الإعلام وبرامج الترفيه، التي أصبحت تركز بشكل مفرط على الفردية والاستهلاك المادي، في مقابل تقليل قيمة الجماعة والتعاون الأسري.

حيث يلعب الإعلام والمنصات الرقمية دورًا محوريًا في نشر هذه السموم الثقافية. فمعظم المحتوى الذي يُبثُّ اليوم، سواءً عبر الفضائيات أو الإنترنت، يهدف إلى إضعاف القيم الدينية والاجتماعية، وتشويه صورة الإنسان العربي. هذا الأمر لا يقتصر فقط على المحتوى الترفيهي، بل يشمل أيضًا الأخبار والتقارير التي غالبًا ما تتبنى مواقف منحازة تعزز الانقسامات داخل المجتمع.

علما أن الشباب العربي هم الفئة الأكثر تأثرًا بهذه الأجندات. فعلى الرغم من أن البعض قد يعتبر الانفتاح على العالم أمرًا إيجابيًا، إلا أن ذلك يأتي غالبًا على حساب الهوية والقيم

الأصيلة. الشباب، الذين يتعرضون لضغوط كبيرة من وسائل الإعلام والمجتمع الرقمي، يجدون أنفسهم في حالة من التناقض بين ما تربوا عليه وبين ما يُعرض عليهم على أنه "العصري" و"المتقدم."

من الصعب إنكار أن هذه الأجندات قد حققت جزءًا من أهدافها في بعض المجتمعات العربية. إلا أن هناك وعيًا متزايدًا بين أفراد هذه المجتمعات حول خطر هذه التحولات. فالكثير من الناس بدأوا في إدراك حقيقة ما يُبثُّ لهم، وبدأوا في البحث عن طرق للحفاظ على هويتهم وقيمهم.

المستفيدون من الأجندات الخبيثة التي تهدف إلى تمزيق النسيج الاجتماعي والأخلاقي في المجتمعات العربية يمكن تقسيمهم إلى عدة فئات، كل منها لها أهدافها ودوافعها الخاصة .

حيث تسعى بعض القوى الخارجية إلى إضعاف المجتمعات العربية من خلال تقويض وحدتها وتماسكها الاجتماعي. يهدف ذلك إلى تسهيل السيطرة على هذه المجتمعات، سواءً عبر التدخل المباشر أو من خلال فرض سياسات معينة تخدم مصالح تلك القوى.

كذلك تستفيد الشركات العالمية من إضعاف القيم التقليدية لصالح نشر ثقافة استهلاكية تعتمد على الفردية والمادية. هذه الشركات تسعى لخلق أسواق جديدة من خلال الترويج لأنماط حياة تركز على الاستهلاك والمتعة الفورية، وهو ما يتعارض مع القيم المجتمعية التقليدية التي تدعو إلى الاعتدال والاهتمام بالأسرة.

ايضا بعض الأنظمة السياسية قد تجد في نشر الفوضى الاجتماعية وسيلة لتحويل الانتباه عن قضايا أكثر إلحاحًا مثل الفساد أو القمع. عبر خلق صراعات داخلية، تستطيع هذه الأنظمة السيطرة على الشعوب وتجنب المساءلة.

مع العلم هناك مجموعات داخلية وخارجية تسعى لتحقيق مكاسب شخصية أو أيديولوجية من خلال زعزعة استقرار المجتمعات العربية. قد تكون هذه المجموعات دينية أو عقائدية متطرفة تسعى إلى فرض رؤيتها للعالم بأي ثمن.

كذلك وسائل الإعلام والمحتوى الترفيهي الذي يركز على الجدل والإثارة يمكن أن يكون له دور كبير في نشر هذه الأجندات. هذه الوسائل تسعى غالبًا لجذب أكبر عدد من المشاهدين، حتى لو كان ذلك على حساب القيم الأخلاقية والاجتماعية.

بالتالي، فإن المستفيدين من هذه الأجندات الخبيثة هم أولئك الذين يسعون لتحقيق مكاسب سياسية، اقتصادية، أو اجتماعية على حساب تماسك واستقرار المجتمعات العربية.

لا يمكن إنكار أن هناك تحديات كبيرة تواجه المجتمعات العربية في الوقت الراهن، إلا أن الوعي المتزايد بين الأفراد والمؤسسات قد يكون الخطوة الأولى نحو مواجهة هذه الأجندات الخبيثة. وعلى المجتمع العربي أن يكون أكثر انتباهًا وحذرًا من أي محاولات تهدف إلى تمزيق نسيجه الاجتماعي والأخلاقي، وأن يعمل بجد للحفاظ على قيمه وتقاليده التي شكلت هويته على مر العصور.

الدكتور ناهض قديح

الحب والعشق في كلام القدماء

مقدمة:

الحب حالة شعورية زود الله تعالى الإنسان بها منذ خلقه ووجوده على هذه الأرض. وهو ببساطة ميل شخص إلى شخص، كحب الولد لأمه وأبيه وإخوانه وأخواته، أو حب شخص لرفيقه أو لمعلمه، أو أي إنسان آخر. وقد يكون الحب لمكان مثلاً لمدينة ما أو موقع ما ألخ... أما الحب المقصود هنا فهو ميل ذكر لأنثى أو أنثى لذكر، شاب لصبية، رجل لإمرأة والعكس، أي علاقة رومانسية بين محبين، ووجود مشاعر وأحاسيس داخل كل منهما تشدهما لبعضهما البعض.

والعشق أيضاً هو حب، يبدأ بالنظر كالحريق الذي يبدأ بالشرر، لكنه في مرتبة ومرحلة أعلى من الحب؛ حيث تخطاه وتقدم عنه درجات ودرجات، حتى قيل أن هذا الحب ليصل إلى العشق يمر بعدة مراحل هي: الهوى، الصبوة، الشغف، الوجد، الكلف، العشق الذي هو عمى الحس عن إدراك عيوب المحبوب؛ لذلك هو قوة غريزية تسري من دون تدخل عقلي، لتنجذب إلى شخص ما.

سنتناول هذا الموضوع من خلال العناوين التالية:

1- العشق الإلهي:

أ- التمييز بين العشق موضوعنا هنا والعشق الإلهي.

ب-أمراء العشق الإلهي.

ج- أميرات العشق الإلهي.

2- المراحل التي يمر بها الحب.

3- الحب والعشق في كلام القدماء:

أ- إبن القيم الجوزية.

ب–ليلى العامرية.

ج– إبن سينا.

د– القاضي محمد بن سليمان النوقاتي.

هـ–ثمامة بن الأشرس.

و– الجاحظ.

ز– عبد بني الحسحاس.

ح– أبو العالية الشامي.

ط–ذو الرياستين.

ي–الفتح بن خاقان.

ك–عبدالله بن عبيدة الريحاني.

ل– عمر بن أبي ربيعة.

م– إبن الرومي.

ن– إبن حزم الأندلسي.

ونشير هنا إلى أننا رجعنا إلى كتاب: الأبشهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق وتقديم عبدالله أنيس الطباع، دار القلم، لبنان، بيروت. وإلى دراسة نور حسين، تعريف العشق، الموقع الإلكتروني: www.mawdoo3.com تحديث 858، تاريخ 19 نيسان 2022، وإلى بعض المواقع الإلكترونية لترجمة الأعلام وأخذ النصوص.

1– العشق الإلهي:

أ– التمييز بين العشق موضوعنا هنا والعشق الإلهي:

من الضروري الإشارة إلى أن هناك فرقاً بين الحب والعشق العادي المنتشر بين الناس، والعشق الإلهي الذي يطال الخاصة ممن توصلوا إلى حب الكمال وطلبه، والكمال هو الله سبحانه وتعالى. أي أن يذوب الإنسان في حب الخالق، ويتحد بشريعته وفرائضه، ويتكامل معهما.

ب-أمراء العشق الإلهي:

لقد إخترنا خمسة من أمراء الصوفية الذين إشتهروا بعشقهم وحبهم الإلهي، ولكل منهم طريقته الصوفية المعروفة، وهم:

- جلال الدين الرومي:

هو محمد بن محمد بن حسين بهاء الدين البلخي البكري (1207م – 1273م). عرف بإسم مولانا.. وهو شاعر، عالم فقيه، متصوف، صاحب الطريقة المولوية المنسوبة إليه.

يقول جلال الدين الرومي عن الحب والعشق: "البارحة كان محبوبي رائع الحس، كما القمر بل أشد إشراقاً من الشمس، حظوته بعيدة عن متناول يدي، الباقي صمت. أتدري ما هو الحب؟ هو ليس إلاّ العطف والسخاء، يحل النفور إذا خلطت بين الشهوة والحب على ما بينهما من بُعد لامتناه". وما قاله في حب الله: "من لا يركض إلى فتنة العشق يمشي طريقاً لا شيء فيه حي". ويقول: "أود أن أموت في العشق الذي أكنّه لك، كقطع سحب تذوب في ضوء الشمس".

- الحلاج:

هو الحسين بن منصور بن محمى، الملقب بالحلاج. ولد عام 858م. نشأ بواسط (محافظة وسط العراق)، ثم بغداد، وتردد إلى مكة المكرمة. هو أكثر المتصوفة إثارة للجدل؛ فالكثير من علماء السنة كفّروه ووصفوه بالزندقة، واتهم بممارسة السحر والشعوذة.. قبض على عدد من مؤيديه واعترفوا بأنه يدّعي الربوبية والألوهية، فقبض عليه وحوكم وقتل

يقول الحلاّج: "إلهي أخشاك لأني مذنب، وأرجوك لأني مؤمن، وأعتمد على فضلك لأني معتذر، وأثق بكرمك لأني مستغفر، وأنبسط إلى مناجاتك لأني حسن الظن بك". كما يقول: "لا سبيل إلى معرفة الله بالعلم، بل إن الحب هو الطريق إليها. إذ ليست المعرفة الفكرية للقضاء الإلهي هي التي تقربنا من الله، بل إنما هو خضوع القلب للأمر الإلهي في كل لحظة".

- الشيخ عبد القادر الجيلاني:

أو الجيلي، أو الكيلاني، هو أبو محمد عبد القادر بن موسى بن عبدالله (470 – 562هـ). يعرف بسلطان الأولياء، وهو إمام صوفي، فقيه، حنبلي شافعي، لقب بـ"بازالله الأشهب"، وبـ"تاج العارفين"، وبـ"محي الدين"، وبـ"قطب بغداد". تنسب إليه الطريقة القادرية الصوفية.

يقول الجيلاني: "كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة". ويقول أيضاً: "إجعل الدنيا لنفسك والآخرة لقلبك والمولى لسرك". ويقول: "تناول الأقسام بيد الزهد لا بيد الرغبة".

- الشيخ الإمام محمد الأسد القادري الأسدي:

هو أسد إبن علي إبن إبراهيم القادري الحسني الهاشمي. هو بالأصل من قرية الحمارا من البقاع اللبناني، أخذ العلم بدمشق عن شيخه محمد إبن العرّاق.. نزل صفد (في منطقة الجليل بفلسطين) بالعهد المملوكي، ودير البعنة (قضاء عكا بفلسطين) بالعهد العثماني، وهو من كبار علماء وسادات الطريقة القادرية بزمانه.

- الشيخ سعد الدين الجيباوي:

هو سعد بن يونس بن عبدالله الجيباوي (1068 – 1179م)، أحد أعلام الصوفيين، ومؤسس الطريقة السعدية الصوفية. ولد في مكة المكرمة. حفظ القرآن على المذهب الشافعي. سافر كثيراً ودوّن رحلاته، وجمعها ولده ورتبها في كتابين: الأول خصصه لرحلاته، والثاني لمروياته.

يقول الجيباوي:

"قف على باب كريم كلما طرق الطارق بالخير فتح

وإذا أذنبت ذنباً فاحشاً ستر الذنب وإن تبت سمح"

أما الطريقة السعدية: هي طريق إلى الله تعالى وهي سير وسلوك إلى الله بمنهاج وشرعية بدايتها الدخول والتحقق بالمقامات والأحوال والآداب والأخلاق ونهايتها المعرفة بالله ومن صحت بدايته صحت نهايته والنهايات ترجع إلى البدايات. ومقامات السلوك في الطريقة: مقام التوبة – الورع – الزهد – الفقر – الصبر – التوكل – الرضا.

ج- أميرات العشق الإلهي:

إخترنا ست أميرات في العشق الإلهي، الأكثر شهرة بينهن:

- رابعة العدوية:

أو رابعة القيسية، أم عمر، هي بنت إسماعيل العدوية، تكنى بأم الخير. إشتهرت بالعبادة والزهد والورع، هي إمامة العاشقين، أفنت حياتها في حب الخالق، كانت تصلي الليل كله.

الشاعرة قالت تصف حب الله سبحانه:

عرفت الهوى مذ عرفت هواك وأغلقت قلبي عمن سواكا

أحبك حبين، حب الهوى وحب لأنك أهل لذاكا

فأما الذي هو حب الهوى فشغلي بذكرك عمّن سواكا

وأما الذي أنت أهل له فكشفك للحُجب حتى أراكا

وتقول:

يا سروري ومنيتي وعمادي وأنيسي وعُدتي ومُرادي

أنت روح الفؤاد أنت رجائي أنت لي مؤنس وشوقك زادي

- عائشة الراعونية:

أو الباعونية، وهي عائشة بنت يوسف بنت أحمد بن ناصر الباعوني. شاعرة صوفية، أديبة، مرشدة، فقيهة. والباعونية نسبة إلى قربتها باعون في الأردن (عجلون). وقيل أن ولادتها كانت في دمشق، ونشأت هناك في بيت علم وأدب، حفظت القرآن وعمرها 8 سنوات. إنتقلت إلى مصر، درست علوماً كثيرة على يد شيوخ عصرها. أجادت الشعر والنثر، وأكثرت من المدائح النبوية. لها مؤلفات كثيرة منها: ديوان الباعونية، درر الفائض في بحر المعجزات والخصائص، الفاتح المبين في مدح الأمين، وغيرها كثير.

لقد تناولت الراعونية العشق الإلهي لذات الله بمنظورها الخاص، تبدأ فيه من باب التوحيد والإفراد قد يكامل صفاته وجلاله، فهي لا ترى في الوجود سوى محبوبها الفرد الصمد، الذي

تتجلى أنواره لعشاقه فتتكشف عنهم أستار الأوهام، فتطيب حياتهم بالتفاني في حبه في جنة عشق ليس فيها إلاّ الله حيث تقول:

"ما في الوجود سوى من ليس إلاّ هو حق الحقيقة مولانا هو الله"

- أم زينب:

وهي فاطمة بنت عباس البغدادية، كنيتها أم زينب. شيخة، مفتية، زاهدة، عالمة، خاشعة، فقيهة على المذهب الحنبلي. ولدت ببغداد وتوفيت في القاهرة عام 714هـ. لقبت بسيدة نساء زمانها، تتلمذت على يد شيخ الإسلام إبن تيمية.

- هجيمة بنت حيي:

أم الدرداء الصغرى الأوصابية الحميرية. السيدة، العالمة، الفقيهة. أخذت علماً كثيراً عن زوجها أبي الدرداء، وعن سليمان الفارسي، وعن كعب بن عاصم الأشعري، وعن عائشة، وعن أبي هريرة. إشتهرت هجيمة بالعلم والعمل والزهد والورع، توفيت عام 82هـ.

- فاطمة بنت بري:

هي إمرأة حازت الثروة والجمال والعزوة، وإنفردت بالسلطة في إقليم شمال العراق في أرض العشائر. لها نفوذ وسطوة روحية، حتى أخذ الأولياء التقرب منها، وهي تخضع كل واحد منهم لإختبار، فإذا أخفق فيه تسلبه قواه الروحية. لها قصص مع الشيخ بدوي صاحب الكرامات المشهور.

2- المراحل التي يمر بها الحب:

يمر الحب بمراحل متعددة ليصل إلى العشق، وتتخطاه إلى مراحل أخرى، وهي:

- الحب: هو الشعور بالعواطف عند رؤية المحبوب.
- الصبابة: أو الصبوة، وهي وجود الإنجذاب والتناغم، هي الشوق واللهفة للقاء المحبوب.
- الهوى: هو المرحلة التي تتصاعد فيها المشاعر ومستوياتها عند بداية العلاقة، وفيها غلبة الشعور على كل مشاعره الإنسانية.
- الجوى: وفيه تزداد حُرقة الشوق، وعذاب لرؤية الحبيب.
- الخلة: يكون فيها المحبوب هو الخليل والصاحب.

- الكلف: مرحلة التولع بالشخص.
- العشق: مرحلة تخطي شعور الحب.
- الشغف: الحب الشديد الذي يغلب على القلب، معها يبدأ العشق الفعلي.
- الغرام: مرحلة يصعب على الشخصين ترك بعضهما البعض أو أن ينفصلا.
- المتيم: فيها يتم ذهاب العقل والإدراك من شدة الهوى.
- النبل: هو الهيام وغلبة الحب.
- الوله: هو خلو القلب من الهموم بفعل إحساس الحب الذي يعتريه.
- الهيام: عندما يصل الحبيب إلى مرحلة الجنون، وهو أعلى درجات الحب.
- الهوس: عندما يصل الأشخاص الذين يقعون في الحب وعشق شخص ما، ولكن الطرف الآخر قد لا يبادل المشاعر ذاتها، مما يجعل الطرف الأول مهووساً بالطرف الثاني.
- الإفتتان: هذه الدرجة قد تكون إنجذاباً ما للخصائص الجسدية.

3- الحب والعشق في كلام القدماء:

إخترنا مجموعة من العلماء والمفكرين الذين قالوا في الحب والعشق وهم:

أ- إبن القيم الجوزية:

هو أبو عبدالله شمس الدين الدمشقي الحنبلي (1292م – 1350م)، المعروف بإبن قيم الجوزية. فقيه، محدث، مفسر، عالم، مجتهد، وهو أحد أئمة المذهب الحنبلي. لقد ذكر إبن القيم خمسين إسماً للعشق وذلك في كتابه "روضة المحبين"[1]، وهي: المحبة – العلاقة – الهوى – الصبوة – الصبابة – الشغف – المِقة – الوجد – الكلف – التتيم – العشق – الجوى – الدّنف – الشجو – الشوق – الخلابة – البلابل – التباريح – السّدم – الغمرات – الوهل – الشجن – اللاعج – الإكتئاب – الوصب – الحزن – الكمد – اللذع – الحُرق – السُّهد – الأرق – اللهف – الحنين – الإستكانة – التبالة – اللدمة – الفتون – الجنون – اللّمم – الخبل – الرّسيس – الداء المخامر – الود – الخُلة – الحلم – الغرام – الهيام.

[1] روضة المحبين ونزهة المشتاقين، يعد من أهم الكتب في الحب، يجمع رأي الشريعة وحكمتها وأدبها إلى الكلام عن الحب وفلسفته وآراء الناس فيه، وحافل بالنثر والشعر والطرائف والغزل.

ب-ليلى العامرية:

هي ليلى بنت مهدي بن محمد بن مزاحم بن كعب بن ربيعة. عاشت بين عامين 648م – 687م. تربت مع مجنون بني عامر قيس، المعروف بالمجنون قيس بن الملوح، وهو ليس مجنوناً إنما لقب بهذا لحبه وهيامه بليلى. وقد أحبته ليلى أيضاً وهامت به. ورفض أهلها قيساً، فهام على وجهه ينشد الأشعار، ويتغنى بحبه العذري، وهي أيضاً قالت الشعر وبادلته العشق. ومما قالته فيه:

لم يكن المجنون في حالة إلا وكنت كما كانا

لكنه باح بسر الهوى وإنني قد ذبتُ كتمانا

وهو أيضاً قال شعراً:

قالت جُننتَ على ذكري فقلت لها الحب أعظم مما بالمجانين

الحب ليس يُفيقُ الدهرَ صاحبه وإنما يُصرع المجنون في الحين

ج- إبن سينا:

هو أبو علي الحسين بن عبدالله بن علي بن سينا البلخي ثم البخاري (980م – 1037م). عالم وطبيب وفيلسوف من أصول فارسية. كتب في الطب متبعاً نهج أو أسلوب أبقراط وجالينوس. أشهر أعماله كتاب القانون في الطب. عرف إبن سينا العشق بأنه شيء يمتلك النفس ويستولي عليها، يحركها كما يشاء ويأمرها بما يريد. كما يقول بأنه موجود في كل مسارات الكون ومخلوقاته، وهو الأساس في حياتنا هذه، وهو من أكبر الدوافع التي تحركنا وتبعث فينا الحاضر على إدراك ما نحب، وفعل ما نحب ونرغب.

د- القاضي محمد بن سليمان النوقاتي:

هو أبو عمر محمد بن سليمان النوقاتي السجستاني، ونوقاتي نسبة إلى قرية نوقات في سجستان، هو محدث، حافظ وأديب، له كتب: العلم والعلماء، النعظة، العتاب، الرياحين وغيرها كثير... عرف العشاق بأنهم معذورون، إذ العشق إنما هو دهاهم من غير اختيار، بل إمتلكهم بالقوة والجبر، والمرء يلام على ما يستطيع من الأمور، لا على المقضى عليه والمقدور. فالإنسان هنا مجبر لا مخير.

هـ- ثمامة بن الأشرس:

هو ثمامة بن الأشرس النميري، مناظر قوي، أديب بارع، في عام 840م معتزلي المغامر في شؤون الدنيا، نديم الخلفاء، حديثه عذب في الأدب والمناظرة. تأثر به الجاحظ كثيراً في أسلوبه ومعانيه. عرف العشق بأنه جليس ممتع، وأليف مؤنس، وأحكامه جارحة، ملك الأبدان وأرواحها وخواطرها، والعقول وآرائها، قد أعطي عنان طاعتها، وقوة تصرفها، توارى عن الأبصار مدخله، وعمى في القلوب مسلكه.

و- الجاحظ:

هو أبو عثمان بن بحر بن فزارة الليثي الكناني البصري (775م – 868م)، المعروف بالجاحظ. أديب عربي، من أكبر أدباء العصر العباسي، ولد في البصرة، وتوفي فيها. وهو فقيه، لغوي، شاعر، عالم أحياء، ومؤرخ. له كتب: البيان والتبيين، الحيوان، البخلاء، المحاسن والأضداد، وغيرها... قال الجاحظ عن العشق: "لقد تخطى العشق المحبة بمراحل، كما تخطى التبذير الكرم والجود، والحب أصل الهوى، والهوى الذي يتفرع منه العشق وبالعشق يهيم الإنسان على وجهه أو يموت كمدا على فراشه". ويجب الإشارة إلى أن ليس كل حب يسمى عشقاً. وقد حذر الجاحظ من العشق في "البيان والتبيين" وكتاب "القيان"، لأنه مرض يصيب الروح بالضعف والجسم بالوهن، والحمية أي الإبتعاد عنه هو الخلاص منه. ونشير إلى قول إعرابي أوضح فيه العشق حيث قال: "العشق خفيّ أن يرى، وجليّ أن يخفى، فهو كامن ككمون النار في الحجر، إن قدحته أورى (أشعل)، وإن تركته توارى.

ز- عبد بني الحسحاس:

هو سحيم عبد بني الحسحاس، كان شاعراً نوبياً عبداً، له في الغزل الفاحش، والفخر والحماسة والحكمة.. وهنا نشير إلى عادة وتقليد كان سائداً ومنتشراً بين العرب في البادية وهو أن يشق الرجل برقع حبيبته، والمرأة تشق رداء حبيبها، وكان العرب يقولون: إذا لم يفعلا ذلك ظهر البغض بينهما. قلنا هذا التوضيح لأن شعر عبد بني الحسحاس تعبير عن هذا التقليد. قال:

فكم قد شققنا من رداء محبّر (منير) ومن برقع عن طفلة غير عانس

إذا شُق بُرد شق بالبرد بُرقع من الحب حتى كلنا غير لابس

ح- أبو العالية الشامي:

هو الحسن بن مالك، مولي العميين، وبنو العم قوم من فارس، نزلوا البصرة أيام عمر بن الخطاب. كان الحسن هذا أديباً، شاعراً من أصحاب الأصمعي. قال أبو العالية: سأل أمير المؤمنين المأمون[2] يحيى بن أكثم[3] عن العشق ما هو فقال: هو سواغ تسلح للمرء، يهيم بها قلبه وتؤثرها نفسه. قال شيخ من خراسان، له أدب وحسن معرفة بالأمور، لسليمان بن عمرو[4] ومن معه: أنتم أدباء، وقد سمعتم الحكمة، ولكم حداء ونغم، فهل فيكم عاشق؟ قالوا: لا. قال: أعشقوا، أي دعاهم إلى العشق لمنافعه للنفس وسلوك الإنسان ومعاملته. وتابع: فإن العشق يطلق اللسان، ويفتح جبلة البليد والبخيل، ويبعث على التلطف وتحسين اللباس، وتطييب المطعم، ويدعو إلى الحركة والذكاء وتشريف الهمة.

ط- ذو الرياستين:

هو لقب عرف به عدد من رجال الدولة في عصور إسلامية مختلفة. وذو الرياستين هنا هو المنذر بن يحيى التجيبى، الملقب بالحاجب ذي الرياستين، قال أن بهرام جور[5] كان له إبن، ولم يكن صالحاً للحكم بعده، ذلك لأنه كان خامل النفس، سيء الأدب، ناقص الهمة، وهذا ما أحزن الأب. فعهد إلى مؤدبين كي يصلحوا أمره، وكان دائماً يسألهم عن حاله، إلى يوم قال له مؤدب: "إنني أرى أملاً في إصلاحه، لأنه وقع في حب إبنة فلان وأغرم بها فعشقها، وقد يصلح حاله إن تزوجها، ولكنهم أخبروه أنها لا ترضى به إلّا إذا تغير حاله إلى الأحسن. فأخذ في الأدب وطلب الحكمة والعلم والفروسية والرماية حتى صار ماهراً. ثم أخبروا بهرام بذلك فسرّ وأقرّ بأنه يحصل له ما يريد من عشيقته. وهكذا تزوج وسرّ أبيه، وعاشوا مسرورين جميعهم[6]. وهذه النتيجة الجميلة كانت بسبب العشق وبدوافعه.

[2] المأمون: هو عبدالله بن هارون الرشيد، سابع خلفاء بني عباس، ولد عام 786م وتوفي عام 833م. شهد عهده الإزدهار فكرياً وعلمياً.
[3] يحيى بن أكثم، هو محمد بن قطن التميمي، ولد عام 776م وتوفي عام 857م. عالم، فقيه، محدث، وكان من كبار قادة المأمون.
[4] سليمان بن عمرو: هو سليمان بن عمرو بن الأحوص البارقي الأزدي، ولد في حياة الرسول(ص) عام 921م، وتوفي عام 690م.
[5] هو بهرام جور، أو كور، أو غور، ملك ساساني، ولد عام 400م وتوفي عام 438م. وحكم من عام 420م لغاية عام 438م.
[6] الحكاية موجودة في كتاب: المستطرف في كل فن مستظرف، للأشبهي، تحقيق وتقديم عبدالله أنيس الطباع، دار القلم، بيروت، لبنان، ص 394، 395.

ي- الفتح بن خاقان:

هو أبو محمد الفتح أحمد بن غرطوج (815م – 861م)، وزير وشاعر وأديب أيام الدولة العباسية، وهو من أصول فارسية، عيّنه المتوكل أميراً ونائباً لشؤون مصر وأفريقيا. قتل مع الخليفة المتوكل في سامراء. كان الفتح صاحباً للمتوكل[7]، يناشد العشاق بأن يتحملوا ويصبروا، فهم يخطئون كثيراً لكن خطاياهم مغفورة. قال شعراً:

أيها العاشق المعذب صبرا فخطايا أخي الهوى مغفورة

ك- عبدالله بن عبيدة الريحاني:

هو علي بن عبيدة أبو الحسن الكاتب المعروف بالريحاني، أحد البلغاء الفصحاء، مليح اللفظ، حسن العبارة، كتب في الحكمة والأمثال. لقد وقع عبدالله هذا بحب وعشق جارية، زارته يوماً فأقام يحدثها ويشكو إليها ألم الفراق، فحان وقت الظهر، ناداه إنسان إلى الصلاة: "يا أبا الحسن.." فقال: "رويدك حتى نزول الشمس"، أي حتى تقوم الجارية. لقد أخذ العشق مأخذه...

ل- عمر بن أبي ربيعة:

شاعر مخزومي قرشي (644م – 711م)، مشهور بالغزل والعشق، وهو أحد شعراء الدولة الأموية. كان وسيماً أحبته النساء. قال عمر: "كنت بين إمرأتين، هذه تساررني وهذه تعضني، فما شعرت بعضة هذه من لذة هذه". قال شيبان العذري: "لو حزّ بالسيف رأسي في محبتها، لطار يهوى سريعاً نحوها رأسي". وقال يحيى بن معاذ الرازي[8]: "لو أمرني الله أن أقسِّم العذاب بين الخلق، ما قسمت للعاشقين عذابا".

م- إبن الرومي:

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريح (836م – 896م)، المعروف بإبن الرومي، شاعر من شعراء العصر العباسي. تنوعت أشعاره بين المدح والهجاء والفخر والرثاء من طبقة بشار والمتنبي. ولد بالعقيقة في بغداد، من أصل رومي، أمه من أصل فارسي، وهي إمرأة تقيّة صالحة

[7] المتوكل: هو أبو الفضل جعفر المتوكل على الله بن المعتصم بن هارون الرشيد (822م – 861م).
[8] يحيى بن معاذ الرازي: هو أبو زكريا يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي، أحد علماء أهل السنة والجماعة، من أعلام التصوّف، له كلام جيد ومواعظ. تـ 285هـ.

رحيمة. يعرف الحب قائلاً: "يعني أن تميل بكلك إلى المحبوب، أي بأحاسيسك ومشاعرك كلها، وتؤثره على نفسك وروحك ومالك، وتوافقه سراً وجهراً وتعترف بتقصيرك في حبه. والحب لهيب من نار مقدسة تضرم في القلب لتشعل عواطف وأحاسيس العاشق، ويمتد لهيباً ليطال المساحات الفاصلة بين الجسد والروح".

ن- إبن حزم الأندلسي:

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب بن صالح بن خلف بن معدان بن سفيان بن يزيد الأندلسي القطبي. ولد عام 994م بقرطبة وتوفي عام 1064م. يعد من أكبر علماء الأندلس والإسلام بعد الطبري، وهو إمام، حافظ، فقيه، متكلم، أديب، شاعر، عالم برجال الحديث، ناقد. كان وزيراً سياسياً لبني أمية. كتب إبن حزم عن الحب في كتابه "طوق الحمامة"، يقول عن الحب أن "أوله هزل وآخره جد". ومن علاماته إدمان النظر، الإسراع بالسير نحو المكان الذي يكون فيه محبوبه، والتعمد للقعود بقربه والدنو منه، وكثيراً ما يكون لصوق الحب بالقلب من نظرة واحدة. وللحب حكماً على النفوس ماضياً، وسلطاناً قاضياً، وأمراً لا يخالف، وحدّاً لا يُعطى، وملكاً لا يتعدى، وطاعة لا تعرف، ونفاذاً لا يرد... لقد توسع إبن حزم في كتابه المذكور بالحديث عن الحب، فتكلم في أصوله، وأعراضه وصفاته المحمودة والمذمومة، وفي الآفات الداخلة على الحب.

خاتمة:

تناول هذا البحث المتواضع حالة إنسانية شعورية، يمر بها كل شخص طبيعي وعادي وهي حالة الحب والعشق، التي تطرق إليها ولم يهملها معظم الكتاب والأدباء والشعراء على مراحل العصور، فوجدناهم يشيرون إليها ويصفونها ويعرفونها ويتابعون مراحلها ونتائجها ألخ... ونحن قد رصدنا بعض ما تكلم به القدماء عنها. وميزنا بين العشق الذي يربط بين ذكر وأنثى وحالة العشق الإلهي، مع ذكر بعض أمرائه وأميراته. كما تناولنا المراحل التي يمر بها الحب. ثم إخترنا مجموعة من العلماء والمفكرين الذين قالوا في الحب والعشق. وحرصنا على ترجمة الأعلام التي وردت في النص، آملين أن نكون قد قدمنا لقرائنا فائدة ولو بسيطة متواضعة.

د. كاظم نور الدين

الإرشاد الأسري ضرورة ملحّة

1-مفهوم الإرشاد الأسري

يركز الإرشاد الأسري على تماسك الأسرة، ووضعها على الطريق الصحيح من خلال تنمية المهارات المطلوبة لتحقيق هذا التماسك، وعلاج مواضع الخلل التي تؤدي إلى إنحلال وتفكك الأسرة.

2- تعريف:

- يعرّف الإرشاد الأسري بأنه عملية يقوم بها مرشد أسري متخصص في أسس الإرشاد وأساليبه، لمساعدة الأشخاص والأسر في حل المشكلات التي تواجههم، وتحقيق الإستقرار والتوازن الأسري، وتتم هذه العملية من خلال التعامل مع نظام الأسرة، وتحديد المشاكل بشكل واضح، والبحث عن علاج لهذا النظام، بوضع خطط وبمشاركة الأسرة فيها، وذلك عن طريق تحديد مواعيد أسبوعية لجميع الأفراد.

- الإرشاد الأسري مصطلح واسع يضم العديد من الطرق والاساليب التي تتبع عند العمل مع الأسر التي تعاني من صعوبات عضوية ونفسية وإجتماعية.

- هو عبارة عن مجموعة من الخدمات النفسية والاجتماعية التي تهدف إلى تحسين العلاقات الأسرية، وتوفير الدعم النفسي والاجتماعي لأفرادها، وذلك عن طريق توجيههم للتعامل مع المشكلات والصعوبات التي تواجههم.

- ويعرف أيضاً بأنه : "عملية مساعدة أفراد الأسرة (الوالدين والأولاد والأقارب)، فرادى او جماعة، في فهم الحياه الأسرية، ومسؤلياتها لتحقيق الإستقرار والتوافق الأسري وحل مشكلات الأسر.

- إنه عملية مساعدة جميع أفراد الأسرة في فهم متطلبات الحياة العائلية، وما يتصل بها من حقوق وواجبات متبادلة.

• كذلك هو "محاولة تعديل العلاقات داخل النسق الأسري ، بإعتبار أن المشكلات الأسرية ليست إلا نتيجة لتفاعلات خاطئة، وليست خاصة بفرد معين في الأسره".

ملاحظة: يرتبط الإرشاد الأسري بأكثر من تخصص:

- الخدمة الاجتماعية.
- الإرشاد النفسي.
- الطب النفسي.
- علم النفس.
- والصحة النفسية .

ولعل هذا ما ساهم في تسريع حركة تطوره كشكل من أشكال التوجيه والإرشاد.

3-نشأة وتطور الإرشاد الأسري

يعود تاريخ نشأة الإرشاد الأسري والتربوي إلى أوائل القرن العشرين، حيث كان يركز بشكل رئيسي على العلاقات الزوجية والأسرية. وفي فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، ازداد الاهتمام بالإرشاد الأسري والتربوي وأصبح أكثر شمولية وتعددًا في النظريات والأساليب المستخدمة.

وفي الستينيات، ظهرت مدرسة ميلانو الأسرية في إيطاليا، والتي اهتمت بتطوير نمط جديد من الإرشاد الأسري يعتمد على العمل الجماعي والتفاعل بين أفراد الأسرة. وفي نفس الوقت،

ظهرت مدارس أخرى من الإرشاد الأسري والتربوي في الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، مثل المدرسة النفسية الأمريكية والمدرسة البريطانية.

ومنذ ذلك الحين، تطور الإرشاد الأسري بشكل كبير وتنوعت النظريات والأساليب المستخدمة فيه، وأصبح يشمل جميع أشكال العلاقات الأسرية، مثل العلاقات الزوجية والعلاقات بين الآباء والأولاد والعلاقات بين الأشقاء وغيرها.

ويعتبر الإرشاد الأسري اليوم واحدًا من الأساليب الأكثر فعالية في علاج المشاكل النفسية والاجتماعية التي تؤثر على العلاقات الأسرية، حيث يهدف إلى تحسين الصحة النفسية والعلاقات الاجتماعية وتحسين جودة الحياة للأفراد والأسرة .

بشكل عام ظهر الإرشاد الأسرى في بدايته في الولايات المتحدة الأمريكية وبعض دول غرب أوروبا في السبعينات، ومنذ ظهوره وهو يتسع ويتداخل في أفق جديدة، عن طريق الكتابات العديدة التي يسطرها معالجة ومرشدين جدد، يعتبرون الإرشاد طريقة أكثر قدرة وكفاءة في تحسين الحياة الأسرية، وهذه الطريقة والآلية بدأت كوسيلة إرشادية وطرق علاجية ذات خطة واضحة في الولايات المتحدة الأمريكية قبل السبعينات، وقد يرجع الى فترة الخمسينات، إلا أنه يوجد بعض الأمور التي ساهمت في خروج ذلك النوع من العلاج والإرشاد قبل هذا التاريخ، وهى تلك الفترة التي اتسمت ذيوع وانتشار الإتجاه التحليلي النفسي، الذي حاز على عناية واهتمام العديد من المعالجين والمرشد وبالوالدين فيه العديد من الجهود.

4-أهمية الإرشاد الأسري

يعتبر ميدان الإرشاد الأسري أساساً لتحسين العلاقات الأسرية، وتوفير الدعم النفسي والاجتماعي لها، وهناك عدة أسباب تجعله مهمًا نذكر منها:

- تحسين جودة الحياة الأسرية.
- توفير الدعم النفسي والاجتماعي للأسرة والمساعدة على تحسين العلاقات الإيجابية بين أفرادها ، وتعزيز مهارات التواصل والتفاعل بينهم.

- تحسين الصحة النفسية للأفراد ، وتحسين مستوى سعادتهم في الحياة.
- خفض مستوى الإجهاد والتوتر وتعزيز الإستقرار النفسي والعاطفي لجميع الأفراد .
- حل المشكلات الأسرية: مثل المشاكل الزوجية، والمشاكل الأسرية الناجمة عن تربية الأطفال، والمشاكل العائلية الناجمة عن الخلافات المالية والاقتصادية ...
- تعزيز التوازن بين حياة العائلة وإلتزامات أفرادها الفردية ، ويمكن أن يساعد في تحسين الإستقلالية والإعتمادية.

5- أهداف الإرشاد الأسري

يهدف الإرشاد الأسري إلى:

- دعم الإستقرار الداخلي والنفسي لكافة أفراد الأسرة.
- تحقيق سعادة وإستقرار الأسرة، وبالتالي سعادة المجتمع.
- تأهيل وتهيئة الشباب والفتيات لمرحلة ما قبل الزواج وبعده .
- توعية المقبلين على الزواج وتوضيح الحقوق والواجبات الأسرية.
- نشر مفاهيم الثقافة الأسرية الصحيحة .
- تحقيق الألفة بين الأزواج وزيادة الترابط العائلي.
- تهيئة الجو الاسري السليم لتنشئة الأولاد.
- البحث عن أسباب الخلافات والمنازعات الزوجية والعائلية، وخلق الحلول الملائمة لها.
- خفض نسبة الطلاق.

6- أنواع الإرشاد الأسري

هناك العديد من أنواع الإرشاد الأسري المتاحة في المجتمع ، ويمكن تحديدها بناءً على المشكلات والتحدّيات التي تواجه الأسرة، ومن بين الأنواع الشائعة للإرشاد الأسري ما يلي:

- الإرشاد الزوجي: وهو نوع من الإرشاد الأسري يهدف إلى تحسين العلاقة بين الزوجين، وتعزيز التواصل والتفاهم بينهما، وتحسين مهارات حل النزاعات والصراعات.

- **الإرشاد الأبوي: وهو نوع من الإرشاد الأسري يهدف إلى تحسين علاقة الوالدين مع أبنائهم، وتعزيز مهارات الوالدين في التعامل مع سلوكيات الأطفال وتوجيههم بشكل صحيح.**
- **الإرشاد العائلي: وهو نوع من الإرشاد الأسري يهدف إلى تحسين العلاقات بين جميع أفراد الأسرة، وتعزيز التواصل والتفاهم بينهم.**
- **الإرشاد الخاص بالأسر المنفصلة: وهو نوع من الإرشاد الأسري يهدف إلى توفير الدعم والمشورة للأسر المنفصلة أو الأسر التي تواجه مشاكل في الإنفصال، وتوجيههم للتعامل مع هذه المشكلات بشكل صحيح.**
- **الإرشاد الأسري الإيجابي: وهو نوع من الإرشاد الأسري يهدف إلى تحسين الرفاهية النفسية والعاطفية للأسرة، وتعزيز مهارات الفرد والأسرة في التعامل مع التحدّيات الاجتماعية وتحسين الثقة بالنفس.**

ويتنوع الإرشاد الأسري عموماً بين:

• الإرشاد الفردي: يستخدم عند وجود إضطرابات خاصة يعاني منها فرد واحد في العائلة، ولا يريد إطلاع أفراد الأسرة الآخرين عليها، ويعتمد على نشوء تواصل ما بين المرشد الأسري والفرد بصورة مباشرة ووجاهية.

• الإرشاد الهيكلي: تُعالَج خلاله الإضطرابات التي تواجه كافة أفراد الأسرة معاً، بهدف تقوية العلاقات فيما بينهم، وتعديل النظام الأسري. ويساعد في ضمان وجود حدود مناسبة ما بين الوالدين والأبناء، والتأكد من فرض سيطرتهم بصورة سليمة عليهم، ما يساهم في تقوية علاقات أفراد الأسرة ببعضهم البعض.

• الإرشاد النظامي: يركز هذا النوع على المعاني والفكر اللاواعي الناتجة عن سلوكيات أفراد الأسرة، الأمر الذي يساعد على تعمّق أفراد الأسرة في مشاكلهم وسلوكياتهم كأسرة واحدة. ويعتمد على المرشد الذي يأخذ دور المعلم.

• الإرشاد الإستراتيجي

يساعد في دعم النمو المعرفي والصحي لأفراد الأسرة، الأمر الذي يوضح لهم أهمية الترابط فيما بينهم، وتحسين قدراتهم للتمكن من إتخاذ القرارات السليمة، وحل المشكلات التي سوف تواجههم في المستقبل،

7- مبادئ الإرشاد الأسري

المبادئ التي يقوم عليها الإرشاد الأسري عديدة ، ومن أهمها:

- الإحترام: إحترام الأسرة وثقافتها وقيمها، والتعامل معها بشكل إيجابي ومهني.
- التعاون: العمل مع الأسرة كفريق واحد لحل المشاكل وتحقيق الأهداف المشتركة.
- السرية: يجب إحترام السرية المتعلقة بالأسرة والمحافظة على خصوصيتها، ومعلوماتها الشخصية.
- الإهتمام بالصحة النفسية، وتحسين مستوى جودة الحياة .
- الشفافية: يجب على المستشار الأسري أن يكون صادقاً وشفافاً مع الأسرة، ويتعامل معها بكل مصداقية.
- التركيز على الحلول الفعالة للمشاكل التي تواجه الأسرة، وتطوّر مهارات إدارة العلاقات الأسرية.
- التعلم المستمر: يجب على المستشار الأسري أن يواصل تطوير مهاراته ومعرفته في مجال الإرشاد عن طريق التعلم، ومتابعة أحدث الأبحاث والتطورات في هذا المجال.

8- مراحل الإرشاد الأسري

أهم المراحل المتعلقة بالإرشاد الأسري ما يلي:

- التقييم: يتم في هذه المرحلة جمع المعلومات حول حالة الأسرة وتحديد المشاكل الموجودة وتحديد الأهداف المرجوة من العلاج.
- تحليل البيئة الأسرية: يتم في هذه المرحلة تحليل العوامل البيئية الداخلية والخارجية التي تؤثر على حالة الأسرة.

- **تطوير الخطة العلاجية: يتم في هذه المرحلة تطوير الخطة العلاجية المناسبة لحالة الأسرة، وتحديد النظرية والأسلوب المناسبين للعلاج.**
- **العمل على تحسين المهارات العاطفية والتواصل: يتم في هذه المرحلة تعليم أفراد الأسرة المهارات العاطفية والتواصل الفعال.**
- **العمل على حل المشاكل: يتم في هذه المرحلة تطوير الحلول المناسبة للمشاكل الموجودة في الأسرة وتطبيقها.**
- **العمل على الحفاظ على التحسينات: يتم في هذه المرحلة تشجيع الأفراد على الاستمرار في تحسين العلاقات الأسرية والحفاظ على النتائج المحققة في العلاج.**

هذا وتنقسم عملية الإرشاد الأسري حسب كل من المرشد والمسترشد إلى عدة مراحل، نذكر منها:

- **تحديد طبيعة الشخص المسترشد(الذي يريد توجيه أسري في أي شأن من الشؤون الحياتية).**
- **حرص المرشد على التعرّف جيداً على طبيعة الشخص الذي يقع في مشكلة، أويحتاج إلى مساعدة.**
- **تملك المرشد الأسري خبرة واسعة في التعرّف على طبيعة شخصية الأفراد، كونها تساعده في حل جميع المشكلات، وتخطي العقبات التي تواجههم في حياتهم.**
- **أن يتسم المرشد بالذكاء والانتباه، لكي يتمكن من كشف ذات المسترشد بسهولة؛ حتى يتمكن من تقديم المساعدة له وحل جميع مشكلاته.**
- **أن يكون المرشد على علم تام بطبيعة التصرفات الاجتماعية التي يقوم بها المسترشد خلال مواجهة المشكلات المختلفة التي تعترضه في الحياة، حيث يساعد المرشد في تحديد المسار العلاجي الذي يجب أن يستخدمه مع المسترشد، وبهذا يتمكن من مساعدته بشكل أفضل.**

9- وظائف الإرشاد الأسري

يمكن للإرشاد الأسري كإختصاص أن يمارس المهام التالية:

- العمل بمثابة مرشد أسري داخل المؤسسات المتعلقة بالأُسَر.
- كمُحاضر في مجال الإرشاد وإعطاء النصائح للمقبلين على الزواج أو الأزواج.
- كمستشار تنمية بشرية داخل إحدى المؤسسات المختصة.

10- فنيات الإرشاد الأسري

أهم فنيات الإرشاد الأسري:

- المحاضرة: قيام أفراد الأسرة الواحدة بحضور ندوات وجلسات تعريفية بطرق سهلة وبسيطة من خلال جلسات سرية، وذلك لزيادة تنمية الوعي عندهم بأهمية الإرشاد الأسري، مما يؤدي إلى زيادة استيعابهم لتلك المفاهيم بطرق سلسة، مما يعمل على تشجيعهم على إستقبال المعلومات المتعلقة بحل مشاكلهم ، بما يلبي عندهم الشعور بالربط بين المشكلة و حلّها، وبذلك يصبح عندهم الرغبة في حضور الجلسات لمعرفة بعض أنواع المشاكل وحلّها، ونمو أهداف جديدة تسعى نحو حل المشاكل الأسرية المختلفة، والقضاء على النزاع الأسري. وتهدف المحاضرة الى :
  - تنمية البناء المعرفي لأفراد الأسرة الواحدة.
  - العمل على تقويم الحالة النفسية لأفراد الأسرة.
- المناقشة والحوار: المناقشة من أهم فنيات الإرشاد الأسري التي تقضي بإستخدام روح المناقشة الجماعية كمنهج مناسب يعمل على ملاءمة الخدمات الحوارية، وتبادل الآراء والعمل على تغيير المعرفة بشكل دينامي، مما يؤدي إلى إثارة ذاتية التفكير بالنسبة لأعضاء الجلسة، بما في ذلك اتجاهاتهم وأفكارهم، وبذلك نكون بصدد أهمية المادة العلمية كأساس مناقشة المواضيع المختلفة. وتهدف تقنية المناقشة والحوار الى:
  - تنمية الوعي المعرفي للأعضاء في الجلسات الأسرية.
  - تعديل الأفكار والمعتقدات الخاطئة.
  - تقوية أسس التواصل بين الأفراد من خلال استخدام أساليب المناقشة والحوار.
  - التطرق إلى معرفة الآداب الصحيحة للحديث.

- القيام بفتح قنوات الإتصال الفكري بين أعضاء الأسرة.
- القيام بتحليل جميع الأفكار غير العقلانية بإستخدام المنطق.
- القيام بفرز الإستجابات غير المنطقية، ومحاولة دحضها عن طريق الإقناع.

- إعادة الصياغة: إعادة صياغة جميع الأفكار اللاعقلانية لعضو من أعضاء الأسرة، وضرورة التخلص منها بأسرع وقت واستبدالها بأخرى عقلانية سليمة.
- التجسيد الأسري: ضرورة التعرّف على طبيعة النسق الأسري، وكيفية التواصل، وماهية العلاقات الشخصية بين أفراد الأسرة... وذلك من خلال القيام بتجسيد بعض المواقف الأسرية.
- التواصل: تحسين وسائل الإتصال بين أعضاء الأسرة الواحدة، وذلك باستخدام إستراتيجيات حديثة لمعرفة وتبادل الأفكار داخلها.
- التعزيز الإيجابي: من أهم فنيات الإرشاد الأسري، ومضمونه يتمثل في تقديم بعض التدعيمات الإيجابية لعضو الأسرة غير المرغوب في سلوكه، سواء كانت إجتماعية أو مادية.
- لعب الأدوار: إسناد أحد الأدوار لعضو من أعضاء الأسرة بشكل أساسي، ثم القيام بتبديل هذا الدور وتقليد دور آخر لسهولة معرفة السبب وراء سلوك هذا الشخص.
- النمذجة: وهي تقليد سلوكيات فرد من أفراد الأسرة والإيمان به واتخاذه قدوة .
- التدريب التوكيدي: قيام أحد أعضاء الأسرة بالتدرّب على القيام بالتعبير عن أحاسيسه ومشاعره، والدفاع بشكل إيجابي عن معتقداته.
- الواجبات المنزلية: وهذا الأسلوب من شأنه تغيير السلوك وتعديله، وكذلك معرفة كيفية التغيير، عن طريق تغيير بَناء واعادة مسارات الأسرة بتحديد المسافات والود بين أعضائها.

وتعتبر المشاكل الأسرية من أهم ما يهاجم المنظومة الأسرية، وهذه المشاكل يرجع سببها غالباً إلى التفاعلات الأسرية الخاطئة، وليس بسبب خطأ فرد من أفراد الأسرة، لذلك يحب الإلتزام بقواعد الإرشاد الأسري حتى نتلاشى حدوث أي انهيار في صدع جدارها، باعتبارها

منظومة واحدة، فالوالدين داخل كيان الأسرة يكونوا بمثابة رؤساء هذه المنظومة، والتعليمات والقواعد التي يقوموا بوضعها لابد أن يقوم الأبناء بالإلتزام بها، فهي عادة تؤدي إلى النجاة بكيان الأسرة والحفاظ عليها.

11- نظريات الإرشاد الأسري

نظريات الإرشاد والتوجيه الأسري يمكن حصرها وتصنيفها كالتالي:

- نظرية الربط العاطفي: تعتبر نظرية الربط العاطفي واحدة من النظريات الرئيسية المستخدمة في الإرشاد الأسري. تقوم هذه النظرية على فكرة أن العلاقات العاطفية الوثيقة بين الأفراد هي أساسية للصحة النفسية والاجتماعية الجيدة.
- نظرية النظم الديناميكية: تركز نظرية النظم الديناميكية على العلاقات الديناميكية بين الأفراد في الأسرة، وكيفية تأثير هذه العلاقات على سلوك الأفراد وصحتهم النفسية.
- نظرية الإتصال: تقوم نظرية الإتصال على فكرة أن الإتصال الفعّال بين الأفراد هو المفتاح للحفاظ على علاقات صحية وإيجابية في الأسرة.
- نظرية العلاج الأسري المعرفي: يستخدم العلاج الأسري المعرفي تقنيات معرفية لمساعدة الأفراد على فهم وتغيير سلوكياتهم السلبية والتفكير الخاطئ الذي يؤثر على العلاقات الأسرية.
- نظرية العلاج الأسري السلوكي: يستخدم العلاج الأسري السلوكي تقنيات سلوكية لتغيير سلوكيات الأفراد السلبية وتحسين العلاقات الأسرية.
- نظرية الإستشارة الأسرية: تستخدم الإستشارة الأسرية لتقديم المشورة والدعم للأسرة في حل مشاكلها وتحسين العلاقات الأسرية.

يتم تحديد النظرية والأسلوب العلاجي المناسبين في الإرشاد الأسري بناءً على حالة كل أسرة واحتياجاتها الفردية.

13- دور الإرشاد الأسري في المجتمع

يعتبر الإرشاد الأسري شكل من أشكال مساعدة الأسرة التي هي عبارة عن أب وأم وأولاد وأقارب أيضا، في تفهم الحياة الأسرية وتوعيتهم بالمسؤوليات التي تقع على عاتق كل فرد داخل الأسرة، كما يساعد في حل مشاكل الأسرة بشكل سليم، ونحن في عصرنا الحالي في أمس الحاجة إلى الإرشاد الأسري للتوجيه والإرشاد لتحقيق التوازن والإستقرار بين الأفراد في المجتمع.

14- أهمية الإرشاد الأسري لأسر الأطفال ذوي الحالات الخاصة

يُعَدُّ المرشد الأسري ركيزة هامة في دعم وتعزيز الحياة الأسرية الصحية والمستدامة. إذ يساهم بشكل كبير في تعزيز التواصل العائلي، وتحقيق التوازن والسعادة في العلاقات الاسرية. فإذا كانت لدى الفرد مشاكل أسرية أو تحديات في التواصل مع أفراد عائلته، فقد يكون المرشد الأسري هو الشخص المناسب لمساعدته على تحقيق التغيير والتحسين في حياته الأسرية.

وهنا تكمن أهمية الإرشاد الأسري في توجيه وإرشاد أهالي ووالدي الطفل ذوي الإحتياجات الخاصة والتي تتمثل فيما يلي:

- **تقديم العون للوالدين وتوجيههم للتأقلم مع وضع الطفل ذي الإحتياجات الخاصة، ومساعدتهم لمواجهة التحديات النفسية والاجتماعية والإنفعالية التي قد تواجههم بسبب المسؤوليات والضغوط الناتجة عن العناية بالطفل المعوّق.**

- **العمل على معاونة الأسرة في التأقلم مع ما قد يتعرضون له من ضغوط خارجية ونفسية.**

كذلك للإرشاد الأسري أهمية كبرى في تقديم دعم وخدمات لأخوة الطفل ذي الإحتياجات الخاصة وبشكل خاص الأخ الأكبر.

- أن يوضح للأهل التشريعات والقوانين التي تمنح أبناءهم بعض الحقوق التي تساعدهم في الحياة.
- تعريف الوالدين بالمؤسسة والأماكن التربوية والاجتماعية والصحية التي يمكن أن تقدم العون والمساعدة التي تخدم أفراد تلك الفئة.

- أن يوضح للوالدين الأعمال والوظائف الموجودة في مجتمعهم والتي تخص الأبناء ذوي الإحتياجات الخاصة، وبيان أماكن تدريب ملائمة لهم لتساعدهم على الإستقرار الاقتصادي.

بعد هذا العرض المفصل لكل العناصر المتعلقة بالإرشاد الأسري ، أرى ضرورة استتباع البحث بمعلومات أساسية تتعلق بالمرشد الأسري

المرشد الأسري

1- تعريف : المرشد الأسري هو فرد ذو خبرة في مجال العلاقات الأسرية والتنمية البشرية، يقدّم الدعم والإرشاد للأسر، ويساعدهم على التغلب على التحدّيات، وتحقيق الإستقرار والرفاه الأسري.

يُعَدُّ المرشد الأسري شخصاً متخصصاً يعمل على تحسين علاقات الأسرة، وتعزيز التواصل الصحيح والبنّاء بين أفرادها. يتفاعل مع العائلات من مختلف الخلفيات والثقافات، ويقدّم لهم الدعم العاطفي والنفسي والمعرفي اللازم للتعامل مع التحدّيات اليومية والمشاكل الأسرية.

إنه شخص يستعين به الأشخاص الذين لديهم مشاكل أسرية وإجتماعية مختلفة ولا يستطيعون حلها بمفردهم.

2- دور المرشد الأسري

يشمل دور المرشد الأسري ما يلي:

- مساعدة أفراد الأسرة على فهم مشاعرهم وسلوكياتهم وتفاعلاتهم مع بعضهم البعض.
- مساعدة الأسرة على حل النزاعات والصراعات.

- تعليم الأسرة مهارات التواصل، والتواصل الفعّال.
- مساعدة الأسرة على تطوير مهارات حل المشكلات.
- مساعدة الأسرة على التكيّف مع التغيرات في حياتهم.
- المساهمة في تعزيز العلاقات الأسرية والصحة النفسية للأفراد والأسر.

3- أمثلة على القضايا التي يمكن أن يساعد المرشد الأسري في حلّها:

- الخلافات الزوجية.
- مشاكل التواصل بين الآباء والأبناء.
- العنف الأسري.
- تعاطي المخدرات أو الكحول.
- الاضطرابات النفسية.
- التكيّف مع التغيرات في الحياة، مثل فقدان الوظيفة أو الهجرة...

يستفيد من خدمات المرشد الأسري الأفراد والأسر من جميع الأعمار والخلفيات الثقافية.

4- صفات المرشد الأسري

يتمتع المرشد الأسري بمجموعة من الصفات والمهارات التي تجعله مؤهلاً لممارسة المهنة، ومن هذه الصفات ما يلي:

أ- المهارات المهنية: يمتلك المرشد الأسري المعرفة والمهارات اللازمة لمساعدة الأفراد والأسر على حل مشاكلهم وتعزيز علاقاتهم. ويشمل ذلك المعرفة بعلم النفس والسلوك البشري، ومهارات الإصغاء الفعّال، والتواصل الفعّال، ومهارات حل المشكلات.

ب- المهارات الشخصية: يتمتع المرشد الأسري بمجموعة من الصفات الشخصية التي تساعده على بناء علاقة إيجابية مع أفراد الأسرة. وتشمل هذه الصفات الصبر والقدرة على التعاطف والقبول والدعم.

ت- المهنية: يلتزم المرشد الأسري بمعايير المهنة وأخلاقياتها. وتشمل هذه المعايير الإلتزام بالسرية والنزاهة والموضوعية.

وفيما يلي بعض الصفات الشخصية المحددة التي يجب أن يتمتع بها المرشد الأسري:

- الصبر: يحتاج المرشد الأسري إلى أن يكون صبورًا مع أفراد الأسرة، حيث قد تستغرق العملية العلاجية وقتاً طويلاً.
- التعاطف: يحتاج المرشد الأسري إلى أن يكون قادرًا على التعاطف مع أفراد الأسرة وفهم مشاعرهم وإحتياجاتهم.
- القبول: يحتاج المرشد الأسري إلى أن يكون قادرًا على قبول أفراد الأسرة كما هم، دون الحكم عليهم.
- الدعم: يحتاج المرشد الأسري إلى أن يكون قادرًا على تقديم الدعم لأفراد الأسرة خلال عملية العلاج.

5- أساسيات المرشد الأسري

يجب أن يتحلى المرشد الأسري ببعض المميزات والخصائص التي تؤهله لأن يثبت جدارة وكفاءة في تقديمه حلولاً مجدية لأي مشكلة أسرية، وإلقاء بعض النصائح الذهبية، والإرشادات الهامة.ومن هذه الخصائص والأساسيات ما يلي:

أ- المتطلبات الأخلاقية

تشمل هذه المتطلبات: الإحترام والتقبّل وسرية المعلومات والوعي الثقافي والكفاءة ووضع الأولوية لمصلحة الأسرة وتقبل الشخص الذي جاء للإسترشاد كما هو، بحيث لا تتدخل توقعات المرشد في الحكم على المسترشد، فيجب أن يتحقق التقبّل المتبادل بين الطرفين.

ب- المتطلبات المعرفية:

التدريب العملي والإعداد النظري للمرشد.

ت- المتطلبات الشخصية:

يجب أن يكون لدى المرشد درجة من الوعي والإدراك والفهم والتفسير، وذلك لسهولة فهم المشكلة التي يقع فيها المسترشد.

الخاتمة

الإرشاد الأسري أصبح ضرورة ملحّة في عالمنا المعاصر، حيث يواجه العديد من الأسر تحدّيات معقدة تؤثر على استقرارها وتماسكها.

تزايد الضغوط الاجتماعية والاقتصادية والثقافية يستدعي توفير دعم متخصص، يمكنه مساعدة الأسر على تجاوز الأزمات وتحقيق التوازن النفسي والاجتماعي من خلال الإرشاد الأسري.

يمكن تعزيز التواصل الفعّال بين أفراد الأسرة وحل النزاعات بطريقة بنّاءة ، بالإضافة الى تعزيز القيم الأسرية التي تعد ركيزة أساسية في بناء مجتمع صحي ومتوازن. لذا يجب أن يكون الإهتمام بتوفير خدمات الإرشاد الأسري وتطويرها ضمن أولويات الجهات المعنية ، لضمان بناء أسرة قوية قادرة على مواجهة التحدّيات وتربية أجيال أكثر قدرة على الإسهام الإيجابي في المجتمع.

المراجع

1-عبد العزيز البريثن الإرشاد الأسري دار الشروق 2011

2-منى ابراهيم رؤية جديدة في الإرشاد الأسري مكتبة طريق العلم 2012

3-ابراهيم خطاب علم وفن الإرشاد الأسري

4-صاحب عبد مرزوك الإرشاد الأسري الزواجي اليازوري العلمية للنشر والتوزيع 2020

5-فاطمة عيد العدران أسماء عبد الحسين النجار الإرشاد الأسري دار المسيرة

الأستاذ محمد قاسم قديح

ألعابنا الجميلة

الذكريات الجميلة نجم في السماء يضيء لنا، ودرة فخر تتلألأ ونزين بها كلامنا، وناي نشدو به، وسفينة أحلام نركبها ونبحر بها عبر الأيام الحاضرة بأمل استعادتها في القادم من أيامنا.

وفي لحظة حالمة نتجاوز فيها حدود الواقع البليد ، تتفتق أرواحنا وتزهر كورود جميلة في حدائق حياتنا الساحرة . ومن بين الإرهاق الذي تفضحه عيوننا ، ومن خلف التجاعيد المتربعة على ملامحنا تشرع أبواب ذاكرتنا القديمة وتنهمر الكلمات وكأنها قطرات مطر سخي !..

وهناا.. نجوب طرقات الذاكرة من بين تجاعيد وهي جسور سنين مرت ؛ نعود أطفالاً نتعثر في الأزقة نتسكع ونركض في زواريب الحارات فتعلو بها صدورنا وتهبط لتتنفسها من جديد بزفرات عميقة كعمق الإحساس والشعور الذي يتلألأ في مآقينا!..

لتبقى قلوبنا تجدف بقوارب الأمل والحب ... والرجاء .... لتستطيع الولوج إلى عوالمها التي تستحق الحياة.

صفارة المشمش

من يتذكر ...؟

اسمها صفارة المشمش

كنّا بعد أكل المشمش ،نحتفظ بنواته، كنّا نسير بمحاذاة الحائط ،و نحن نحك النواة معه، كما مبين في الرسم ادناه محدثين خطا واضحا في الجدار،قد يستغرق المشي و الحك مسافة

طويلة،الى أن تصبح قشرة النواة حامية ، ثم رقيقة ،ثم يحدث الحك ثقبا صغيرا، فنستعمل مسمارا صغيرا،أو دبوسا،لإخراج ما بداخل النواة،بعد تنظيفها من الداخل، نحصل على صفارة،أفضل من الصافرة البلاستيكية ،من حيث القوة والجودة،نشعر بسعادة غامرة و نحن نملأ الكون صفيرا..كنّا نصنع ألعابنا بأنفسنا، كنّا نصنع أفراحنا من لاشيء،أشياء بسيطة بساطة حياتنا.

لعبة الغميضة

تتطلب هذه اللعبة مع سرعة الجري شدة الانتباه وخفة التنقل ، وتبدأ بأن يقف أحد اللاعبين ويسمى الباحث في مكان محدد قرب الجدار، ويسمى هذا المكان المركز، ويتجه نحو الجدار مغمضاً عينيه، ويعد من الواحد إلى العشرة أو العشرين حسب الاتفاق واتساع المكان وكثرة اللاعبين ، بينما يتوارى رفاقه عن الأنظار، ويختبئ كل منهم في مكان حتى إذا انتهى الباحث من العد قال بصوت مرتفع واحد اثنان ثلاثة أي انتهيت من العد وعندها يبدأ بالبحث عنهم، فكلما رأى أحدهم بمخبئه أسرع إلى المركز وقال فلان في مكان كذا واحد اثنان ثلاثة، وعندها يظهر فلان ويعتبر خاسراً ويقال له ميت.

وإن استطاع الذي اكتشف الباحث مخبأه أن ينطلق مسرعاً إلى المركز ويصل قبل الباحث ويقول: واحد اثنان ، ثلاثة، اعتبر فائزاً ويقال له (عايش)، وهكذا حتى ينكشف أمر كل المختبئين وإذا أخطأ الباحث في تقديره وذكر اسم أحد المختبئين ولم يكن هو نفسه صاح

المختبئ بعد أن يظهر نفسه: حريقة، حريقة، أي أخطأ الباحث فيخرج الجميع من مخابئهم ويبدأ الدور من جديد.

وعندما ينجح الباحث بكشف مخبأ الجميع يصبح اللاعبون قسمين: (عايشين) و(ميتين،) فإن كان مجموع الميتين واحداً فقط يصبح هو الباحث ويتجدد اللعب، وإن كان الميتون أكثر من واحد يجتمعون بعيدين عن الباحث ويتخذ كل منهم اسماً مستعاراً وتكون الأسماء على الأغلب من الخضار أو الفواكه، ويعرضون على الباحث الأسماء ليختار أحدها ويكون المختار هو الباحث الجديد ويتكرر اللعب بهذه الطريقة طالما يوجد عند الأطفال متسع من الوقت.

ويحدث أحياناً إذا بقي أحد اللاعبين مختبئاً أن يساعده رفاقه ضد الباحث فإذا اقترب هذا من مخبئه، يصيحون: (يا متخبي احفر وطم) (أي احترس فقد اقترب الباحث منك) او يا متخبي (اجاك الريح) وإن وجدوا الفرصة مناسبة لينطلق ويصل إلى المركز قبل الباحث: يصيحون يامتخبي احفر واطلع، وهنا قد يحتج الباحث على هذه التصرفات لأنها تساعد المختبئ وقد يستفيد من هذه الملاحظات في تقدير مكان زميله فيكشف أمره.

لا تزال الطفوله التي عشناها عالقة في الأذهان ولا تزال الأشياء البسيطه في هذا الزمان أجمل حكاية عندما نسرق من الزمان لحظات يشتّم بها رائحة ماضيه في طفولته مع أصحابه وألعابه

النقيفة او المغيطة

لعبة قديمة ولدت في حارتنا

لعبة قديمة من ألعاب الأطفال الذكور وتقوم على أساس القاعدة العلمية التي تقول :

لكل فعل ردة فعل مساوٍ له في القوة ومعاكس له في الإتجاه.

والنقيفة عبارة عن شريطين رفيعين من المطاط متساويين في الطول ، تقص عادة من الإطار الداخلي للسيارات أو الدراجات الهوائية، ويتم قطع عود ذي شعبتين على شكل حرف Y من

غصن شجرة رفيع عند نقطة تفرع الغصن. ثم تقص قطعة من الجلد بطول 8 سم وبعرض 4 سم، ويتم شقّها من طرفيها، بحيث يكون الشقّ بعرض وسمك شريط المطاط، ثم يربط كل طرف للمطاط في الشق في طرفي الجلدة، بينما يثبت الطرف الأخر لكلا شريطي المطاط ، ويتم ربطهما بإحكام.

يختار الطفل حجارة صغيرة مناسبة، بحيث تكون ملساء، بدون حواف حادة، وشبه دائرية. يضع الطفل الحجر في وسط الجلدة، ويمسكها بإصبعي الابهام والسبابة من احدى يديه، بينما يمسك الطرف السفلي من العود ذي الشعبتين بيده الاخرى. يصوب نحو هدف محدد .

ويجعله في وسط الشعبة الأعلى منها. يشدّ الشعبة الى اقصى امتداد الى الامام، في الاتجاه المعاكس للجلدة التي بها الحجر، بينما تبقى اليد التي تمسك الجلدة ثابتة، وفي اللحظة المناسبة يحرر الجلدة من اليد التي تمسك بها خاصة اذا كان الهدف متحركا مع ابقاء اليد الأخرى التي تمسك بالشعبة ثابتة، فيندفع الحجر بقوة باتجاه الهدف المحدد، فإذا كان التصويب جيدا وموجهاً بالشكل الصحيح نحو مركز الهدف، فانه ينجح في إصابة الهدف، وإذا لم يكن التسديد صحيحا او لم تثبت اليد التي يمسك بها الشعبة نتيجة لرد الفعل الناتج عن تحرير الجلدة وانطلاق الحجر، فانه يفشل في الإصابة. وهذا بالطبع يعتمد على مدى مهارة اللاعب في التسديد والاصابة.

واستخدم الأطفال المغيطة او النقيفة كأداة لصيد العصافير ، وكما استخدم الاطفال النقيفة للتنافس فيما بينهم على إصابة أهداف محددة، او لإطلاق الحجر الى أبعد مسافة يستطيع أحدهما الوصول إليها دون الآخر، محاولا كل منهم إظهار مهارته وإمكانياته ومواهبه في إصابة الاهداف.

كما استخدمها الأطفال لتراشق الحجارة فيما بينهم، خاصة مع أطفال من حارة مجاورة، عند نشوب خلاف معهم..

رمزية الرقم ٧ولعبة ٧ حجار

تعتبر لعبة السبعة حجار من الألعاب التي كنا نمارسها في أيام طفولتنا الغابرة وكنا نختار سبعة قطع من الحجارة تكون ملساء وتفضل أن تكون قطع بلاط نبحث عنها بالعادة أمام المنازل الجديدة ونقوم بوضع الحجارة بعضها فوق بعض وينقسم الأطفال إلى فريقين فريق يرمى الكرة ويسقط الحجارة ويهرب وفريق يحاول اصطياد الفريق الرامي وعلى الفريق الأول حماية نفسه بنطح الكره بالرأس وإعادة بناء الحجارة لكي يظل فائزا.والشيء بالشيء يذكر!..

فالرقم سبعة يرمز أيضا إلى الكمال ويعتبر مقدسا .والأقداح عند العرب سبعة وقد ذكروا أنه كان أمام (هُبَل) في جوف الكعبة سبعة أقدح يستقسمون بها إذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفرا .

و يحدثنا القرآن عن سبع سماوات، و سبعة أبواب للجحيم، و سبع سنوات عجاف مرت بها مصر ، و سبع ليال سخرت فيها الرياح المهلكة على قوم عاد، و سبعين رجلا جمعهم موسى لميقاته مع الله. و سلسلة في جهنم طولها سبعون ذراعا، والعلم يخبرنا إن النور يتألف من

سبعة ألوان هي ألوان الطيف، من الأحمر إلى البنفسجي. ثم يأتي بعد ذلك سبعة ألوان غير منظورة من تحت الأحمر إلى فوق البنفسجي، و هكذا في متتاليات سباعية .

و الموسيقى يتألف سلمها من سبع نغمات: صول، لا، سي، دو، ري، مي، فا.. ثم تأتي النغمة الثامنة فتكون جوابا للأولى، و يعود فيرتفع بنا السلم سبع نغمات أخرى، و هكذا سبعات سبعات.

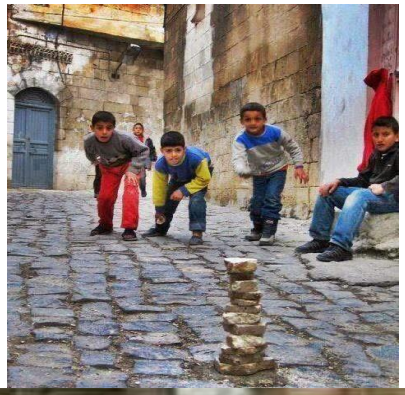

لعبة الزقوط

أكثر الألعاب مع العائلة والأصدقاء هي "خمسة أحجار". بكل تأكيد لن يعرفها الجيل الجديد ولكن كانت هي اللعبة الأكثر انتشاراً لسبب بسيط. كل ما تحتاجه هو 5 أحجار!

يفترش اللاعبون الأرض وبين أيديهم خمسة احجار صغيرة ملساء حيث يقوم من عليه الدور بالتالي:

1- بقذف الأحجار الصغيرة على الأرض ويختار منها واحداً في اليد ثم يقوم بقذفه في الهواء والتقاط الأحجار واحداً تلو الآخر، وتسمى هذه الحركة (واحد)

2- ثم تتم إعادة نفس الحركة والتقاط كل حجرين معا، وتسمى هذه الحركة (اثنان)

3- ثم تعاد الحركة مرة أخرى وتلتقط ثلاثة أحجار معا وواحداً وحده, وتسمى هذه الحركة (ثلاث)

4- ثم يحاول اللاعب قذف واحداً في الهواء مع التقاط الحجارة الأربعة معا، وتسمى هذه الحركة (أربعه،)

5- ثم ينثر الأحجار الخمسة على الأرض ويتم اختيار واحداً في اليد، ثم يتم وضع اليد الأخرى على الأرض بتقويس الإبهام والسبابة بحيث تكون اليد على شكل مغارة، ثم يطلب من المشاركين في اللعبة اختيار أحد الأحجار عندما يسألهم فيختارون أصعب موقع للحجاره، ثم يحاول إدخال جميع الأحجار داخل المغارة بشرط إدخالهم بحركة واحدة فقط وإذا نجح في ذلك يصل إلى آخر مرحلة وهي حيث يضع الخمسة أحجار في الكف وهنا تحتسب له نقاط بعدد الحجارة التي استطاع أن يلقفها . وينتهي الدور الأول

بعد أن كبرنا وقرأنا كثيراً عرفنا ان الألعاب جزء من مكونات الشخصية ومكونات النمو والثقافة.

في بواكير سنوات التكوين الاولى لم نكن نعرف لكننا كنا نلعب فهذه طبيعة الطفولة والصبا وكانت ألعابنا او مجموعة ألعابنا قياساً بألعاب اطفال هذا الجيل ألعاباً فقيرة ومتواضعة الى أبعد الحدود .

كنا نجمع المبلغ المتواضع لشراء كرة وكان ثمنها ليره او اكثر وكانت فاجعتنا كبيرة حين تقع في حقل امرأة من نساء الحي عصبية يزعجها لعبنا وصراخنا فتشق كرتنا بسكينها وترمي لنا بها جثة هامدة لنندب حظنا العاثر ونجرر خطانا الصغيرة مهزومين بحزن عميق على كارثة الخسارة التي لا تعوض ونظل ننتظر أياماً وربما أسابيع حتى نستطيع جمع مبلغ آخر جديد لشراء كرة جديدة بعد تلك التي مزقتها السكين !!

يسألنا أبناء الجيل الجديد قائلين تتذكرون ايامكم والعابكم بحنين وشوق رغم قحطها وفقرها ، ولا يعلمون اننا نتذكر جزءاً من عمر مضى لا شك كان جميلاً وكان اصيلاً وكان بسيطاً وكان مفتوحاً كقلوبنا. لسنا نعيش عقدة النوستالجيا او الحنين ولكننا في شريط الذكريات نستعيد لمحات من حالة اجتماعية سوسيولوجية نفتقدها الآن بقوة لفقداننا لتلك الروابط وتلك العلاقات الحميمة ولذلك النسيج الاجتماعي المتلاحم بشكل نحتاجه الآن وبالنتيجة نتوق اليه ونشتاقه ونطلبه. لا نحتاج ألعابنا حين نتذكر تلك الألعاب ولكننا نحتاج الحالة المجتمعية التي كانت تربطنا وتشكل علاقات متميزة بالحب رغم كل الخلافات ومتميزة بالتسامح .

وهو ما نفتقده في وطننا.. لذا فسيظل الحنين تعبيراً عن حاجة وطوبى لتلك الايام. فهل يعيد جيلنا الجديد انتاجها ؟ سؤال لا أملك الاجابة عليه ولست ضارب رمل لكنني متعلق بذلك الامل الذي لا ينطفئ في وجداني وفي وجدان وطن يظل جميلاً بأمله وحلمه .

الأستاذ الدكتور محمد مراد

الوحدة الوطنية تبقى رافعة إستقلال لبنان وتحصينه من إستهدافات الخارج

بعد مئة وسنوات ثلاث على نشاة الدولة اللبنانية الحديثة، وإحدى وثمانين سنة على إعلانها دولة مستقلة وذات سيادة، وصلت اليوم الى المستوى الأدنى في انحدارها العمودي نحو التفكك والتلاشي نظرا للتصدّعات الخطيرة التي باتت تحكم هياكلها البنائية في اجتماعها السياسي وفي نظمها الاقتصادية والمؤسسية والمصرفية والمالية.

يتوقف المراقب المتابع في رصده للمسار التاريخي الذي عرفته الدولة منذ لحظة استقلالها وحتى باتت اليوم قاب قوسين او ادنى من الهبوط في المجهول، يتوقف عند جملة من الحقائق الموضوعية، كان من أبرزها أربع هي الأكثر بروزا كدالاّت توصيفية للمسارات التطورية التي واكبت الدولة الاستقلالية منذ العام ١٩٤٣ وصولا الى راهنها الحالي:

- الحقيقة الأولى، إن استقلال لبنان عام ١٩٤٣ كان تعبيرا لبنانيا جامعا عن حاجة وطنية لكل تشكّلات المجتمع اللبناني بطوائفه المتعددة وبشرائحه الطبقية وبسائر نخبه وقواه المدنية من أحزاب سياسية ونقابات عمالية ومهنية وهيئات وروابط أهلية على اختلافها. وقد بدأ هذا الاجماع الوطني يظهر بتجلياته الواضحة إبان معركة الاستقلال بين ٨ و٢٢ ت٢ ١٩٤٣. اما القول ان الصيغة الميثاقية غير المكتوبة التي توافق عليها الزعيمان البارزان آنذاك بشارة الخوري ورياض الصلح هي التي أنتجت الاستقلال فهو قول لا يعكس كامل الحقيقة التاريخية، فالميثاقية بين الرجلين لم تكن سوى تعبير وانسجام مع حالة وطنية كانت قد باتت شعورا مسيطرا على سائر مناطق وطوائف وشرائح طبقات المجتمع اللبناني. فبعد ما يقرب من الربع قرن على قيام الدولة (١٩٢٠--١٩٤٣)، انخرط اللبنانيون في شبكات من المصالح الحياتية

الاقتصادية والاجتماعية والتربوية المشتركة لدرجة باتوا معها يشعرون بحقيقة الهويّة الوطنية، وأن الدولة هي الحاضنة الوطنية الجامعة لكل اللبنانيين.

- الحقيقة الثانية، أن الطائفية السياسية كانت بمثابة القطبة الخفية التي لم تسع النخب الحاكمة، بعد الاستقلال، الى معالجتها ومحاصرة مفاعيلها. ورد ذلك في البيان الوزاري لحكومة الاستقلال الأولى التي ترأسها رياض الصلح حين قرأ بيانها الوزاري في ٧ت١ معلنا ان لبنان يتطلع الى اليوم الذي تنتهي معه الطائفية في السياسة والادارة ومؤسسات الدولة، وفي كل ما من شانه ان يعوّق الاندماج الوطني للشعب اللبناني الواحد.

لم تلجأ النخب الحاكمة الى سحب مفاعيل الطائفية لا سيما في جانبها السياسي وتوزيعات السلطة، لا بل على العكس، كان العامل الطائفي هو المعيار الاكثر بروزا في كل مظاهر الحياة السياسية والادارية وحتى الاجتماعية أيضا.

برز العامل الطائفي كفاعل انقسامي في المجتمع اللبناني، وهذا ما تجلى بوضوح الصورة إبان الخمسينيات والستينيات مع بروز ظاهرة الطائفية السياسية في الوسطين الاسلامي والمسيحي، اذ في الوقت الذي تفاعلت القوى الاسلامية مع تصاعد المدّ القومي بفاعليه البعثي والناصري، وراحت معه تضفي طابعا أيديولوجيا على القومية العربية يربط عضويا بين العروبة والاسلام، راحت بالمقابل، القوى المسيحية تعمل على أدلجة القومية اللبنانية من خلفية عقيدية تربط بين خصوصية الوجود المسيحي واستقلال لبنان والدولة اللبنانية. تعاظمت الفجوة الانقسامية مع دخول الفصائل الفلسطينية المسلحة الى لبنان، حيث وجدت القوى المسيحية في هذا التطور ما يشكل خللا في التوازنات الداخلية السكانية والعسكرية والسياسية، الأمر الذي راح يدفع بسرعة الى حرب أهلية استمرت تتلاحق بفصولها المأساوية لأكثر من خمس عشرة سنة بين ١٩٧٥-١٩٩٠. توقفت هذه الحرب ميدانيا بفعل تدخلات عربية وأجنبية خرجت بتسوية ميثاقية جديدة على أساس وثيقة الطائف لعام ١٩٨٩، التي لم تكن في الواقع الا تعويما لبنية سياسية للسلطة التي حكمت الدولة اكثر تطييفا

للواقع السياسي والاجتماعي من ذي قبل. فقد جاءت التسوية الجديدة لترسي معادلة في الحياة السياسية على اساس المحاصصة بين زعامات الطوائف، الأمر الذي جعل الاستقلال والسيادة أمام التحدي الأصعب، حيث لا استقلال ولا سيادة في ظل الاستثمار السياسي للعصبيات الطائفية والمذهبية في كل مرة يعاد فيها تركيب وانتاج السلطة من جديد، لاسيما مع تشكيل المجالس النيابية والوزارية وانتخاب رئيس للجمهورية

- الحقيقة الثالثة، وهي ان النظام العربي الرسمي يتحمل المسؤولية الكبرى في إهماله معالجة الوضع اللبناني، وفي تجاهله الخصوصية اللبنانية لجهة تنوعها الروحي والثقافي من جهة، ونزوع اللبنانيين الجامح منذ القدم للحرية والاستقلال متأثرين بعامل الجغرافية عبر تفاعل ثنائية الجبل– البحر من جهة أخرى. لم يعر النظام الاقليمي العربي الذي ظهر في اعقاب الحرب العالمية الثانية وتحت يافطة جامعة الدول العربية، لم يبادر الى المحافظة على الخصوصية اللبنانية بهدف المساعدة على توفير ما يلزم لتعزيز الوحدة الوطنية واتاحة الفرصة لتطوير الدولة اللبنانية في الاتجاه الذي يؤسس لهوية وطنية لبنانية عابرة للطوائف والمذاهب المتعددة.
- الحقيقة الرابعة، تمثلت باستغلال الخارج الاقليمي والدولي الساحة الاجتماعية والسياسية اللبنانية بوصفها الساحة الرخوة والسهلة الاختراق لاختزانها ركائز داخلية انقسامية سريعة الاستجابة للتفاعل الولائي مع الخارج القريب والبعيد، يستطيع استثماره في الاختراق والتغوّل، وفي توظيفه في مشروعاته الاستراتيجية سواء على المستوى الاقليمي ام على المستوى العالمي لناحية قيام نظام دولي جديد.

مع الحقائق الأربع المشار اليها بقي استقلال لبنان منذ ١٩٤٣ وحتى اليوم أسير التجاذبات الطائفية السياسية لا بل المذهبية السياسية في الداخل، الى قصور النظام الرسمي العربي عن دوره في معالجة الحالة اللبنانية باعتماده استراتيجية عربية من شأنها تعزيز البناء الوطني لدولة لبنانية تنعم بالاستقلال والحرية من جهة، وتكون قادرة على مواجهة التغولات والاستهدافات الخارجية من جهة اخرى.

إن لبنان اليوم، وبعد إحدى وثمانين سنة على نيله استقلاله الوطني، وصل ككيان وطني ومجتمعي ودولة الى اللحظة الفاصلة بين أن يكون أو لايكون. فمنذ أكثر من ثلاثة عشر شهرا والشعب اللبناني برمته يدفع غاليا أثمان حرب مكلفة جدا ليس في خسائره البشرية والمادية والاقتصادية والاجتماعية والنفسية، وإنما، وهذا هو الأخطر على المصير الوطني، في مخاطر التهديد الواضح لاقتطاع أجزاء واسعة من أرضه الوطنية في الجنوب والبقاع وبمساحة قد تصل الى نحو ثلاثة آلاف كم٢ أي ما يمثل حوالي الثلث من جغرافيته السياسية المحددة دوليا ب ١٠٤٥٢ كم٢. هذا مع دفع اكثر من مليون ونصف المليون نسمة من سكانه الى التشرد والنزوح القسري والهجرة كشتات في بقاع العالم المختلفة.

إنها الحرب الأخطر على الوجود اللبناني بكل مقوماته كمجتمع ودولة وسيادة واستقلال ومستقبل لشعب سبق له أن سجّل سبقا حضاريا وابداعا معرفيا وعلميا واستعدادا للابداع والتميز في نشاطه الانساني عبر التاريخ..

أود في معرض الحديث عن الحرب المدمرة التي ماتزال مستعرة وتطال بنيرانها واكلافها الباهظة كل لبنان بكل مناطقه وتنوعاته الروحية والثقافية والسياسية، اود ان أشير في ذكرى الاستقلال الحادية والثمانين الى جملة حقائق على درجة عالية من الأهمية:

- **الحقيقة الأولى، ليس هنالك من أي مشكلة بين أبناء الشعب اللبناني بكل تنوعاته المشار اليها، وقد ظهرت هذه الحقيقة في كل مسلسلات الحروب التي عرفها لبنان في تاريخه الحديث والمعاصر..**

أذكر للتاريخ اننا كنا طلابا في الجامعة اللبنانية ثم اساتذة فيها، كنا من كل الطوائف والمذاهب متفاعلين ومتشاركين ومتكاملين في انشطة اكاديمية وتعليمية ومعرفية. وإني اشير اليوم الى الروح الوطنية في أعلى تجلياتها في تعامل أهلنا من كل الطوائف اللبنانية الكريمة مع نازحي أهل الجنوب والبقاع والضاحية، فقد فتحوا بيوتهم لإيواء النازحين الهاربين من نيران الحرب، مقدمين لهم كل المعونة والمحافظة على امنهم وكرامتهم. وهنا لا بد لي من التنويه بمواقف الكثيرين الكثيرين من أصحاب النخوة الوطنية والانسانية، واخص بالشكر والتقدير العالي

الزملاء من الأساتذة الجامعيين العصاميين عصام خليفة وابراهيم مارون وأسعد منصور وانطوان ضومط، والعمداء السابقين في الجامعة ابراهيم محسن، وعبد الرؤوف سنو، وعبدالله سعيد وغيرهم الكثير من الاساتذة والأصدقاء الذين فاضت مشاعرهم الوطنية الصادقة والأصيلة في مواجهة ازمة النزوح الناجمة عن الحرب التدميرية وويلاتها.

ولا بد لي ايضا ان أشير الى موقف ملفت للدكتور عصام خليفة المؤرخ المبدع والنقابي الوطني المتفاني في سبيل لبنان المتقدم والمتطور والسيد المستقل، هو عصام خليفة الذي اشاد بعصامية أهلنا في دير الأحمر الذين احتضنوا عشرات العائلات النازحة من البقاع والجنوب فقدموا لها كل عون لتخفيف معاناة النزوح والتهجير بسبب الحرب..

هذا هو لبنان مجتمع واحد موحّد على قواعد راسخة في الانتماء والهويّة الوطنية والمصير الواحد المشترك. مشكلتنا في نظامنا السياسي وفي الزعامات التي راحت تستثمر الطائفية والتطييف السياسي من أجل ان تبقى ثابتة وتعيد انتاج زعامتها في كل مرة يعاد فيها تركيب السلطة الحاكمة على مستوياتها الهرمية المختلفة.

في ذكرى الاستقلال الحادية والثمانين ندعو الى وقفة ضمير لبناني وطني مترفع عن الغرضيات والفئويات السياسية والطائفية، وشدّ السواعد المشتركة، وتحشيد كل الطاقات الوطنية من اجل استعادة الدولة الوطنية اللبنانية ووضعها على سكة التطور والبناء والسلام الوطني الشامل.

عاش لبنان الواحد الموحد لكل أبنائه المستقل والسيد على ارضه وهويته ومستقبله.

الأستاذ شوقي مارتينوس

الربيع في أيام زمان
(قصة قصيرة)

كان يتسللُ إلى أحيائنا القديمة المتراصّة البيوت، المتشابكة الجدران، المتلاصقة الدور والمتشاركة "الحواكير"...وهناك في الحقول البعيدة يدخل اجتياحاً ، فالحارات ضيقةُ البَراحِ والأزقّة، وقليلٌ تراب الجنائن والفسحات، باستثناء بعض الأحواض و"التَنك" المليء بالتراب، عبّأتْها النساء ذات البشاشة الدائمة، للشعور بقدومه، وإحياء موسمِه، إذ كانت حياتنا كلها مواسم.

نعم ،هو الربيع، إنتظار أهالينا، يهلُّ أوائل آذار، مُرسلاً رسلَه نسيمات دفءٍ، وبراعمَ وعيون أزهارٍ تتفتّحُ عند المداخلِ وفي النوافذ وفوق التصاوبين... أزهارٌ تحويها "تنكات" بأحجامٍ مختلفة، ومقاساتٍ متعددةٍ، وألوانٍ متفاوتةٍ، جمعتْها نساء البلدة على مدى سنين من إستهلاك السمن والزيت والحليب...فلا شيء يُرمى بل كلّ سلعةٍ يُطالِب بها الزمن ويأتي وقتُها. فالناظر إلى درجات البيوت ومداخلها وتصاوينها للمرة الأولى يَعجبُ من إنتشار تلك المجامع التي أَلِفتْها أنظارُنا، فقد اعتدناها.

مجامعُ تتغلغل في أتربتها جذورُ أزهارٍ بلديةٍ، قمة في الجمال والروعة، وتثاقُفِ الألوان، وعبق العطور، وانتشار الشذى، تتفاخرُ بها وتتسابق ربّاتُ البيوت في إظهار رونقها وجمالها وإطالة عمرِها .

تلك مزارعُ إنموذجية- إذا صح التعبير- لأصناف مهددة بالإنقراض، إختفى معظمُها اليوم بانكفاء تلك الزارعات من أمّهاتٍ وخالات وجدات وعمات...

بعضُ جيوب الربيع في أزقّتنا ،فلا طاقةَ له أكبر، تواجدٌ متواضع يُفَعِّله شمّ النسيم والمَضْعَف، زنبقُ مار يوسف، وشبُّ الليل، وغيرها من الأصناف الزاهية الألوان... حيث تعمد النساء إلى إكثارها عن طريق المبادلة والمقايضة.

تلك أيام ولّت، فقد تغيّرت عبوات السمن والحليب والزيت، وطغى النايلون و"فازات" البلاستك على كل شيء حتى الهمم ،فلا سفارات للربيع بين تلك الدور الضيقة أو ما تبقى منها، ولا رسمَ للزينة(البدوية) على علب السمنة، أورسوم البقرة الحلوب ...ولا شذى للزهور مع النسيمات الدافئة في الأمسيات، ولا عطورَ للزنابق التي استقامت في الأحواض ولا...
كلها ذوت مع من ذووا، تلاشى أريجُها مع من راحلوا ؛ عاجزون نحن عن توصيفها لأولادنا، فهم ما اختبروا رائحة تلك الأمهات والجدات والخالات والعمات.

الحاج حسيب عواضة

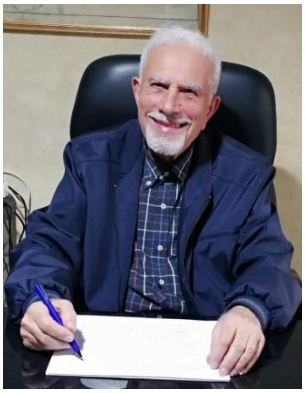

عمالة الأطفال، أزمة تتفاقم

منذ آلاف السنين والمجتمعات الإنسانية تسعى إلى رعاية القوى البشرية، وتوفير أفضل الظروف لتنمية وحماية الإنسان . لأنها تتقدم به ومن أجله، لذا فقد حرصت على مرّ العصور على الإهتمام بالطفولة ، بوصفها مرحلة هامة من حياة الإنسان، فضلاً عن كونها تمثل ثروة الأمة ومستقبلها . غير أنه كثيراً ما تتعرّض المجتمعات إلى ظواهر إجتماعية سلبية ، نتيجة إختلالات واضحة ، وتغيرات تنبئ عن تحديات يتحمّل الأطفال نصيباً منها ، وهذا ما شهدته المجتمعات في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي ، وظهور الثورة الصناعية بأوروبا، حيث برزت للوجود ظاهرة عمالة الأطفال، نظراً لكثافة التصنيع ، والتطوّر السريع في كامل أرجاء أوروبا. مما جعل العديد من أرباب العمل والصناعة يستعينون بالأطفال نظراً لتدني أجورهم. فتوزعت عمالة الأطفال في مختلف أنحاء العالم، خاصة في بلدان العالم الثالث في قارات (آسيا، إفريقيا، أمريكا اللاتينية)، التي تواجهها الكثير من التحديات ، الناجمة عن الإختلالات الإجتماعية والإقتصادية والثقافية، وعلى الرغم من جميع التشريعات والأنظمة والإتفاقيات الدولية التي تمنع عمالة الأطفال ، إلا أن المشاهد اليومية لهذه الظاهرة تدل على تفاقمها ، وذلك نتيجة الظروف الأسرية غير السوية.

إذن تعاني المجتمعات في جميع أنحاء العالم من إنتشار ظاهرة تشغيل الأطفال التي تسمّى بظاهرة عمالة الأطفال، وقد عانت المجتمعات منذ القِدَم من هذه الظاهرة ، التي انتشرت بين المدن المتقدمة صناعيّاً، و الدول النامية والفقيرة، وتُعدّ هذه الظاهرة العالمية مشكلة معقّدة، خصوصاً في المجتمعات التي يكون مصدر عمالة الأطفال نابعاً عن الثقافة والتقاليد السائدة في ذلك المجتمع، أو عندما تكون ناتجة عن بُنية البلاد وظروفها الإقتصادية.

أولاً: تعريف عمل الأطفال:

- تعرّف الأمم المتحدة عمالة الأطفال بأنها العمل الذي يحرم الأطفال من طفولتهم وإمكاناتهم، وينال من كرامتهم، ويضرّ بنموهم البدني والنفسي، والذي يشكل خطراً نفسياً أو بدنياً أو إجتماعياً، أو يضرّ أخلاقياً بالأطفال و يؤثر سلباً على دراستهم.
- الطفولة هي تلك المرحلة العمرية التي يمر بها الفرد ، وهي أكثر المراحل التي يتزايد فيها إحتياج الطفل للأسرة، والمجتمع معاً. ذلك لعدم قدرته على الإعتماد على نفسه وتحديد مصيره، كما أنها أكثر المراحل التي يمكن فيها التأثير على الطفل، حيث تمثل الطفولة المرحلة الأولى في حياة الإنسان ، والتي من خلالها تتشكل شخصيته، ويحتاج أثناءها إلى حماية البالغين .
- إختلف العلماء في تحديد معنى الطفولة ، وإن كان يوجد تقارب في رأي علماء الإجتماع وعلماء النفس ، الذين قسموا الطفولة إلى مراحل زمنية يتميز كل منها بطابع محدد يسودها من حيث النمو العضوي ، والنفسي والسلوكي والإجتماعي، مع وجود فروق فردية ترجع لإختلاف ظروفهم الخاصة، التي يتعرضون لها أثناء مراحل النمو المختلفة.
- حدد علماء القانون الطفولة على أساس العمر الزمني، فالطفولة هي مرحلة العمر الأولى ولها خصائص وسمات إجتماعية ونفسية، تختلف تبعاً لإختلاف أوضاع ، وظروف وثقافة كل مجتمع ، وسواء كانت مدة الطفولة حتى النضج الفسيولوجي أو النضج الإقتصادي. فواجب الأسرة والمجتمع ككل الإهتمام بمرحة الطفولة من جميع النواحي الجسمية والعقلية والنفسية والإجتماعية. لأن الطفل في هذه المرحلة يحتاج إلى رعاية وعناية في كافة شؤونه .
- تشغيل أوعمالة الأطفال أو الأولاد ظاهرة تشير إلى إستغلال الأطفال في أي شكل من أشكال العمل مما يحرم الأطفال من طفولتهم، ويعيق قدرتهم على الذهاب إلى المدرسة، ..

- أما ظاهرة عمالة الأطفال فهي إستخدام الأطفال تحت سن الـ 18 عامًا في عمل ما، سواء في القطاعات الصناعية أو الخدمية أو الزراعية، دون الحصول على تعويض عادل أو الإحتفاظ بحقوقهم الأساسية مثل التعليم والرعاية الصحية. ويتم إستخدام عمالة الأطفال بشكل رئيسي في الدول النامية، وتعتبر هذه الظاهرة من أكبر المشاكل الإجتماعية والإقتصادية في العالم، حيث تؤدي إلى تعريض الأطفال للإهمال والعنف والتعرّض للأمراض والإصابات وتفقدهم لفرص التعليم والنمو الصحيح.

ثانياً: أسباب ظاهرة تشغيل الأطفال :

تتعدد الأسباب التي تدفع الأطفال للعمل ومنها:

1-إنتشار الفقر والأميّة بين الأهالي في بعض المجتمعات، ووجود حاجة إلى عمل الطفل للحصول على دخل يُؤمِّن إحتياجات الأسرة.

2-الظروف الإجتماعيّة والإقتصاديّة الصعبة لدى الاسرة.

3-عدم وعي الأهالي بالآثار السلبية والضارّة الناتجة عن عمل الأطفال في سن مبكّر.

4-الإفتقار إلى المهارات الإجتماعية الأساسية.

5-إرتفاع نسبة البطالة بين البالغين من الأهالي.

6-إنتشار بعض القيم الثقافية التي تشجّع على عمل الأطفال في بعض المجتمعات.

7-المشاكل الماليّة والديون المتراكمة التي تعاني منها بعض الأُسر، ما قد يدفع الأطفال للعمل لسدادها.

8-التسرُّب المدرسي.

9-زيادة الهجرة الحضريّة.

10-النزاعات والكوارث الطبيعيّة كالجفاف التي تؤثر على توفر أهمّ إحتياجات الأسرة.

11-إستغلال أصحاب العمل للأطفال لأنّهم يتقاضون دخلاً أقل من البالغين، وفي نفس الوقت لا يعرفون حقوقهم، ممّا يجعلهم أكثر عرضة للإستغلال.

12-إنتشار الجهل، والإفتقار إلى التعليم الأساسي والمهني الجيد.

ثالثاً: نتائج ظاهرة تشغيل الأطفال : أهم النتائج التي تتأتى عن عمل الأطفال، والتي تمتاز بالسلبية في الظروف الصعبة، ما يأتي:

1- حرمان الأطفال الذين يعملون في سن مبكر من طفولتهم، ومن حقهم في التعليم، وحقهم في إمتلاكهم مهارات إجتماعية وأساسيّة تمكِّنهم من العيش ضمن هذا العالم الذي يتطوّر بإستمرار.

2- تهديد أخلاق الطفل والمسّ بكرامته، خصوصاً في حالات الإستغلال الجنسي.

3- تعريض الأطفال العاملين للعديد من المشاكل الصحيّة كسوء التغذية، والشيخوخة المبكّرة، والمشاكل النفسيّة كالإكتئاب، إضافة إلى زيادة فرصة الإدمان على الكحول والمخدرات.

3- إستغلال أصحاب العمل للأطفال بمختلف الطرق، بسبب عدم وجود حماية لهم، وخصوصاً الأطفال المختطفين، حيث يحاول أصحاب العمل عزلهم عن الآخرين، وفرض السيطرة المطلقة عليهم، وعدم توفير ظروف مناسبة للعمل لهم، وإنتهاك حقوقهم الطبيعيّة الأساسية.

رابعاً: أنواع الأطفال العاملين: تُقسّم منظمة العمل الدوليّة أنواع الأطفال العاملين إلى ثلاث فئات، وهي كالآتي:

1- الأطفال المستخدمون: تُعدّ فئة الأطفال المستخدمين الفئة الأكثر إنتشاراً على مستوى العالم، وتشمل: عمل الأطفال في جميع أنواع الأنشطة الإنتاجية المدفوعة، وبعض الأنشطة غير الإنتاجية، كإنتاج السلع المنزليّة الخاصة بالإستخدام الشخصي، وهذا لا يُعدّ نشاطاً إقتصادياً، أو عمل الأطفال في خدمة منازل الآخرين، ومن الجدير بالذكر أنّ الأنشطة الإقتصادية ضمن هذه الفئة لا تقتصر على الأنشطة القانونية، لكنّها تشمل أيضاً الأنشطة غير القانونية.

2-الأطفال العاملون أو العمال الأطفال: تُعدّ فئة العمال الأطفال أو الأطفال العاملون الفئة الأكثر تقييداً من الفئات الأخرى، مع وجود بعض الإستثناءات، وتشمل هذه الفئة الأطفال الذين تزيد أعمارهم على 11 عاماً، ويعملون لساعات قليلة، بأعمال خفيفة لا تعيقهم عن ممارسة أنشطتهم الأخرى كالذهاب إلى المدرسة أو التدريب المهني، ويُستبعد من هذه الفئة الأطفال الذين تزيد أعمارهم على 14 عاماً والذين لا يشاركون بأداء أيّة أعمال خطيرة.

3-الأطفال في الأعمال الخطيرة: تشمل فئة الأطفال في الأعمال الخطيرة الأطفال الذين يعملون في أيّ عمل خطير، وهو العمل الذي يُعرّضهم إلى العديد من الأضرار، سواء المتعلّقة بسلامتهم وصحتهم الجسميّة، أو المتعلّقة بحالتهم المعنويّة وصحتهم النفسيّة.

خامساً: إنتشار عِمالة الأطفال

منذ عام 2000، أي على مدار ما يقرب من عقدين من الزمن، كان العالم يحرز تقدماً مطرداً في الحدّ من عمالة الأطفال. ولكن على مدى السنوات القليلة الماضية، أدت الصراعات والأزمات وجائحة "كوفيد-19" إلى سقوط المزيد من الأسر في براثن الفقر، وأجبرت ملايين الأطفال الآخرين على عمالة الأطفال. ولم يكن النمو الإقتصادي كافياً، ولا شاملاً بما فيه الكفاية، لتخفيف الضغط الذي تشعر به الكثير من الأسر والمجتمعات، والذي يدفعهم إلى اللجوء إلى عمالة الأطفال. واليوم، لا يزال ملايين الأطفال منخرطين في العمالة . وهذا يمثل ما يقرب من واحد من كل عشرة أطفال في جميع أنحاء العالم.

وتحتل أفريقيا المرتبة الأولى في ما يتصل بعدد الأطفال الملتحقين بأعمال الأطفال، تليها منطقة آسيا والمحيط الهادئ في المرتبة الثانية، وبالتالي، يوجد في مناطق أفريقيا وآسيا والمحيط الهادئ معًا ما يصل إلى تسعة من كل عشرة أطفال مصنفين ضمن ظاهرة عِمالة الأطفال. وتتوزع الأعداد المتبقية بين الأمريكتين ، وأوروبا وآسيا الوسطى ، والدول العربية...

في حين أن النسبة المئوية للأطفال ضمن عِمالة الأطفال هي الأعلى في البلدان منخفضة الدخل، فإن أعدادهم في الواقع أكبر في البلدان المتوسطة الدخل.

سادساً: آثار تشغيل الأطفال:

1-الآثار الصحية: ينتج عن تشغيل الأطفال أو عمالة الأطفال العديد من الآثار الضارّة التي تنعكس على صحتهم، فقد يتعرّض بعض الأطفال العاملين للعديد من الإعتداءات الجسدية، والجنسية، إضافة إلى سوء المعاملة العاطفية، ويتمثّل ذلك بالعقاب البدنيّ كالضرب، أو من خلال الشتم، واللّوم، والرفض، والإهانة، إلى جانب إهمال تأمين إحتياجاتهم من الغذاء، والمأوى، والعلاج، والملابس، وقد يظهر ذلك على شكل إصابات مختلفة في أجسامهم، كالحروق، والجروح، والكسور، والإرهاق، والدوار، وغيرها.

لا تقتصر أضرار عمالة تشغيل الأطفال على مجال عمل محدّد، إذ يعمل الأطفال في العديد من المجالات المختلفة، ويجدر بالذكر أنّ آثار تشغيلهم تختلف بإختلاف الأعمال التي يقومون بها، ولكنّها بالمجمل تعود بأضرار عديدة على الجانب الصحيّ لهم على المدى الطويل، بالاضافة إلى الإرهاق، والأذى النفسي الذي يلحق بهم نتيجة لذلك، ففي مجال الزراعة، يمكن أن يتعرّض الأطفال العاملون للعديد من الأضرار الناتجة عن إستخدام المبيدات الحشرية، أو الأسمدة السامّة والضارّة، كما يمكن أن يتعرّضوا لمخاطر إستخدام بعض الأدوات الحادّة، أو حمل الأوزان الثقيلة، ويُعدّ مجال التعدين واحداً من مجالات تشغيل الأطفال التي يمكن أن تُلحق الأذى بهم، وذلك من خلال إستخدامهم للمواد الكيماوية السامّة.

كذلك تتمثّل الأخطار الناجمة عن تشغيل الأطفال في مجال البناء برفع الأوزان الثقيلة، والعمل على إرتفاعات عالية جداً دون توفير وسائل السلامة والأمان، إضافة إلى خطر تعرّضهم للإصابات المختلفة نتيجة إستخدام الآلات الخطيرة، أمّا في مجال التصنيع، فقد يتعرّض الأطفال لإستخدام المواد المُذيبة السامّة، إضافة إلى القيام بمهام متكرّرة بوضعيات مؤلمة، وتعرّضهم لخطر إستخدام الأدوات الحادّة.

2-الآثار النفسية: يتأثّر الجانب الإجتماعي للأطفال العاملين سلباً بسبب العمل، فبدلاً من قضائهم مرحلة الطفولة باللّعب مع غيرهم من الأطفال، والإستمتاع مع أفراد عائلاتهم، والتفاعل مع الآخرين بطريقة سليمة وصحيحة، فإنّهم يقضون الكثير من الوقت في العمل، ممّا يؤدّي إلى ضعف قدراتهم على التواصل الإجتماعي بالأسرة والمجتمع، إلى جانب ضعف كبير في بناء شخصياتهم، وإنخفاض ثقتهم بأنفسهم، وقد يواجه بعض الأطفال العاملون مشاكل نفسية تتمثّل بالإكتئاب، فالأطفال والمراهقون الذين يعملون أكثر من 20 ساعة في الأسبوع معرّضون لإكتساب عادات سيئة وغير سليمة بشكل كبير كإدمان المخدّرات، إضافة إلى نموّ السلوك العدوانيّ في شخصياتهم. هذا وتنعكس الآثار النفسية على الأطفال العاملين بجوانب عدّة أخرى تتمثّل في تعرّضهم للتنمّر، والمضايقات، والرفض من قبل زملائهم وأقاربهم، إلى جانب عدم تلقّيهم لمعاملة عادلة، ممّا يؤدّي إلى تنمية العزلة الإجتماعية لديهم، وضعف روابطهم

العاطفية، وإمكانية ممارسة سلوكيات خطيرة كالجرائم في بعض الأحيان، ويجدر بالذكر تعرّض الأطفال العاملين للإستغلال المادي دون وجود أيّ أمان وظيفي.

3- الآثار الأكاديمية: يؤثّر تشغيل الأطفال أو عمالة الأطفال سلباً على حياتهم التعليمية، إذ يقضي الطفل معظم وقته في العمل بدلاً من تخصيصه للدراسة، ممّا يشكّل عبئاً عليه، ويسبّب له التعب والإجهاد، وهذا بدوره يؤدّي إلى ضعف قدرة الطفل على متابعة تعليمه، وقيامه بالنشاطات الدراسية والأكاديمية، والإندماج بالبيئة التعليمية، ومن جانبٍ آخر تشير الدراسات إلى عدم قدرة الأطفال العاملين على التوفيق بين المدرسة والعمل، ممّا يؤدي إلى شعورهم بالقلق وضعف في التركيز، كما يساهم عمل الأطفال بتدنّي أدائهم في المدرسة، أو إنقطاعهم عن التعليم.

4-الآثار الإقتصادية : يؤثّر تشغيل الأطفال على نموّ المجتمع على المدى الطويل، إلى جانب تأثيره المباشر على حياة الفرد والأسرة، إذ يمكن أن تعاني المجتمعات التي ترتفع فيها نسبة عمالة الأطفال من فقد التوازن المجتمعيّ بسبب إرتفاع نسبة العمالة غير المتعلّمة، ممّا قد يحدث تدنّي في مستوى الإنتاج وجودة السلع المنتجة، لذا لا بدّ من السعيّ للحصول على جيل جديد قادر على تحدّي الصعوبات، بهدف السعيّ للحصول على إنتاجية أفضل في المستقبل، ويكون ذلك من خلال إرسال الأطفال لتلقّي التعليم فضلاً عن تشغيلهم، حيث سيكون لهم دور فاعل عند تلقّيهم التعليم المناسب، الأمر الذي قد يرفع من إنتاجية وجودة السلع على المستويين المحلي والدولي. هذا ويرسل الآباء أطفالهم إلى العمل إعتقاداً منهم أنّ ذلك يساهم في مساعدتهم على مواجهة ظروف الحياة المعيشية الصعبة، إلّا أنّهم قد يغفلون عن الآثار السلبية لتشغيلهم على المدى البعيد، فقد تتعارض عمالة الأطفال مع تلقّيهم التعليم في المدارس، إلى جانب إفتقارهم إلى القدرة على رفع الإنتاجية، وزيادة أرباحهم المستقبلية، ممّا يعني إنخفاض الدخل المستقبلي لأسرهم، الأمر الذي قد يؤدّي إلى إنتشار الفقر، وزيادة إحتمالية تشغيل أطفالهم أيضاً في المستقبل. كما تُعدّ المهارة في القيام بالأعمال أمراً مهماً، إلّا أنّ نوع العمل الذي يقوم به الأطفال يحتاج إلى القليل من المهارة، والتعليم، والتدريب المتخصّص، لذا تفتقد الدول ، التي تمتلك الكثير من الأطفال العاملة، للعمالة الماهرة، الأمر الذي قد يؤدّي إلى

إنخفاض الأجور، وبالتالي إرتفاع نسبة تشغيل الأطفال. ويجب الإشارة إلى تقلّص قدرة الدول التي ترتفع فيها نسبة عمالة الأطفال على جذب وإستقطاب الإستثمارات الأجنبية.

سابعاً: السياسات الصحية لعمالة الأطفال :

إن الأوضاع السيئة التي يعاني منها الأطفال العاملون قد أبرزت الوعي العام بالمشكلة وأضرارها ، حيث ظهرت أولى المعالجات القانونية للمشكلة في الدول الصناعية في بداية القرن الثامن عشر، وقد أدى ذلك إلى صدور القوانين التي ركّزت إهتمامها على عدم تعرّض الأطفال العاملين إلى مخاطر تؤثر على الوضع الصحي أو النفسي لهم، وقد ترجمت دول عديدة إهتمامها بالمشكلة إلى سنّ العديد من التشريعات التي حددت فيها طبيعة الأعمال التي يحظر فيها إستخدام الأطفال، وتحديد ساعات العمل التي يحظر على الطفل العمل خلالها، ووضعت شروطاً لأماكن العمل وبيئته وما شابه.

إن الدراسات الصحية لعمالة الأطفال ترسم صورة واضحة عن الوضع الصحي للأطفال العاملين، ولا سيما عن مدى تعرضهم للإيذاء الجسدي أو النفسي، وعليه فإن معرفة الوضع الصحي لهم يحتاج إلى دراسات تفصيلية متخصصة، ولدراسة مدى أثر العمل على صحتهم الجسدية والنفسية وما شابه.

وعلى الرغم من التطور الإيجابي للقطاع الصحي ، إلا أن هذا القطاع مازال يواجه تحديات كبيرة ، منها مشكلة النمو السكاني السريع والمرتفع، الذي يحد من الآثار الإيجابية لرفع كفاءة الأداء ، والتوسع في الخدمات ، وزيادة التغطية الجغرافية والنوعية ، ومن ضمنها الخدمات التي تعنى بصحة الأطفال العاملين وأسرهم في بُعْدَيْها العلاجي والوقائي .

ويتعرّض الأطفال العاملون إلى أخطار صحية كثيرة تعيق نموهم البدني وتطورهم العقلي والنفسي ، ومن هنا تأتي ضرورة الإهتمام بالجانب الصحي وتنظيم الأسرة في معالجة المشاكل الناتجة عن عمالة الأطفال : ومن أهم المشاكل التي يعاني منها الأطفال نذكر ما يلي :

1- مشاكل العنف والإنحراف : تزيد معدلات العنف والجريمة في الدول التي ترتفع فيها معدلات عمالة الأطفال ، إذ أن هؤلاء الأطفال عادة ما يكونون بلا وازع ولا رقيب ويختلطون بمن هم أكبر منهم سناً ، ونتيجة لذلك يضطر هؤلاء الأطفال للإنخراط

في شبكات العصابات المنظمة، وغالباً ما يلجأون الى مجالات السرقة . . . وتجارة المخدرات والترويج لها .

2- إكتساب عادات سيئة مثل التدخين والتعامل مع المسكرات والكحول .

3- التعرّض لعملية نصب وإحتيال وعدم دفع مستحقات تعلم والغش والتعرّض لإغراءات رفاق السوء... مما قد يؤدي إلى الإنحراف والإنزلاق في إرتكاب أعمال غير قانونية كالسرقة وتعاطي المخدرات وترويجها .

4- التعرّض لمخاطر جرائم الخطف .

5- التعرّض للتحرش الجنسي .

6- التعرّض لأشكال مختلفة من الإستغلال.

ثامناً: تفاعل ظاهرة عمالة الأطفال مع ظاهرة أطفال الشوارع:

ترتبط مشكلة عمالة الأطفال بظاهرة أطفال الشوارع، حيث يتعرض الأطفال للإستغلال من قبل أصحاب العمل الذين يستغلون ظروفهم الإقتصادية الصعبة، ويجبرونهم على العمل بدلاً من الذهاب إلى المدرسة. وبالتالي، تتفاعل مشكلة عمالة الأطفال مع ظاهرة أطفال الشوارع بشكل مباشر، حيث يتعرض الأطفال المشردين لخطر الإستغلال في العمل، وقد يتعرضون لظروف عمل قاسية وأجور زهيدة. وبالتالي، يجب مكافحة كلا الظاهرتين بشكل شامل من خلال توعية الأسر، وتوفير فرص التعليم والعمل الآمن للأطفال وحمايتهم من الإستغلال والتحرش والعنف.

تاسعاً: الدول التي تعاني من ظاهرة عمالة الأطفال:

وفقا لمنظمة العمل الدولية (ILO)، فإن الدول التي لديها أكبر عدد من الأطفال العاملين هي الهند وباكستان وبنغلاديش والصين والبرازيل. وتمثل هذه البلدان أكثر من نصف عدد الأطفال العاملين في العالم. إن عمالة الأطفال هي قضية عالمية، وهي تحدث في العديد من البلدان خارج هذه الدول الخمس. وغالباً ما توجد في البلدان النامية التي تعاني من نقص الموارد وفرص العمل، ويضطر الأطفال إلى العمل لإعالة أسرهم.

عاشراً: الحلول المقترحة للحد من ظاهرة تشغيل الأطفال: ونُدرج في ما يأتي عدد من الحلول:

1- **حلول فردية:** أهم الحلول التي يمكن للأفراد تقديمها للمجتمع للمساعدة في الحد من ظاهرة تشغيل الأطفال:

أ- التبرع بمبالغ مالية حسب القدرة، من أجل دعم البرامج التي تهدف لحماية الأطفال من العمل، وتجنب تعرضهم للعنف وسوء المعاملة.

ب- المبادرة في رعاية الأطفال المعرّضين للعمل، وذلك من خلال التكفّل بدراستهم، وهذا حتمًا يُساعد على بناء مجتمع جيد يُهيئ الأطفال جيدًا قبل دخولهم لمجال العمل.

ت- التواصل مع تجار التجزئة والمستوردين، والتأكد من عدم تشغيل الاطفال في عملهم، وإشتراط هذا الأمر حتى يتم الشراء من هذه المصانع.

ث- التطوّع بالوقت للسعي والبحث عن الأطفال العاملين، ومحاولة مساعدتهم، وتخليصهم من هذا الإستغلال، وإرجاعهم للمدارس حتى يُكملوا تعليمهم.

ج- الإلتزام بأخلاقيات الإستثمار، والحرص على التأكّد من عدم وجود إستغلال للأطفال في المشاريع التي يُساهم بها الأفراد.

ح- المساهمة في توعية المجتمع عن مخاطر عمالة الأطفال، وذلك من خلال العروض التقديمية، في عدد من المؤسسات مثل؛ المدارس، والمنظمات المحلية، والجامعات، إذ تُساهم هذه الطريقة في زيادة الوعي لدى الجميع حول ظاهرة تشغيل الأطفال، وتشجيعهم على الإلتزام بالعمل الإيجابي السليم.

2- **حلول أسرية:** نُدرج في ما يأتي عدداً من الحلول لتحسين وضع الأسرة لتكون قادرة على رعاية الأطفال وحمايتهم:

أ- معالجة الفقر الذي تُعاني منه الأسر، والذي يؤثر سلبًا على تعليم الأطفال ورعايتهم.

ب- التخلّص من مشكلة البطالة للكبار، والتي تؤدي إلى عدم حصول الأبوين على عمل يفي بمتطلبات الحياة الأسرية.

ت- معالجة مشكلة تدنّي مستوى الدخل، إذ بات الأبوين غير قادرين في الوقت الحالي على تأمين أدنى متطلبات أطفالهم.

ث- ضرورة وجود شبكة إجتماعية آمنة وفاعلة، قادرة على تأمين الأسر بمصدر بديل للدخل في حال عدم الحصول على العمل، وذلك تجنبًا لدفع الأطفال نحو العمل من أجل جلب المال، والتكفّل بالأسرة.

3- **حلول عالمية:** نُدرج في ما يأتي عدداً من المبادرات والحلول العالمية المقترحة من أجل الحد من ظاهرة تشغيل الأطفال عالميًا:

أ- تُبادر منظمة الرؤية العالمية لإنهاء عمالة الأطفال في عدد من المجالات التي تُساهم في الحد من هذه الظاهرة، وفي ما يأتي عدد من هذه المبادرات:

- المبادرة بتقديم الخدمات التعليمية التي تضمن تحسين بيئة التدريس، وجودة التعلم. المبادرة بتقديم المساعدة للأبوين، بهدف تلبية متطلبات الأسرة من الغذاء والمال، للمحافظة على الأبناء من التعرّض للتشغيل.
- تشجيع تطبيق القوانين الخاصة بعمل الأطفال، والمساهمة في تطبيقها.
- التأكيد على ضرورة المساءلة الإجتماعية للجهات المسؤولة عن عمل الأطفال، والمتمثلة بالمجتمع، والحكومات، والشركات.
- مساهمة أبناء المجتمع بمختلف تخصصاتهم للبحث عن الأطفال المعرضين لخطر العمل، وإبعادهم عن هذا الخطر من خلال مساعدة الأسر وإبعادها عن الاعتماد على دخل الأطفال.
- تأهيل الشباب الذين تجاوزوا السن الأدنى لممارسة العمل، وتدريبهم ليكونوا قادرين على تطبيق المهارات الحياتية، وإدارة الأعمال.

يسعى المجتمع الدولي منذ زمن طويل للحد من ظاهرة تشغيل الأطفال، وحمايتهم، وقد تبينّ ذلك من خلال مجموعة من القوانين والإتفاقيات التي صدرت خلال سنين متواصلة وحتى وقتنا الحالي، ونُدرج في ما يأتي عدد من هذه القوانين والمبادرات والإتفاقيات:

أ- صدور قانون معايير العمل العادلة في عام 1938م.

ب- صدور إتفاقية الحد الأدنى لسن العمل في عام 1973م، وقد صادقت عليها 172 دولة عالميًا.

ت- صدور إتفاقية حقوق الطفل في عام 1989م.

ث- تأسيس البرنامج الدولي للقضاء على عمل الأطفال (IPEC) في عام 1992م.

ج- إصدار اتفاقية أسوأ أشكال عمل الأطفال، والتي صادقت عليها 186 دولة في العالم، وذلك في عام 1999م.

ح-إعلان الجمعية العامة للأمم المتحدة بأنّ عام 2021م هو العام الخاص بالقضاء على عمل الأطفال.

الخاتمة

تُعدّ عمالة الأطفال من أبرز التحديات الإنسانية والإجتماعية التي تهدد مستقبل الأجيال القادمة وتعيق التنمية المستدامة . إذ يؤدي إجبار الأطفال على العمل الى حرمانهم من حقهم في التعليم والحياة الكريمة ، مما يرسّخ دائرة الفقر والجهل عبر الأجيال. ورغم الجهود المبذولة للحد من هذه الظاهرة ، الا أن تفاقمها في بعض المناطق يستدعي تكثيف الجهود المشتركة بين الحكومات والمنظمات الدولية والمجتمع المدني...

وهنا نطرح بعض التوصيات:

- تعزيز التشريعات: ضرورة سن قوانين صارمة تمنع تشغيل الأطفال ، وتجرّم إستغلالهم في الأعمال الخطرة أو التي تعيق تعليمهم ونموّهم الصحي.
- دعم التعليم: توفير تعليم مجاني وإلزامي للجميع ، مع التركيز على المناطق الفقيرة، وضمان توفير بيئة مدرسية مشجّعة.
- تحسين الظروف الإقتصادية للأسر: من خلال برامج الدعم الإجتماعي، توفير فرص عمل للكبار، وتعزيز المبادرات التي ترفع مستوى معيشة الأسر المحتاجة.
- التوعية المجتمعية: نشر حملات توعية حول خطورة عمالة الأطفال، وأثرها السلبي على المجتمعات مع إشراك الأهل وأرباب العمل في إيجاد الحلول.

- تعزيز الشراكات الدولية : تعزيز التعاون بين الدول والمنظمات الدولية للحد من هذه الظاهرة ، خاصة في المناطق التي تعاني من النزاعات والفقر المدقع.

إن القضاء على عمالة الأطفال مسؤولية جماعية تتطلب إلزاماً حقيقياً وعملاً دؤوباً لضمان مستقبل أفضل لأطفالنا وعالم أكثر عدلاً وإنسانية.

المراجع

1- عازر عادل، ظاهرة عمالة الأطفال، المركز القومي للبحوث الإجتماعية والجنائية 1991.

2- UCLG منظمة المدن المتحدة والإدارات المحلية- الشرق الأوسط وغربي آسيا، عمالة الأطفال في الشرق الأوسط وغربي آسيا.

3- تقرير إعلان منظمة العمل الدولية بشأن المبادئ والحقوق الأساسية في العمل ، وضع حد لعمالة الأطفال في المتناول 2006 .

4-المليكي يونس، عمالة الأطفال في القانون، مكتبة نور 2022.

5- رفيف أحمد علي، عمالة الأطفال الفلسطينيين ، دار حضارات 2012

د. نادين نور الدين

دور الجمعيات الأهلية في معالجة نتائج الأزمات والحروب: دراسة تحليلية

المقدمة

تُعدّ الأزمات والحروب من أبرز التحديات التي تواجه المجتمعات الإنسانية، حيث تترك آثارًا عميقة على الأفراد والمؤسسات والبنى التحتية. وفي مثل هذه الظروف، تصبح الحاجة ماسة إلى تدخلات فعّالة وسريعة لمعالجة النتائج المترتبة على هذه الكوارث، سواء كانت إجتماعية، إقتصادية، أو نفسية.

علاوة على الخسائر البشرية الجسيمة التي تتسبب فيها الحروب، هناك أيضاً خسائر متعددة على أكثر من مستوى. فالحرب لها آثار إجتماعية ونفسية طويلة الأمد، على الأفراد والمجتمعات، بما في ذلك الصدمات النفسية والآثار السلبية على الصحة العقلية والإضطرابات الإجتماعية، إلى جانب التغيرات السياسية والجيوسياسية.

كما أن هناك الأزمات الإنسانية التي تتضمن على سبيل المثال: نقص الغذاء والماء والرعاية الطبية للسكان المتضررين من المعارك، إضافة إلى الأضرار الثقافية والبيئية.

وتؤدي الحروب أيضاً إلى إرتفاع كبير في النفقات العسكرية، مع ما يؤدي إليه ذلك من تأثير على مختلف القطاعات الإقتصادية، وتدمير البنية التحتية، وإنعدام الأمن والأمان، وهروب رأس المال، وإرتفاع التضخم، وزيادة الديون.. علاوة على الهجرة والنزوح الجماعيين، إذ غالباً ما تجبر الحروبُ الناسَ على الفرار من منازلهم، مما يؤدي إلى النزوح الداخلي وأزمات اللاجئين.

تلعب الجمعيات الأهلية دورًا محوريًا في هذا السياق، بإعتبارها مؤسسات قائمة على الجهود التطوعية والتكافل الإجتماعي. إذ تسعى هذه الجمعيات إلى سد الفجوات التي قد تعجز عنها الحكومات، من خلال تقديم المساعدات الإنسانية، وإعادة تأهيل المتضررين، وتعزيز الإستقرار المجتمعي. كما تعمل على دعم الفئات الأكثر هشاشة، مثل الأطفال، النساء، وكبار السن، وتقديم الحلول المستدامة التي تسهم في بناء مستقبل أفضل.

يتناول هذا البحث دور الجمعيات الأهلية في معالجة نتائج الأزمات والحروب، مركّزًا على آليات عملها، التحديات التي تواجهها، وأثرها في تعزيز التماسك الإجتماعي وتحقيق التعافي الشامل. ويهدف البحث إلى تسليط الضوء على سبل تطوير أداء الجمعيات لتحقيق أقصى فائدة للمجتمعات المتضررة.

الفصل الأول: الخطوات المنهجية للبحث

أولاً: أهمية البحث وأهدافه.

1- أهمية الدراسة:

تنبع أهمية الدراسة من الإعتبارات التالية:

أ- ضرورة الإهتمام بالتغيير المعنوى للمواطنين المتضررين من الأزمات والكوارث والحروب، من خلال إحداث تغيير فى القيم والعادات والتقاليد والسلوك والإتجاهات، وذلك للتعامل مع الآثار السلبية لتلك الأزمات لتقليلها إلى قدر ممكن والعمل على التخفيف من آثارها إذا أمكن.

ب- يعتبر هذا المجال من المجالات الحديثة نسبياً

في قلة البحوث والدراسات الأمبيريقية التى أجريت فى هذا المجال، مما يجعله فى حاجة ماسة إلى مزيد من الدراسات الميدانية التى تتناول الأزمات والكوارث والحروب، من حيث آثارها السلبية على كل من الفرد والأسرة والمجتمع، والعمل على تقليل تلك الآثار السلبية.

ت- زيادة دور المواطنين من أفراد المجتمع فى مواجهة تلك الآثار، وذلك عن طريق زيادة حجم المشاركة الشعبية ودعم الجهود الذاتية والتنسيق بين الجهود الأهلية والحكومية فى مواجهة تلك الآثار.

ث- تعتبر هذه الدراسة دعوة لمنظمات المجتمع المدنى كى تساند وتشارك بفاعلية أكبر في جهود وبرامج وخدمات للمتضررين من الأزمات والكوارث والحروب، الى جانب جهود المنظمات الحكومية.

ج- تحاول الدراسة الوصول إلى مجموعة من النتائج التى يمكن إستخدامها كمعطيات تساهم في فهم كيفية التعامل مع الأزمات والكوارث والحروب لتنمية ثقافة التعامل معها، من أجل ضمان الإستعداد لهذا التعامل في المستقبل، كتدابير وقائية.

2- أهداف الدراسة

يمكن للدراسة تحقيق الأهداف التالية:

أ-التعرّف على الجوانب المادية والمعنوية للمنظمات الحكومية وغير الحكومية، والتى تعمل في مجال الأزمات، ومعرفة طبيعة الخدمات والبرامج التى تقدمها المنظمات الحكومية وغير الحكومية لتنمية ثقافة التعامل معها.

ب- تحديد دور المنظمات الحكومية وغير الحكومية العاملة في مجال الأزمات والكوارث والحروب (قبل- أثناء- بعد).

ت-التعرّف على الصعوبات التى تواجه المنظمات الحكومية وغير الحكومية فى تقديمها لخدماتها وبرامجها فى مواجهة الأزمات والكوارث والحروب.

ث- التوصّل إلى رؤية مستقبلية للممارسة المهنية لطريقة تنظيم المجتمع لمساعدة كل من المنظمات الحكومية وغير الحكومية فى مواجهة الأزمات والكوارث والحروب.

ثانياً: المصطلحات

1- الأزمات

تعددت التعاريف المستخدمة في تحديد مفهوم الأزمة، ولكن قراءة معمّقة لهذه التعاريف تؤكّد أن تعددها يعود الى إختلاف النظرة الى الأزمة، والى إختلاف الجانب الذي يجري التركيز عليه من بين الجوانب المختلفة للأزمة، الأمر الذي يتيح إمكانية القول أن تعدد وتنوّع هذه التعاريف لا ينفي تمامها.

- يرى "وليم كونت" الأزمة بأنها: تلك النقطة الحرجة واللحظة المناسبة التي يتحدد عندها مصير تطور ما.
- ويعرّف "جوناثان روبرت" الأزمة بأنها: مرحلة الذروة في توتر العلاقات في بنية إستراتيجية وطنية او إقليمية او محلية.
- وكذلك تُعرَّف على أنها نقطة تحوّل في موقف مفاجئ يؤدي الى أوضاع غير مستقرة ما بعد المصالح والبنية الأساسية، وتحدث عنها نتائج غير مرغوب بها، كل ذلك قد يجري في وقت قصير يلزم معه إتخاذ قرار محدد للمواجهة، تكون فيه الأطراف المعنية غير مستعدة أو قادرة على مواجهة الأزمة، وتظهر الأزمة عندما تخرج المشكلات عن السيطرة.
- والأزمة كما يعرفها "ستيفن البير" : هي ذلك الحدث السلبي الذي لا يمكن تجنبه أياً كانت درجة إستعداد المنظمة. ويعرف "بشير العلاق" الأزمة بمفهومها العام تعني تهديداً خطيراً متوقعاً أو غير متوقع لأهداف وقيم ومعتقدات، وممتلكات سواء أكانت تابعة للإفراد أم المنظمات أم الحكومات أم البلدان، والتي تحد من القدرة على إتخاذ قرارات فعالة او سريعة.
- كما تعرّف الأزمة بأنها: موقف مفاجئ يهدد مصالح المنشاة وصورتها قبالة الجماهير، مما يستدعي إتخاذ قرارات سريعة لتصويب الأوضاع حتى تعود الى مسارها الطبيعي.

- في حين يعرّفها " د.عبد الرزاق الدليمي"، فيقول هي مشكلة تكبر وتنحرف عن المسار الطبيعي للأحداث، كما أن مواجهة الأزمة يستوجب عملاً وتخطيطاً غير عاديين، بل يعمد الى إبتكار أساليب ووسائل تمكن من الإحاطة بها واستيعابها ، ومعالجة إفرازاتها بشكل قويم.

2- الحروب

تُعرّف الحرب لغة كما ورد في معجم المعاني الجامع أنّها قتال بين فئتين، وجمعها حُروب وعكسها سِلْم، وإذا قيل إستعرت الحَرْب؛ أي أنّها أصبحت شديدة وقوية، أمّا إذا قيل وضعت الحرب أوزارها، فهذا يعني أنّ القتال انتهى، ومصطلح الحَرْبُ بينهم سجال يعني أنّ الحرب انتهت دون فوز أو هزيمة أي من الأطراف المتحاربة للطرف الآخر، ودارُ الحَرْبِ هي بِلاد الأعداء، ورجل الحَرْبْ هو صاحب الخبرة في إدارة وتسيير المعارك الحربيّة.

وفي القانون الدولي العام فإن التعريف التقليدي للحرب هو أنّها عبارة عن نزاع مسلّح بين فريقين من دولتين مختلفتين؛ إذ تُدافع فيها الدول المتحاربة عن مصالحها وأهدافها وحقوقها، ولا تكون الحرب إلّا بين الدول، أمّا النّزاع الذي يقع ين جماعتين من نفس الدولة، أو النزاع الذي يقوم به مجموعة من الأشخاص ضد دولة أجنية ما، أو ثورة مجموعة من الأشخاص ضد حكومة الدولة التي يقيمون فيها، فلا يعد حرباً ولا علاقة للقانون الدولي به، وإنما يخضع للقانون الجنائي.

أما التعريف الحديث للحرب فقد تم توسيعه ليشتمل على أي نزاع مسلح، ولو لم تتوافر فيه عناصر التعريف التقليدي من أي نزاع مسلح، ولو لم تتوافر فيه أيضاً عناصر التعريف التقليدي من إمتلاك الجماعة المسلحة لصفة الدولة، وإن كان النزاع قائماً من قِبَل دولة لحسابها الخاص وليس لغرض جماعي، كما أصبحت النزاعات الأهلية التي تحدث في نفس الدولة تندرج تحت مسمى الحرب.

والحرب اليوم هي وضع نتيجة حاسمة للخلافات الدولية المرتبطة بالكيانات الإقتصادية والإجتماعية للدول المشاركة في الحرب، وذلك عن طريق الإجبار والقتال بعد أن يتعثّر حل الخلاف بالطرق السلمية، الأمر الذي يدعو كل دولة مشاركة في النزاع لأن تعطي لنفسها الحق في أن تكون الحكم الأول، وصاحبة السلطة العليا، في أي نزاع بهدف الدفاع عن مصالحها القومية وأهدافها، إذن فإنّ كلمة حرب تشير بمعناها اللغوي إلى القتال، وليس شرطاً أن تكون عادلة، وإنما قد تكون لوقوع العدوان من طرف على طرف آخر.

3- الجمعيات الأهلية

- تُعرّف الجمعية بأنّها مجموعة من الأشخاص الذين يجتمعون للنقاش بشأن أمور محدّدة، ولتحقيق أهداف معينة. ولكي تصبح الجمعية مؤهلة، يجب أنْ تستوفي شروط الدولة وقوانينها،

فلكلّ دولة قانون خاص بالجمعيات، أي أنّ تعريف الجمعية يختلف من دولة إلى أخرى، ولكي تكون الجمعية قانونية بشكلٍ عام، يجب أن تكون قائمة على أساس وثيقة محددة ومكتوبة، والتي تضع الخطوط العريضة لنظام عمل الجمعية وتكون بمثابة قانون لها، ويتعيّن على شخصين على الأقل من أعضاء الجمعية التوقيع على تلك الوثيقة، كما ويجب أن تكون الوثيقة مؤرخة ومختومة.

- تُعدّ جمعية أهلية كل مجموعة ذات تنظيم مستمر لمدة معينة أو غير معينة ، مؤلفة من أشخاص من ذوي الصفة الطبيعية أو الإعتبارية ، أو منهما معاً ، غير هادفة للربح أساساً ، وذلك من أجل تحقيق غرض من أغراض البر أو التكافل ، أو نشاط إجتماعي ، أو ثقافي ، أو صحي ، أو بيئي ، أو تربوي ، أو تعليمي ، أو علمي ، أو مهني ، أو إبداعي ، أو شبابي ، أو سياحي ، ونحو ذلك من نشاطات ... أو نشاط يتعلق بحماية المستهلك ، أو أي نشاط أهلي آخر تقدره الوزارة ، سواء كان ذلك عن طريق العون المادي ، أو المعنوي ، أو الخبرات الفنية أو غيرها ، وسواء كان النشاط موجهاً إلى الخدمة العامة كجمعيات النفع العام ، أم كان موجهاً في الأساس إلى خدمة أصحاب تخصص أو مهنة كالجمعيات المهنية والجمعيات العلمية والجمعيات الأدبية.

ثالثاً: الدراسات السابقة

الدراسة الأولى: دراسة التنظيمات والجمعيات غير الحكومية وموقفها من العولمة، دراسة نبيل السنالوطي، 1998 .

أوضحت الدراسة أن العمل التطوعي الأهلي يتطلب تزايد الوعي الشعبي وتزايد حجم المشاركة التطوعية الواعية في إدارة الجمعيات والهيئات الأهلية ، وتوظيف الموارد لمواجهة المشكلات الملحة الحقيقة بالمجتمع ، وهذا يتطلب إيجاد الضمانات والسبل التي تزيد من فعاليتها والقيام بدورها لصالح التنمية الحقيقة للمجتمع ، وخاصة أن هذه الجمعيات تتعامل مع أهم عناصر وموارد التنمية كالأطفال والمرأة والأسرة والشباب، في إطار واقع إجتماعي سريع التغيّر نتيجة للطبيعة الإقتحامية التي يتسم بها عصر العولمة ، وأشارت الدراسة إلى العمق التاريخي والعمق الديني القيمي للعمل الخيري التطوعي في ثقافة الشعوب ، كما أوصت الدراسة بضرورة القيام بدراسات متعمّقة حول أسباب تراجع العمل الخيري التطوّعي وأساليب دعمه .

الدراسة الثانية: دراسة آثار عملية التحوّل الإقتصادي على توجهات العمل بالجمعيات الأهلية، أحمد السكري 1999.

أوضحت الدراسة أهمية إدراك القائمين على الأنشطة التطوعية والخيرية بالمجتمع لمشكلات مجتمعهم وطبيعة التحديات التي يواجهها المجتمع ، وأهمية وجود علاقة بين الأنشطة والفئات المستهدفة بالمجتمع ، والوعي بتوجهات الأنشطة التطوعية تجاه قضايا ومشكلات المجتمع .

الدراسة الثالثة: دراسة دور منظمات المجتمع المدني في إعادة بناء المجتمعات بعد الأزمات المعقّدة،محمد إسحاق محمد عبدالله، مجلة جامعة الزينوتة الدولية ، العدد الخامس السودان 2023.

هدفت الدراسة لتحديد دور منظمات المجتمع المدني في إعادة بناء المجتمعات بعد الأزمات المعقّدة، ومعرفة مدى مساهمة نشاطات منظمات المجتمع المدني في إعادة بناء المجتمعات بعد الأزمات المعقّدة والعودة الطوعية، ومن ثم بيان الإجراءات والبرامج التي تنفذها منظمات المجتمع المدني لإعادة بناء مجتمع دارفور عبر العودة الطوعية. إتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والتاريخي والإستدلالي. من أهم نتائجها أن هناك محاولات كثيرة لمنظمات لمجتمع المدني في تحقيق التنمية بصفة عامة، نتيجة للتحولات والتطورات العالمية التي شهدتها إقتصاديات التنمية، من جهة أخرى أصبحت الحاجة إلى المجتمع المدني، وكذا إلى منظماته لحل المشكلات والأزمات المعقّدة، منظمات المجتمع المدني لها دور فعّال ومؤثر في معالجة إعادة بناء المجتمعات بعد الأزمات المعقّدة، توجد شراكات للأنشطة بين الحكومة ومنظمات المجتمع المدني بدأت تظهر من خلال مشروعات لدعم الأسر والفئات المتضررة والنهوض بمناطق الكوارث والحروب والنزاعات.

أوصت الدراسة بعدد من التوصيات منها: أهمية تفعيل دور منظمات المجتمع المدني في مجال توفير فرص التدخلات الطارئة عند الطواري والأزمات المعقّدة، وتقديم برامج الإمتصاص العاجل، وضرورة التنسيق بين منظمات المجتمع المدني وأجهزة الدولة المختصة بمعالجة الأزمات المعقّدة بعد النزاعات والحروب والنكبات، بما يتناسب مع إحتياجات المجتمع، وخاصة ما يتعلق بالمقدرة المهنية، والتواؤم مع إحتياجات العمل وتنمية روح المبادرة للمتطوعين، والإستفادة من قدراتهم في ذلك.

على منظمات المجتمع المدني الإستفادة من التطوّر التكنولوجي وتوظيفه من أجل تسهيل وتسريع عملها في الوصول إلى الفئات المحتاجة والمهمشة، مع العمل على رفع مستوى التنسيق بين المنظمات، على أساس تحمل المسؤوليات بشكل جماعي.

الدراسة الرابعة: دراسة دور الأسرة والمؤسسات في مواجهة الأزمات دراسة سوسيو أنثروبولوجية، سرمد جاسم محمد الخزرجي،م.محمد سالم أحمد ، مجلة علوم الإنسان والمجتمع ، الجزائر 2022.

يتناول هذا البحث مشكلة الأزمات التي تتعرض لها المجتمعات الإنسانية منذ أقدم العصور ، وهذه الأزمات هي صفة ملازمة للإنسان ، وقد تنشأ في أي لحظة ، وقد تحدث في أية ظروف مفاجئة نتيجة عوامل داخلية أو خارجية ، وتهدد المجتمعات الإنسانية وهذا يتطلب القضاء عليها أو معالجتها أو التقليل من حدتها ، وذلك للحد من تأثيراتها على المجتمعات . فإن ترك الأزمة بدون تدخل أو علاج قد يؤدي الى مضاعفتها. لذا على الأسرة مواجهة الأزمات التي تتعرّض لها سواء كانت هذه الأزمات إجتماعية أو نفسية أو إقتصادية أو صحية ، فإن الأزمات الإجتماعية والنفسية هي التي تمر بها الأسرة في حالة إنفصال الوالدين ، فقبل الإنفصال تصل المشاكل الى أعلى المراحل، وهذه تزيد من المعاناة النفسية بين أفراد الأسرة , أما الأزمات الإقتصادية كترك العمل من قبل أحد الوالدين. وأيضاً تلعب المدرسة دوراً كبيراً في مواجهة الأزمات التي يتعرّض لها المجتمع، وخاصة في ميدان التربية ، فقد ظهرت مشكلة عدم وجود مباني مدرسية ، أو ظهور مشاكل جديدة لم تكن موجودة من قبل، وخاصة فيما يتعلق بوجود ظواهر الإنحراف مثل تناول المخدرات بين صفوف الطلبة، أو تخريب المباني والممتلكات ، أو الإنقطاع عن المدرسة دون علم الأسرة، وهذا ما يزيد الضغوط على المجتمع، وكل هذه المشاكل تتطلب حلولاً لها. كما أن المؤسسات الدينية تلعب دوراً كبيراً في مواجهة الأزمات , فمثلاً دور العبادة من مساجد وكنائس تقوم بتوعية المجتمعات، وحثها على التماسك ، فعندما تتعرّض المجتمعات الى الإنهيار يكون دور كبير لدور العبادة، وكذلك في الحروب ، وإعانة المحتاجين ، لذا يلاحظ لدور العبادة دور مهم في مواجهة تلك المشكلات. حيث ان دور المؤسسات الدينية من خلال الدعم المتعمّق يكون لها دوراً هاماً لتجنب المخاطر والأفكار المتطرفة في كل أشكالها وصورها المتعددة . ومحاربة تناول المخدرات مثلاً والتطرّف وغيرها من المشاكل والأزمات التي يتعرّض لها المجتمع. كما يقع على عاتقها ترسيخ قواعد التربية السليمة التي تصلح الصغار من المجتمع والشباب والكبار على حد سواء . أيضاً هناك دور كبير تلعبه منظمات المجتمع المدني في مواجهه الأزمات حيث تعمل على تنظيم العلاقة بين السلطة والمجتمع، والتي تقوم على الإحترام والتسامح والتعاون ونبذ العنف والقضاء على التهميش الإجتماعي والسياسي ، كما لعبت منظمات المجتمع المدني دوراً كبيراً في مواجهة الأزمات التي تتعرّض لها مجتمعاتنا من تهجير وتشريد بسبب الحرب، فكان لتلك المنظمات دور فعال في إسعاف الناس. وللإعلام دور مهم في مواجهة الأزمات الداخلية أو الخارجية. والهدف من هذه الدراسة هو:

أ- التعرّف على مفهوم الأسرة والدور الذي تلعبه في مواجهة الأزمات.

ب- الكشف عن مفهوم المؤسسات التربوية ودورها في مواجهة الأزمات.

ت- السعي لمعرفة المؤسسات الإعلامية ودورها في مواجهة الأزمات .

ث- التعرّف على مفهوم منظمات المجتمع المدني ودورها في مواجهة ومعالجة الأزمات التي تتعرّض لها المجتمعات .

رابعاً: إشكالية البحث

تواجه المجتمعات المتأثرة بالأزمات والحروب تحدّيات كبيرة تتعلق بالتعامل مع تداعياتها الإجتماعية والإقتصادية والإنسانية. وفي ظل هذه الظروف، تلعب الجمعيات الأهلية دورًا هامًا في تخفيف معاناة الفئات المتضررة من خلال تقديم المساعدات الإنسانية، تعزيز التكافل الإجتماعي، والمساهمة في إعادة التأهيل والتنمية. ومع ذلك، يبقى التساؤل قائمًا حول مدى فاعلية هذه الجمعيات في معالجة نتائج الأزمات والحروب، والتحديات التي تواجهها في تحقيق أهدافها.

التساؤل الرئيسي:

إلى أي مدى تُسهم الجمعيات الأهلية في معالجة نتائج الأزمات والحروب؟ وما هي المعوقات التي تواجهها لتحقيق هذه الأهداف؟ وينبثق عنه التساؤلات الفرعية التالية:

1-ما هي أبرز الأنشطة التي تقوم بها الجمعيات الأهلية لمعالجة نتائج الأزمات والحروب؟

2-كيف يتم تقييم تأثير هذه الأنشطة على الفئات المستهدفة؟

3-ما هي التحديات التي تواجه الجمعيات الأهلية أثناء العمل في بيئات متأثرة بالأزمات والحروب؟

4-كيف يمكن تحسين فعالية الجمعيات الأهلية في التعامل مع نتائج الأزمات؟

للإجابة على هذه التساؤلات نطرح الفرضيات التالية:

الفرضية الأولى: الجمعيات الأهلية تلعب دورًا هامًا في تقديم الدعم الإنساني للفئات المتضررة من الأزمات والحروب.

الفرضية الثانية: التحديات المادية واللوجستية تقلل من فعالية الجمعيات الأهلية في تحقيق أهدافها.

الفرضية الثالثة: الشراكة بين الجمعيات الأهلية والمؤسسات الحكومية والدولية تزيد من قدرتها على معالجة آثار الأزمات والحروب.

الفرضية الرابعة: تحسين آليات التخطيط والتنسيق داخل الجمعيات الأهلية يعزز من كفاءتها في مواجهة نتائج الأزمات.

خامساً: المنهج والتقنيات

للحصول على معلومات تساعد في الوصول الى الهدف المحدّد في هذا البحث، ركّزت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي الذي يصف الظاهرة كما هي موجودة في الواقع، فيهتم بوصفها وصفاً دقيقاً. وهو يهدف الى جمع معلومات حقيقية ومفصّلة عن الموضوع المدروس ، ويحدّد المشاكل التي تعترض وجودها. وفي

موضوعنا يساعد هذا المنهج في إظهار الدور الذي تلعبه الجمعيات الأهلية في معالجة نتائج الأزمات والحروب والمحافظة على التنمية الريفية، ويفسّر الأسباب الحقيقية وراء ذلك الدور. ويسعى أيضاً الى إيجاد حلول مناسبة تساهم في الوصول الى الهدف.

وإعتمد جمع المعلومات على تقنيات متعددة منها الملاحظة وتحليل مضمون الوثائق، من كتب وأبحاث تتعلق بالموضوع أو بإحدى حقائقه.

سادساً: النظرية

نظرية الأزمة: تعتبر نظرية الأزمة إحدى النظريات المعاصرة التى ينبغى أن تهتم بها الخدمة الإجتماعية فى مواجهة مثل تلك الكوارث أو الأزمات لمواجهة ما تحدثه من دمار على مستوى المجتمع ككل أو على مستوى جزء منه فى فترات زمنية معينة دون سابق إنذار، وينتج عنها أخطاء جسيمة، تصيب الأفراد أو المجتمعات وتؤثر على مستوى أداء الخدمات، وتحدث نوعاً من الخلل فى بناء المجتمع ووظائفه، لذلك تعتبر نظرية الأزمة إحدى النظريات المعاصرة التى ينبغى أن تهتم بها جمعيات المجتمع المدني وذلك نظراً للتغيرات السريعة المتلاحقة الناتجة عن عمليات التصنيع والتقدم التكنولوجى المستمر، الأمر الذى أدى إلى إحتمال ظهور الأزمات فى حياة الأفراد والمجتمعات بشكل ملحوظ، وأصبحنا نعيش عالم الأزمات والحروب، ويتطلب ذلك ضرورة أن يتعرّف المجنمع المدني على التصنيفات المختلفة لتلك الأزمات والحروب والكوارث، حتى يصبح قادراً على إنتقاء أساليب التدخل الملائمة للتعامل معها.

تتعامل الجمعيات الخيرية كجزء من المجتمع المدني مع الأزمات أي كان تصنيفها، بهدف إعادة التوازن المجتمعى، ومحاولة الحد قدر الإمكان من الآثار السلبية لها، وتدعيم الآثار الإيجابية، وذلك يتم من خلال إتباع المراحل الأساسية للتدخل فى الأزمات والتى تتمثل فى الآتى:

أ- محاولة تقدير المشكلات والإحتياجات التى يعانى منها المتضررون من الكارثة أو الأزمة أو الحرب. وخاصة فى المراحل الأولى.

ب- وضع خطة عمل بهدف السيطرة على الآثار المترتبة على الكارثة أو الأزمة أو الحرب خلال 24 ساعة، وحشد كافة الوسائل والأساليب الحديثة والجهود الرسمية والتطوعية لمواجهة المشكلات.

ت- التدخل فى الأزمة، ويتطلب ضرورة نشر الوعى وطرح البدائل التى يمكن من خلالها مواجهة الأزمة وإيجاد دعم إجتماعى.

ث-

الفصل الثاني: الجمعيات الأهلية

أولاً: مفهوم وتعريف الجمعيات الأهلية

الجمعيات الأهلية هي تلك المؤسسات ذات الوظائف المتعددة، والأهداف الثقافية والإجتماعية المتنوعة، والتي قد تكون قومية أو محلية، كما تساهم بشكل متميّز في مجال الخدمات الإجتماعية، وتعتمد بدرجة كبيرة على المتطوعين في وضع سياستها وتنفيذ برامجها، وغالبًا ما تعتمد في تمويلها على هبات المتطوعين.

الجمعيَّة هي مجموعة من الأشخاص يُطلق عليهم الأعضاء، تحكمهم مجموعة من القوانين والقواعد، يسعون بشكل جماعي منظّم من خلال أنشطة تعاونيَّة وتحت إشراف شخص واحد، لتحقيق هدف أو مجموعة من الأهداف المشتركة، ضمن فترة زمنيَّة محدّدة.

الجمعية هي عبارة عن تجمّع يقوم بشكل أساسي على الأشخاص الذين هم جزءٌ من المجتمع، حيث يجتمعون بشكل رسمي على غاية مشتركة أو أهداف محددة، ويسعون معًا من أجل تحقيقها من خلال التركيز على قطاع معين وتوفير الخدمات وتفعيل البرامج في ذلك القطاع، والفاعليَّة للأعمال والقضايا والمجالات بأنواعها التي قد تهم المجتمع أو تهم الفئات المجتمعية فيه .

تُعدّ جمعية أهلية كل مجموعة ذات تنظيم مستمر لمدة معينة أو غير معينة ، مؤلفة من أشخاص من ذوي الصفة الطبيعية أو الإعتبارية ، أو منهما معاً ، غير هادفة للربح أساساً ، وذلك من أجل تحقيق غرض من أغراض البر أو التكافل ، أو نشاط إجتماعي ، أو ثقافي ، أو صحي ، أو بيئي ، أو تربوي ، أو تعليمي ، أو علمي ، أو مهني ، أو إبداعي ، أو شبابي ، أو سياحي ، ونحو ذلك من نشاطات ، أو نشاط يتعلق بحماية المستهلك ، أو أي نشاط أهلي ، سواء كان ذلك عن طريق العون المادي ، أو المعنوي ، أو الخبرات الفنية أو غيرها ، وسواء كان النشاط موجهاً إلى خدمة عامة كجمعيات النفع العام ، أم كان موجهاً في الأساس إلى خدمة أصحاب تخصص أو مهنة كالجمعيات المهنية والجمعيات العلمية والجمعيات الأدبية.

تعتبر الجمعية مؤسسة تلتقي فيها مجموعة من الأشخاص يتشاركون في معلوماتهم وجهودهم بصورة مستمرة مستعملين وسائل مادية ومعنوية بغية تأمين هدف مشترك قد يختلف ويتنوّع من جمعية الى أخرى ولكن في مطلق الأحوال لا يمكن ان يكون بقصد الربح المادي.

تُعرّف الجمعية بأنّها مجموعة من الأشخاص الذين يجتمعون للنقاش بشأن أمور محدّدة ولتحقيق أهداف معينة، ولتصبح الجمعية مؤهلةً يجب أنْ تستوفي شروط الدولة وقوانينها، فلكلّ دولة قانون خاص بالجمعيات، أي أنّ تعريف الجمعية يختلف من دولة إلى أخرى، ولكي تكون الجمعية قانونية بشكلٍ عام، يجب أن تكون قائمة على أساس وثيقة محددة ومكتوبة، والتي تضع الخطوط العريضة لنظام عمل الجمعية

وتكون بمثابة قانون لها، ويتعيّن على شخصين على الأقل من أعضاء الجمعية التوقيع على تلك الوثيقة، كما ويجب أن تكون الوثيقة مؤرخة ومختومة.

- تعريف الجمعيات الخيرية

الجمعيات الأهلية الخيرية هي مؤسسات غير ربحية، أنشئت بهدف تقديم الدعم والمساعدة للفئات الإجتماعية المحتاجة في المجتمعات التي تعاني من أوضاع صعبة، بهدف تحسين ظروفهم. وتعتمد هذه الجمعيات عادة على التبرعات والصدقات والهبات من الأفراد والشركات والمؤسسات الأخرى والمنح الحكومية في بعض الدول.

ثانياً: أهداف الجمعيات الخيرية في المجتمع:

تأسست الجمعيات الخيرية لتحقيق مجموعة من الأهداف، من أبرزها:

1- مكافحة الفقر: من خلال توفير القروض الصغيرة، وبرامج التدريب المهني، ودعم المشاريع الصغيرة لتمكين الأفراد إقتصادياً.

2- تخفيف حدة الجوع والفقر: عن طريق تقديم المساعدات الإنسانية مثل الطعام، الماء النظيف، الملابس، والمأوى للأشخاص في الظروف الصعبة أو المتضررين من الكوارث الطبيعية والنزاعات.

3- توفير المياه النظيفة ومشاريع الصرف الصحي: عبر حفر الآبار وبناء أنظمة الصرف الصحي في المناطق التي تعاني من ندرة المياه النظيفة، والتوعية بأهمية النظافة والصحة العامة.

4- دعم الفئات المهمشة: تقديم الدعم للأيتام، الأرامل، كبار السن، والمشردين، والعمل على تحسين ظروفهم المعيشية والإجتماعية.

5- رعاية الأشخاص ذوي الإعاقة ودعم ذوي الإحتياجات الخاصة: من خلال توفير المعدات الطبية والأدوات المساعدة، وإنشاء مراكز تأهيلية في مختلف الجوانب التعليمية والصحية والمهنية، وتقديم الدعم النفسي والإجتماعي لهم ولأسرهم، وتوعية المجتمع بحقوقهم وسبل الوقاية من الإعاقة.

6- تمكين المرأة: عبر تقديم برامج تدريب مهني وتعليمي للنساء لتمكينهن إقتصادياً وإجتماعياً، ودعم حقوق المرأة ومكافحة العنف ضدها.

7- أعمال الإغاثة الإنسانية: من خلال تقديم المساعدات الطارئة في حالات الكوارث، ودعم اللاجئين والمشردين، وتوفير الغذاء والماء والمأوى.

8- دعم الأطفال الأيتام والأسر المتضررة: بإنشاء دور الأيتام وتقديم الرعاية اللازمة للأطفال الذين فقدوا أسرهم، ودعم الأسر التي تعاني من الأزمات المالية أو الإجتماعية.

9- تحسين الرعاية الصحية: بناء المستشفيات والمراكز الصحية، وتقديم الرعاية الطبية والعلاج للأشخاص غير القادرين على تحمل تكاليف العلاج، وتوفير الأدوية والمستلزمات الطبية.

10- مكافحة الأمراض الوبائية: من خلال تنظيم حملات تطعيم وعلاج للأمراض الوبائية مثل الملاريا والإيدز، وتوفير العلاجات اللازمة للمصابين بالأمراض المزمنة.

11- دعم التعليم: عبر توفير المنح الدراسية، بناء المدارس والمراكز التعليمية، وتقديم الدعم التعليمي للأطفال والشباب، وتوفير المواد الدراسية في المناطق الفقيرة.

12- التنمية الإقتصادية: من خلال دعم المشاريع الصغيرة والمتوسطة، وتوفير التدريب المهني وبناء القدرات، وتقديم القروض الصغيرة والدعم المالي.

13- حماية البيئة: عبر تنفيذ مشاريع للحفاظ على البيئة وزيادة الوعي بأهمية حماية الموارد الطبيعية، والتوسع في المساحات الخضراء، وتنظيف المناطق الطبيعية، وتشجيع إستخدام الطاقة النظيفة.

14- تعزيز الثقافة والفنون: دعم الأنشطة الثقافية والفنية لتعزيز التراث الثقافي والفني في المجتمع، وتنظيم فعاليات ثقافية وفنية، وتقديم الدعم للفنانين والمبدعين.

ثالثاً: التحديات والفرص التي تواجه الجمعيات الخيرية

أهم التحديات التي تواجه الجمعيات الخيرية هي التالية:

1-نقص التمويل: تعتمد الجمعيات الخيرية بشكل أساسي على التبرعات والهبات لتمويل برامجها، مما يجعل التمويل غير مستقر ويصعب التخطيط للمشاريع طويلة الأمد. كما تزداد التحديات المالية بسبب التنافس الشديد، بين الجمعيات، على الموارد المالية، ما يقلل من التمويل المتاح لكل جمعية، خاصة مع تفاوت القدرات التسويقية لديها.

2-زيادة الطلب على الخدمات: تواجه الجمعيات تحدياً كبيراً بإرتفاع عدد المستفيدين من خدماتها، وخاصة في حالة الأزمات و الحروب (أثناءها وبعدها)، مما يزيد الضغط على مواردها وقدراتها. وتزداد هذه المشكلة أيضاً في ظل الأزمات الإقتصادية والإنسانية في المناطق التي تعمل فيها، مما يزيد الطلب على الخدمات مقابل نقص الموارد.

3-القضايا القانونية والتنظيمية: يعاني العديد من القائمين على الجمعيات من نقص في المعرفة القانونية المتعلقة بعمل الجمعيات الخيرية، مما يصعب عليهم التعامل مع القوانين واللوائح الحكومية. كما يواجه بعض مؤسسي الجمعيات تحديات في الحصول على التراخيص والتصاريح اللازمة للعمل في بعض الدول والمناطق.

4–نقص الكوادر المؤهلة: تحتاج الجمعيات إلى كوادر وظيفية مؤهلة ذات كفاءة عالية لأداء عملها بشكل كامل، لكن من الصعب الحصول على هذه الكفاءات تطوعاً . مما يصعب جذب والإحتفاظ بالعاملين المؤهلين والمتطوعين ذوي الكفاءات العالية، إضافة إلى الحاجة المستمرة لتدريب وتطوير الكوادر الحالية.

5–الشفافية والمساءلة: تواجه الجمعيات تحديات في تحقيق الشفافية والمساءلة أمام المتبرعين والمجتمع، مما يتطلب وضوحاً وإنفتاحاً في المعلومات والعمليات، وتحمل المسؤولية عن القرارات والأفعال وتقديم تفسيرات واضحة للجهات المعنية.

6–صعوبة الوصول إلى المناطق النائية والمحرومة: تعاني الجمعيات من صعوبة الوصول إلى المناطق النائية بسبب ضعف البنية التحتية، أو الأوضاع الأمنية غير المستقرة أثناء الأزمات، بالإضافة إلى إرتفاع تكاليف النقل والتوزيع في هذه المناطق.

7–الوعي والتواصل: تحتاج الجمعيات إلى رفع مستوى الوعي بأهدافها وبرامجها لجذب المتبرعين والمتطوعين، وهذا يتطلب تكاليف إضافية للدعاية والإعلان. كما تواجه صعوبات في التواصل مع المستفيدين من خدماتها بسبب العوائق اللغوية أو الثقافية.

8–إستدامة الأثر: تواجه الجمعيات صعوبة في تحقيق تأثير مستدام وطويل الأمد على المجتمعات المستفيدة، بسبب تكرار الظروف التي تستدعي وجودها مثل الحروب والنزاعات والجفاف وضعف التنمية الإقتصادية والإجتماعية.

9–التغيرات السياسية والإقتصادية: تؤثر التغيرات السياسية أو الإقتصادية بشكل كبير على عمليات الجمعيات، خاصة في المناطق غير المستقرة، كما تؤثر الأزمات الإقتصادية سلبياً على حجم التبرعات والتمويل المتاح.

10–التكنولوجيا والبنية التحتية: يتطلب التكيّف مع التطورات التكنولوجية إستخدام التكنولوجيا لتحسين الكفاءة والشفافية، إضافة إلى تحديث البنية التحتية التكنولوجية وضمان الأمان السيبراني.

11–تحديات الوعي والمشاركة المجتمعية: تشمل صعوبة تعزيز الوعي بأهداف وبرامج الجمعيات بشكل فعّال في المجتمعات المستهدفة، وضرورة بناء شراكات مستدامة مع الجهات المحلية لضمان تفاعل ومشاركة فعّالة.

أما الفرص فنوردها كالآتي:

1–نمو الوعي العالمي: إزدياد الإهتمام العالمي بالقضايا الإجتماعية والبيئية يفتح الباب أمام الجمعيات لجذب المزيد من المتبرعين والمؤيدين.

2-الإبتكار التكنولوجي: إستخدام التكنولوجيا لتحسين الكفاءة التشغيلية وتوسيع نطاق العمل، مثل الجمع الإلكتروني للتبرعات والتواصل عبر وسائل التواصل الإجتماعي.

3-الشراكات الإستراتيجية: بناء شراكات مع القطاع الخاص والمؤسسات الأكاديمية والحكومات لتحقيق أهداف مشتركة وزيادة الأثر الإجتماعي.

4-الإبتكار في النماذج التمويلية: تطوير نماذج جديدة للتمويل مثل الإستثمار الإجتماعي والصناديق الإستثمارية لتعزيز الإستدامة المالية.

5-تبني الإستدامة: العمل على مشاريع تحقيق التنمية المستدامة والحفاظ على البيئة والموارد الطبيعية.

6-الإبتكار في البرامج والخدمات: تطوير برامج جديدة وفعّالة لتلبية إحتياجات المجتمعات المستهدفة، وتبنّي حلول إبداعية لمواجهة التحدّيات الإجتماعية والبيئية.

7-التأثير على السياسات العامة: الفرصة للمشاركة في صياغة السياسات العامة والقضايا الإجتماعية والبيئية على مستوى الدول والمجتمعات.

8-تعزيز الشبكات الدولية: التبادل الدولي للخبرات والموارد مع منظمات خيرية أخرى لتعزيز الفعالية وتحقيق أثر أكبر.

9-التبادل والتعاون الدولي: التعاون مع جمعيات خيرية خارجية ونقل الخبرات والممارسات الناجحة بين الدول.

10-التمويل الدولي: فرص الحصول على تمويل دولي ومِنَحْ لدعم المشاريع الخيرية وتوسيع العمل التنموي.

11-التأثير العالمي: العمل على مستوى دولي لحل المشكلات العالمية مثل الفقر والأمراض والتغير المناخي.

رابعاً: نشأة وتطور الجمعيات الأهلية

نشأت فكرة الجمعيات الأهلية منذ عدة قرون في دول الغرب الرأسمالي، ذلك في إطار مفهوم الخير والإحسان، وفي ضوء القيم الدينية ، وارتبطت معظم هذه الجمعيات بالكنيسة، غير أن هذا المضمون قد تطور واتسع استجابة للظروف الإجتماعية والإقتصادية والثقافية في هذه الدول، بحيث أصبح لهذه المنظمات مضمون جديد ودور أكثر فاعلية في المجتمعات .

وتأسيساً على ماسبق يمكن القول أنه بدأت الجمعيات الاهلية التى تقدم المساعدات للفقراء فى الظهور منذ منتصف القرن التاسع عشر فى اوروبا، ولقد تكونت معظم هذه الجمعيات تحت تأثير أغراض دينية وإصلاحية، وكان هدفها تعليم الفقراء أساليب الحياة السليمة، وكذلك إثارة الوعى العام

بالمشكلات الإجتماعية السائدة، وقد قامت هذه الجمعيات الأهلية على أساس فكرة التطوّع، وإمتزجت فيها الدوافع الدينية بالدوافع الإنسانية، فإن الهدف العام لهم رعاية أبناء الطائفة الدينية.

وإذا ركزنا على النشأة التاريخية للجمعيات والمؤسسات الأهلية لوجدنا إرتباطها يشير نحو العمل الإنساني والإحسان والدين وظهور الجمعيات الأهلية منذ بدايتها.

ولا يفوتنا أيضاً تسليط الضوء علي ما أنجزته الجمعيات من إسهامات تنموية في مجال الرعاية الإجتماعية التي كانت سائدة في ذلك الوقت، وذلك لكي نستطيع التعرّف على أهم سمات ومميزات الجمعيات الأهلية وما جاء بها من تدعيم العمل التطوّعي،

خامساً:خصائص الجمعيات: تتسم الجمعيات بالعديد من الخصائص، وفيما يلي أبرزها:

1- **المصالح المشتركة لجميع الأعضاء:** تُعتبر مصالح أعضاء الجمعية الواحدة مشتركةً، إذ يجتمع الأشخاص بسبب إمتلاك الأهداف والرؤية ذاتها، فيبقى أعضاء الجمعية متّحدين في سبيل تحقيق ما يصبون إليه، دون التراجع قبل إتمام مهمتهم، ومن شأن ذلك مساعدة أعضاء الجمعية على تعلّم كيفية تولي الأدوار والمناصب وفقًا لإمكانية كل عضو وقدرته، والعمل بمسؤولية.

2- **إمتلاك الجمعية أهداف محددة:** يُحدّد أعضاء الجمعية أهداف جمعيتهم من أجل الحفاظ على هويتها، ويتمثل عمل أعضائها بإيجاد حلول المشاكل.

3- **عدد الأعضاء وحجم الجمعية محدد:** لا يزيد عدد أعضاء الجمعية تلقائيًا كما هو الحال في المجتمع، وإنّما يجري ضم عدد معين من الأشخاص لإتمام عمل الجمعية وتحقيق أهدافها، وبعد إنجاز ذلك يسعى أعضاء الجمعية نحو التقدّم ضمن إطار زمني محدد، وزيادة عدد الأعضاء، وخلافًا للمجتمع الذي يكون فيه الأفراد مستقلين بفكرهم، يعمل أعضاء الجمعية في ظل قيادة محددة، إذ أنّ لكل جمعية قواعدها وقوانينها الخاصة بها، والتي يطرحها رئيس الجمعية، ويجري إقرار تلك القوانين بالتشاور مع الأعضاء ذوي الخبرة في الجمعية، ثمّ يعمل أعضاء الجمعية بتلك القوانين لتحقيق أهدافهم ودوافعهم.

4- **تنظيم العلاقات وسلوك الأعضاء فيما بينهم:** يتعيّن على أعضاء الجمعية الإمتثال لأنظمتها وقوانينها، إذ تُحدّد كل جمعية قواعد السلوك الأخلاقي والعام التي يجب إتباعها،وعدم انتهاكها، بحيث لا يُمكن لرئيس أيّ جمعية أنْ يعمل مع أعضاء غير ملتزمين، فالجمعية لا تعترف سوى بالأعضاء الذين يلتزمون بالمبادئ التوجيهية، ومع من يسعوْن للمشاركة في تحقيق أهدافها، وبالتالي كسب ثقة رؤساء جمعياتهم بهم. وغالبًا ما يفقد الأعضاء غير الملتزمين بقوانين

جمعياتهم عضويتهم ويُطردون منها، فمن المهم أن يؤيّد الأعضاء قوانين جمعياتهم وأن لا ينتقدوها، كما ويتعيّن على أعضاء الجمعية التعاون والعمل فيما بينهم.

5- **العضوية في الجمعيات تطوعية:** يُعدّ الإنضمام إلى الجمعية قرارًا طوعيًا يتّخذه الشخص بعد معرفة الأيدولوجية التي تقوم الجمعية عليها، فلا يجوز إرغام أيّ شخص على المشاركة في عمل الجمعية ما لم يرغب بذلك، نظرًا لإختلاف الجمعية عن الدولة أو المنظمات الأساسية التي يتوجب على الشخص العمل فيها. وبإعتبار أنّ العضوية في الجمعية تُعتبر أمرًا تطوعيًا، فيمكن لأعضاء الجمعية الإنسحاب منها في حال شعروا أنّها لا تستوفي الأهداف التي انضموا اليها من أجلها، وفي حال كان هناك عدم جدية في العمل لإتمام تلك الأهداف. ومن الجدير ذكره ضرورة تحمّل كلّ منتسبٍ للجمعية مسؤولية أفعاله.

سادساً: أنواع الجمعيات:

تتعدّد أشكال الجمعيات التي يجري تشكيلها، وفيما يأتي نستعرض أبرز أنواعها:

1- **الجمعيات التجارية:** تُعرف الجمعيات التجارية بأنّها جمعيات تُنشئها القطاعات الصناعية الفردية لغرض واحد، يتمثل بتمكين الشركات التي تعمل في نفس القطاع من التواصل مع بعضها البعض، والإستفادة فيما بينها. وتُعدّ جمعية صناعة الألبان الأمريكية أحد الأمثلة على الجمعيات التجارية.

2- **الجمعيات الخيرية:** تُعرّف الجمعيات الخيرية بأنّها مجموعات تعتمد في تمويلها على دعم الأموال المخصّصة للأغراض الإنسانية، إذ تهدف الجمعيات الخيرية بشكلٍ عام إلى جمع التبرعات ومنحها للجهات التي تكون بحاجة لها، سواءً كانت مؤسسات أخرى أو أفرادًا، وتُعدّ جمعية القلب الأمريكية أحد الأمثلة على الجمعيات الخيرية.

3- **الجمعيات الأهلية:** تُعرّف الجمعيات الأهلية، أو غير الحكومية، بأنّها منظمات مستقلّة عن الدولة وجهاتها الحكومية، وأُطلق عليها هذا الإسم للمرة الأولى عام 1945، وهي كيانات غير ربحية مستقلة عن التأثير الحكومي، على الرغم من أنّها في بعض الأحيان تُموّل من قِبَل الحكومة. وعلى سبيل المثال لا الحصر، تقوم الجمعيات الأهلية بالعديد من الأنشطة كالأعمال البيئية، والإجتماعية، وحقوق الإنسان، وتنخرط كذلك بالعمل على تعزيز التغيير الإجتماعي أو السياسي على الصعيدين المحلي والدولي، ولها دور محوريّ في تطوير المجتمعات وتحسينها وتعزيز مشاركة المواطنين في هذه العملية.

4- **الجمعيات المهنية الجمعيات أو النقابات المهنية:** هي المنظمات التي يتم إنشاؤها لدعم مهنٍ محدّدة ومصالح مَن يعملون فيها، وعلى النقيض من الإتحادات التجارية التي يتألف أعضاؤها من الشركات، يكون أعضاء الجمعيات المهنية أفرادًا من أصحاب المهنة ممّن يتشاركون في الفكر والأهداف، وتُعدّ الجمعية الأمريكية لعلاج النطق والكلام والسمع مثالًا على جمعية مهنية.

سابعاً: الجمعيات والمجتمع:

غالبًا ما يخلط البعض بين مفهومي الجمعية والمجتمع، إلّا أنّ الفرق بينهما كبير، وفيما يتعلق بالعلاقة التي تربط بين المجتمع والجمعية، يتبين أنّ المجتمع يتألف من العديد من التنظيمات، وأحد تلك التنظيمات هي الجمعيات، أي أنّ المجتمع يحتوي على أي تنظيم يجري تطويره على يد مجموعة من الأشخاص. وفيما يتعلق بأوجه الإختلاف بين الجمعيات والمجتمع، فمن المعروف أنّ الجمعيات يجري إنشاؤها بغرض تحقيق بعض الأهداف والطموحات التي يتشاركها مجموعة من الأشخاص، أيّ أنّها تتألف من أفراد ذوي مصالح مشتركة، وعلى النقيض من ذلك، يتألف المجتمع من أفراد وجماعات يختلفون في الرأي والأهداف والطموحات.

الفصل الثالث: الأزمات والحروب وتأثيرها على المجتمعات

أولاً: الأزمات

1- مفهوم وتعريف الأزمات

هي تلك النقطة الحرجة واللحظة الحاسمة التي يتحدد عندها مصير تطورها، إما الى الأفضل وإما الى الأسوء ، الحياة أو الموت ، الحرب أو السلم ، لإيجاد حل لمشكلة ما أو إنفجارها ، فهي كل حالة أو أمر، مهما كان موضوعه ومجاله، لايستطيع صاحبه أو أطرافه وضع حد لإشتداده وتطوره الى الأسوء.

الأزمة هي خلل مفاجئ نتيجة لأوضاع مستقرة يترتب عليها تطورات غير متوقعة، نتيجة عدم القدرة على إحتوائها من قبل الأطراف المعنية، وغالباً ما تكون بفعل الإنسان.

بعتبر مفهوم الأزمة من المفاهيم الواسعة الإنتشار في المجتمع المعاصر، حيث أصبح يمس بشكل أو بآخر كل جوانب الحياة، بدءاً من الأزمات التي تواجه الفرد، مروراً بالأزمات التي تمرّ بها الحكومات والمؤسسات، وإنتهاءً بالأزمات الدولية.

بل إن مصطلح الأزمة أصبح من المصطلحات المتداولة على جميع الأصعدة وفي مختلف المستويات الإجتماعية.

وعالم الأزمات عالم حي ومتفاعل، عالم له أطواره، وله خصائصه، وأسبابه، تتأثر به الدولة أو الحكومة فيتأثر به أصغر كائن موجود في المجتمع البشري.

وإن الأزمات التي تحدث في المنظمات أو المؤسسات ما هي إلا تغييرات مفاجئة تطرأ على البيئة الداخلية أو الخارجية للمنظمة أو المؤسسة دون توقّع لها أو فرض لتجنبها، والحقيقة التي يُفترض أن نقف أمامها كثيراً كي نعيها وندركها هي عدم وجود دولة في العالم محصّنة تماماً من الأزمات، حتى وإن نجت من هذه المخاطر والأهوال لسنوات عديدة .

لقد رافقت الأزمات الإنسان منذ أن وجد على هذه الأرض وتعامل معها وفق إمكاناته المتاحة للحد من آثارها .

الأزمة هي نقطة تحول، أو موقف مفاجئ يؤدي إلى أوضاع غير مستقرة، وتحدث نتائج غير مرغوب فيها، في وقت قصير، ويستلزم إتخاذ قرار محدد للمواجهة في وقت تكون فيه الأطراف المعنية غير مستعدة، أو غير قادرة على المواجهة .

ويعرّفها بيبر (Bieber) بأنها: نقطة تحوّل في أوضاع غير مستقرة يمكن أن تقود إلى نتائج غير مرغوب فيها إذا كانت الأطراف المعنية غير مستعدة أو غير قادرة على احتوائها أو درء مخاطرها.

2- المفاهيم المرتبطة بمفهوم الأزمة:

هناك مجموعة من المفاهيم، التي ترتبط بمفهوم الأزمة وتتداخل معه، ويعتبرها البعض مترادفات، بينما يحرص البعض الآخر على التمييز، وعدم الخلط بينها وبين مفهوم "الأزمة" ، مثل مفاهيم: "المصيبة"، و"النكسة"، التي تطول مدة المعاناة من آثارها، و"النكبة"، و"الكارثة"، وهي وفق تعريف المنظمة الدولية للحماية المدنية:

الكارثة حادث كبير ينجم عنه خسائر كبيرة في الأرواح والممتلكات، وقد تكون طبيعية، مردّها خارجاً عن إرادة الإنسان، وقد تكون إصطناعية أو فنية مردّها فعل الإنسان، سواء كان إرادياً، أو لا إرادياً، وتتطلب مواجهتها معونة تقدمها الحكومة الوطنية، أو يتم تقديمها على المستوى الدولي إذا كانت قدرة مواجهتها تفوق القدرات الوطنية .

كما تعني الكارثة: خللاً مفاجئاً يصيب المجتمع، ويكون هناك إحتمال كبير للتعرض لأخطار شديدة، وهي تحتاج إلى تعبئة جهود عظيمة لمواجهتها (دعم خارجي، كافة أجهزة الدولة، المنظمات الإقليمية، والدولية، وغيرها من لاعبين، سواء حكوميين أو غير حكوميين).

ومن المفاهيم، التي تؤدي لحدوث الأزمات، مفهوم "الصراع"، الذي قد ينطوي على إستخدام القوة العسكرية.

وبالإضافة إلى العناصر المتضمنة في "مثلث الأزمة" كالمفاجأة، وضيق الوقت، والتهديد، وندرة وغموض المعلومات، تسود حالة من الخوف والقلق تحسباً للنتائج، التي قد تنجم عن الأزمة (خسائر، إنهيار كيان

المؤسسة، التي نشبت بها، إهتزاز هيبة متخذ القرار، تصاعد الأزمة وإتساع نطاقها ليمتد إلى مجالات أخرى).

يضاف إلى ذلك مفهوم "الصدمة"، حيث تؤدي لحظة البداية الفعلية للأزمة إلى صدمة ودرجة عالية من التوتر، مما يضعف ويعرقل إمكانيات وقدرات صانع القرار على المواجهة.

3- أنواع الأزمة:

تصنّف الأزمات حسب عدة مقاييس:

أ- من حيث التكرار:

- أزمة ذات طابع دوري متكرر الحدوث مثل (أزمات المياه في الصيف- الأزمات الإقتصادية – الثقة في الحكومات...)
- أزمات فجائية عشوائية وغير متكررة مثل (الأمطار – الأعاصير – الفياضانات...)

ب-من حيث العمق:

- أزمة سطحية غير عميقة، هامشية التأثير، لا تشكّل خطورة وتحدث فطرة بشكل فجائي وتنتهي بسرعة مثل(الإشاعات)، هي أزمة بدون جذور،، تحدث وتختفي بدون آثار.
- أزمة عميقة متغلغلة جوهرية هيكلية التأثير، وهي خطرة ذات طبيعة شديدة القسوة، تعتمد على مدى تغلغلها في الكيان الذي تحدث فيه، وقد تعصف بالكيان الإداري إن لم يتم علاجها بالشكل الصحيح.

ت-من حيث المظهر:

- الأزمة الزاحفة.
- الأزمة العنيفة الفجائية.
- الأزمة الصريحة أو العلنية المفتوحة.
- الأزمة الضمنية أو المستترة.

ث-من حيث المدة:

- أزمات قصيرة الأمد.
- أزمات طويلة الأجل.

ج-من حيث الآثار:

- أزمات ذات آثار وخسائر بشرية.
- أزمات ذات آثار وخسائر مادية.

- أزمات ذات آثار وخسائر معنوية.

ح- أزمات من حيث المستهدف بالإعتداء:

- إعتداء على شخصيات.
- إعتداء على ممتلكات.

خ- أزمات من حيث الهدف:

- إرهاب الطرف الآخر.
- الإبتزاز.

د- أزمات من حيث مسرح الأزمة:

ذ- أزمات من حيث المصدر.

ر- أزمات من حيث القصد.

ز- أزمات من حيث مستوى المعالجة.

4- خصائص الأزمة

عديدة هي خصائص الأزمة ونعرض منها:

أ- التعقيد والتشابك والتداخل.

ب-المفاجأة.

- المفاجأة في المكان.
- لم يتم توقّع حجم آثاره.
- لم يتم توقّع توقيته.
- لم يتم تجهيز الإستعدادات لمواجهته.

ت-وجود مجموعة من القوى ذات الإتجاهات الضاغطة على الكيان الإداري.

ث-تصدّر الخطر أو الأزمة يشكّل تهديداً أساسياً لمصالح الكيان الإداري واستمراره في أدائه الوظيفي.

ج- مواجهتها تستوجب خروجاً على الأنماط التنظيمية المألوفة وإستخدام وسائل غير عادية.

ح-تسبب في بدايتها صدمة ودرجة عالية من التوتر.

خ- تصاعدها المفاجئ يؤدي بمتخذ القرار الى الحيرة البالغة وأحياناً العجز.

د- مجابهة الأزمة تُعد واجباً مصيرياً على كل كيان للمجتمع والدولة.

ذ- ضيق الوقت والتهديد المصاحب ، حيث يؤدي ذلك الى التوتر.

5- أسباب الأزمات

أهم الأسباب التي تساهم في حصول الأزمات هي التالية:

أ- سوء الفهم: وينشأ سوء الفهم عادة من خلال جانبين هامين هما:

- المعلومات المبتورة.
- التسرّع في إصدار القرارات، أو الحكم على الأمور قبل تبين حقيقتها، سواء تحت ضغط الخوف والقلق والتوتر أو نتيجة للرغبة في إستعجال النتائج.

ب- سوء الإدراك:

الإدراك يعد أحد مراحل السلوك الرئيسية حيث يمثل مرحلة إستيعاب المعلومات التي أمكن الحصول عليها والحكم التقديري على الأمور من خلالها، فإذا كان هذا الإدراك غير سليم نتيجة للتشويش الطبيعي أو المتعمّد يؤدي بالتالي إلى إنفصام العلاقة بين الأداء الحقيقي للكيان الإداري وبين القرارات التي يتم إتخاذها، مما يشكل ضغطاً من الممكن أن يؤدي إلى إنفجار الأزمة.

ومشكلة أخرى بالنسبة للمعلومات هي محاولة تفسيرها على ضوء رغبات المرء الشخصية، أو ما يعرف باسم منطق الميول النفسية Psycho Logic فيتقبل المرء من هذه المعلومات ما يوافق هواه ويتفق مع تطلعاته، ويتجاهل من هذه المعلومات ما يخالف رغباته، ومن ثم يسعى لإختلاق المبررات للمعلومات التي تجد هوى في نفسه، كما يتفنن في إيجاد الذرائع لإستبعاد المعلومات التي تتناقض مع مفاهيمه الأساسية، ومن ثم يأتي تفسيره للأزمات مشوباً بنظرة شخصية ضيقة.

ت- التقدير والتقييم:

يعد سوء التقدير والتقييم من أكثر أسباب حدوث الأزمات في جميع المجالات وعلى وجه الخصوص في المجالات العسكرية.

وينشأ سوء التقدير من خلال جانبين أساسيين هما:

- المغالاة والإفراط في الثقة سواءً في النفس أو في القدرة الذاتية على مواجهة الطرف الآخر والتغلب عليه.
- سوء تقدير قوة الطرف الآخر والإستخفاف به وإستصغاره والتقليل من شأنه.

وتُعدّ حرب أكتوبر 1973م أحد الأمثلة القوية على هذا السبب، خاصة عندما توافرت لدى كل من الولايات المتحدة وإسرائيل المعلومات الكاملة عن الحشود المصرية والسورية العسكرية، ولكنها تحت وهم وغطرسة القوة وخداع النفس العنصري الإسرائيلي، وأسطورة الجيش الذي لا يقهر، اطمأنت إلى أن المصريين والسوريين لن يقدموا على شيء ذي أهمية، ومن ثم كان الهجوم المصري السوري المشترك مذهلاً وصادماً.

ث- الإدارة العشوائية:

يطلق عليها مجازاً إدارة، ولكنها ليست إدارة، بل هي مجموعة من الأهواء والأمزجة التي تتنافى مع أي مبادئ علمية، وتتصف بالصفات الآتية:

- عدم الإعتراف بالتخطيط وأهميته وضرورته للنشاط.
- عدم الإحترام للهيكل التنظيمي.
- عدم التوافق مع روح العصر.
- سيطرة النظرة الأحادية السوداوية.
- قصور التوجيه للأوامر والبيانات والمعلومات وعدم وجود التنسيق.
- عدم وجود متابعة أو رقابة علمية وقائية وعلاجية.

ويُعد هذا النوع من الإدارة الأشد خطراً لما يسببه للكيان الإداري من تدمير لإمكانياته وقدراته، ولعل هذا ما يفسر لنا أسباب أزمات الكيانات الإدارية في دول العالم الثالث، التي تفتقر إلى الرؤية المستقبلية العلمية والتي لا تستخدم التخطيط العلمي الرشيد في إدارة شؤونها وتطبق أنماطاً إدارية عشوائية شديدة التدمير والخراب.

ج- الرغبة في الإبتزاز:

تقوم جماعات الضغط، وأيضاً جماعات المصالح بإستخدام مثل هذا الأسلوب وذلك من أجل جني المكاسب غير العادلة من الكيان الإداري، وأسلوبها في ذلك هو صنع الأزمات المتتالية في الكيان الإداري، وإخضاعه لسلسلة متوالية من الأزمات التي تجبر متخذ القرار على الإنصياع لهم.

ح- اليأس:

يُعدّ من أخطر مسببات الأزمات فائقة التدمير، حيث يعد اليأس في حد ذاته أحد " الأزمات " النفسية والسلوكية والتي تشكل خطراً داهماً على متخذ القرار.

خ- الإشاعات:

من أهم مصادر الأزمات، بل إن الكثير من الأزمات عادة ما يكون مصدرها الوحيد هو إشاعة أُطلقت بشكل معين...، وتم توظيفها بشكل معين، وبالتالي فإن إحاطتها بهالة من المعلومات الكاذبة، وإعلانها في توقيت معين، وفي إطار مناخ وبيئة محددة، ومن خلال حدث معين يؤدي إلى أن تنفجر الأزمة.

د- إستعراض القوّة:

هذا الأسلوب عادة ما يستخدم من قبل الكيانات الكبيرة أو القوية ويطلق عليه أيضاً مصطلح " ممارسة القوّة " وإستغلال أوضاع التفوّق على الآخرين، سواء نتيجة الحصول على قوة جديدة، أو حصول ضعف لدى الطرف الآخر أو للاثنين معاً.ويبدأ بعملية إستعراضية خاطفة للتأثير على مسرح الأحداث دون أن يكون

هناك حساب للعواقب، ثم تتدخل جملة عوامل غير منظورة فتحدث الأزمة، ومن ثم تتفاقم مع تتابع الأحداث وتراكم النتائج.

ذ- الأخطاء البشرية:

تعد الأخطاء البشرية من أهم أسباب نشوء الأزمات سواءً في الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وتتمثل تلك الأخطاء في عدم كفاءة العاملين، وإختفاء الدافعية للعمل، وتراخي المشرفين، وإهمال الرؤساء ، وإغفال المراقبة والمتابعة، وكذلك إهمال التدريب.

ومن الأمثلة على الأزمات الناتجة عن الأخطاء البشرية، حادثة تشرنوبيل، وحوادث إصطدام الطائرات في الجو.

ر- الأزمات المخططة:

تعمل بعض القوى المنافسة للكيان الإداري على تتبع مسارات عمل هذا الكيان، ومن خلال التتبع تتضح لها الثغرات التي يمكن إحداث أزمة من خلالها.

ز- تعارض الأهداف:

عندما تتعارض الأهداف بين الأطراف المختلفة يكون ذلك مدعاة لحدوث أزمة بين تلك الأطراف، خصوصاً إذا جمعهم عمل مشترك، فكل طرف ينظر إلى هذا العمل من زاويته، والتي قد لا تتوافق مع الطرف الأخر.

س- تعارض المصالح:

يعد تعارض المصالح من أهم أسباب حدوث الأزمات، حيث يعمل كل طرف من أصحاب المصالح المتعارضة على إيجاد وسيلة من وسائل الضغط لما يتوافق مع مصالحه، ومن هنا يقوّي تيار الأزمة.

6- مهام الإعلام فى المراحل المختلفة للأزمة:

يختلف التناول الإعلامى للأزمات بإختلاف المراحل التى تمرّ بها الأزمة؛ حيث يقوم الإعلام بمهام ووظائف وأدوار تختلف بإختلاف هذه المراحل كما يأتي:

أ-مرحلة نشر المعلومات: وهى المرحلة التى تبدأ مع بداية ظهور الأزمة؛ حيث يقوم الإعلام بدور حيوى فى التعريف بالأزمة، وإمداد الجمهور بالمعلومات والبيانات عنها ليواكب رغبة الجماهير فى مزيد من المعرفة وإستجلاء الموقف عن الأزمة وأبعادها.

ب-مرحلة تفسير المعلومات: حيث تقوم وسائل الإعلام فى هذه المرحلة بتحليل عناصر الأزمة والبحث فى جذورها وأسبابها ومقارنتها بأزمات مماثلة، وهنا تفسح وسائل الإعلام المجال أمام كل ما يساعد على إستجلاء الحقائق وتوضيحها، سواء موادًا إيضاحية مفسرة، أو تحليلات و آراء الخبراء والمحللين طبقًا لطبيعة

الأزمة ومجالها وحدود آثارها، كذلك تتعرّض وسائل الإعلام لموقف المسؤولين وصانعى القرار تجاه الأزمة وسبل التعامل معها لإحتواء آثارها.

ت–المرحلة الوقائية: وهى مرحلة ما بعد إنحسار الأزمة؛ حيث لا يتوقف دور وسائل الإعلام على مجرد تفسير الأزمة، والتعامل مع عناصرها وتطوراتها، بل يجب أن يتخطى الدور الإعلامى هذا البعد، لتقدم وسائل الإعلام للجماهير طرق الوقاية وأسلوب التعامل مع أزمات مشابهة.

وهذه المهام والأدوار التى يقوم بها الإعلام خلال المراحل المختلفة للأزمة تتطلب الإلتزام ببعض الضوابط و المحددات التى تزيد من فعالية الرسالة الإعلامية فى مواجهة الأزمات.

7–محددات وضوابط دور الإعلام فى مواجهة الأزمات فى مراحلها المختلفة:

أ– الدقة وإمداد الرأى العام بالحقائق التفصيلية عن الأزمة.

ب–الإهتمام بالتصريحات ذات الطبيعة الرسمية والسياسية التى تساعد على تشكيل إتجاهات الرأى العام تجاه الأزمة.

ت–الإعتراف بالأخطاء التى قد تحدث أثناء عمليات الإنذار والإغاثة، وذلك بالنسبة للأزمات والكوارث الطبيعية لكسب المصداقية.

ث–القدرة على التعامل بموضوعية وعدم إنفعال مع الأحداث.

ج–سرعة نشر الحقائق لخلق مناخ صحي يحتوى آثار الأزمة ويواجه الشائعات التى تنشط أثناء الأزمات.

ح– الإهتمام بفورية نقل الحدث من موقعه، والتواجد فى مناطق الأحداث، والإهتمام بالمادة المصوّرة.

خ– الإهتمام بالتقارير والتحليلات والتعليقات الإخبارية عن الأزمة وتطوراتها.

د– الإهتمام بالمادة الوثائقية المصاحبة للتغطية التليفزيونية؛ بما يفسّر أسباب الأزمة وأبعادها، وتحديد كيفية التعامل معها.

ذ– البعد عن مبدأ حجب المعلومات أو إخفائها، بحيث تكون وسائل الإعلام هى الرابطة بين صانعى القرار فى الأزمة والمسؤولين عن التعامل معها والرأي العام.

ر– الإهتمام بالوصول إلى مواقع الأحداث، وإجراء الحوارات مع الشهود والمسؤولين، وكذلك الخبراء والسياسيين والمفكرين، لمساعدة الرأى العام على تكوين رأي تجاه الأزمة.

ز– الإهتمام بعنصر التكامل فى المعلومات المقدمة حول الأزمة بتناول الأبعاد المختلفة لها.

س– الإهتمام بعنصر المتابعة المستمرة للأزمة وتداعياتها فى المراحل المختلفة.

ش- فتح قنوات إتصال مباشرة بين وسائل الإعلام والجمهور لتلبية حاجاتهم إلى الفهم والمعرفة عن الأزمة وتطوراتها.

ص- الإلتزام بتدفق المعلومات دون وضع ما يعيقها من رقابة أو سيطرة مسبقة، مما يتطلب من الإعلاميين أنفسهم تجنّب الرقابة الذاتية فى التعامل مع الأحداث.

ض- العمل على الحفاظ على الأمن الداخلى وسلامة المواطنين ومصالحهم الحيوية.

ط- التأكد من وصول المعلومات والبيانات اللازمة إلى الجمهور بالقدر المناسب ودون آراء مسبقة.

ظ- التوازن فى عرض وجهات النظر المختلفة حول الأزمة، وإتاحة فرص للحوار والنقاش حولها.

ع- أن يلتزم الإعلام وقت الأزمات بتحقيق وظيفتين:

- أن يكون الإعلام انعكاسًا لمجتمع الأزمة، بمعنى أن يكون معبرًا عن إحتياجات الجمهور وملبيًا لتساؤلاته وإحتياجاته وقت الأزمة.
- أن يكون الإعلام موجهًا لمجتمع الأزمة، بحيث يحوّل كل فرد من أفراد المجتمع، من مجرد متلقٍ سلبي للرسالة الإعلامية إلى متفاعل معها، ومتجاوب مع عناصرها، ومحقق لأهدافها، من خلال القيام بسلوك معين يتطلبه التعامل مع الأزمة، فضلًا عن إحداث وحدة فى الفكر العام للمجتمع وصياغة إتجاه عام متوافق عليه إزاء الأزمة.

8- مراحل تطوّر الأزمة

تمرّ الأزمة بإعتبارها ظاهرة إجتماعية بدورة حياة ، مثلها في هذا مثل أي كائن حي، وهذه الدورة تمثّل أهمية قصوى في متابعتها، والإحاطة بها من جانب متخذ القرار الإداري.

فكلما كان متخذ القرار سريع التنبّه في الإحاطة ببداية ظهور الأزمة، أو بتكّون عواملها، كلما كان أقدر على علاجها والتعامل معها، وذلك للحد من آثارها وما ينتج عنها من إنعكاسات سلبية.

ويرى الخضيري أن هناك خمس مراحل رئيسية لتطور الأزمة هي:

المرحلة الأولى: مرحلة ميلاد الأزمة:

وفي هذه المرحلة تبدأ الأزمة الوليدة في الظهور لأول مرة في شكل إحساس مبهم، قلق بوجود شيء ما يلوح في الأفق، وينذر بخطر غريب غير محدد المعالم، أو الإتجاه، أو الحجم، أو المدى الذي سيصل إليه. والأزمة غالباً لا تنشأ من فراغ وإنما هي نتيجة لمشكلة ما لم يتم معالجتها بالشكل الملائم.

ومن هنا يكون إدراك متخذ القرار وخبرته، ومدى نفاذ بصيرته ، هي العوامل الأساسية في التعامل مع الأزمة في مرحلة الميلاد، ويكون محور هذا التعامل هو " تنفيس الأزمة " وإفقادها مرتكزات النمو،

ومن ثم تجميدها أو القضاء عليها في هذه المرحلة دون أن تحقق أي خسارة أو دون أن تصل حدتها إلى درجة الصدام العنيف.

المرحلة الثانية: مرحلة النمو والإتساع:

تنشأ نتيجة لعدم معالجة المرحلة الأولى في الوقت المناسب، حيث تأخذ الأزمة في النمو والإتساع من خلال نوعين من المحفزات هما :

- مغذيات ومحفزات ذاتية مستمدة من ذات الأزمة، تكوّنت معها في مرحلة الميلاد.
- مغذيات ومحفزات خارجية إستقطبتها الأزمة وتفاعلت معها وبها، وأضافت إليها قوة دفع جديدة، وقدرة على النمو والإتساع.

وفي هذه المرحلة يتعاظم الإحساس بالأزمة ولا يستطيع متخذ القرار أن ينكر وجودها، أو يتجاهلها، نظراً لوجود ضغط مباشر يزداد ثقله يوماً بعد يوم، فضلاً عن دخول أطراف جديدة إلى مجال الإحساس بالأزمة، سواءً لأن خطرها إمتد إليهم، أو لخوفهم من نتائجها، أو من أن خطرها سوف يصل إليهم.

وفي هذه المرحلة أيضاً يكون على متخذ القرار التدخّل من أجل إفقاد الأزمة روافدها المحفزة والمقوية لها على النحو التالي:

- تحييد وعزل العناصر الخارجية المدعمة للأزمة، سواءً بإستقطابها، أو خلق تعارض مصالح بينها وبين إستفحال الأزمة.
- تجميد نمو الأزمة بإيقافها عند المستوى الذي وصلت إليه وعدم السماح بتطورها، وذلك عن طريق إستقطاب عوامل النمو الذاتي التي حركّت الأزمة.

المرحلة الثالثة: مرحلة النضج:

تُعد من أخطر مراحل الأزمة، ومن النادر أن تصل الأزمة إلى مثل هذه المرحلة، وتحدث عندما يكون متخذ القرار الإداري على درجة كبيرة من الجهل والتخلف والإستبداد برأيه وانغلاقه على ذاته، أو إحاطة هذه الذات بالقدسية، وبحاشية من المنافقين الذين يكيلون له المديح ويصوّرون له أخطاءه حسنات.. وبذلك تصل الأزمة إلى أقصى قوتها وعنفها، وتصبح السيطرة عليها مستحيلة ولا مفرّ من الصدام العنيف معها. وهنا قد تكون الأزمة بالغة الشدّة ، شديدة القوّة تطيح بمتخذ القرار وبالمؤسسة أو المشروع الذي يعمل فيه، أو أن يكون متخذ القرار قد إستطاع بدهاء تحويل إتجاه الأزمة إلى كبش فداء، وهمي، تتفتت عنده، وتنتهي بإستقطاب عناصر القوّة فيها والسيطرة عليهم بشكل أو بآخر.

المرحلة الرابعة: مرحلة الإنحسار والتقلّص:

تبدأ الأزمة بالإنحسار والتقلص نتيجة للصدام العنيف، الذي تم إتخاذه، والذي يُفقدها جزءاً هاماً من قوتها...

على أن هناك بعض الأزمات تتجدد لها قوة دفع أخرى، عندما يفشل الصدام في تحقيق أهدافه وتصبح الأزمات في هذه الحالة كأمواج البحر، موجة تندفع وراء موجة.

المرحلة الخامسة: مرحلة الإختفاء:

تصل الأزمة إلى هذه المرحلة عندما تفقد بشكل شبه كامل قوة الدفع المولدة لها أو لعناصرها، حيث تتلاشى مظاهرها وينتهي الإهتمام بها والحديث عنها، إلا أنه من الضرورة الإستفادة من الدروس المستفادة منها لتلافي ما قد يحدث مستقبلاً من سلبيات.

والحقيقة أن الإنحسار للأزمة يكون دافعاً للكيان الذي حدثت فيه، لإعادة البناء وليس لإعادة التكيّف، فالتكيّف يصبح أمراً مرفوضاً وغير مقبول لأنه سيبقى على آثار ونتائج الأزمة بعد إنحسارها، أما إعادة البناء فيتصل أساساً بعلاج هذه الآثار والنتائج، ومن ثم إستعادة فاعلية الكيان وأدائه وإكسابه مناعة أو خبرة في التعامل مع أسباب ونتائج هذا النوع من الأزمات.

ثانياً: الحروب

1- تعريف الحروب

الحرب هي ظاهرة العنف الجماعي المنظّم التي تؤثر إما على العلاقات بين مجتمعين أو أكثر أو تؤثر على علاقات القوة داخل المجتمع. وتخضع الحرب لقانون النزاع المسلّح، الذي يدعى أيضًا "القانون الدولي الإنساني". يرتبط مفهوم القانون الدولي الإنسَاني إرتباطًا وثيقًا بأقدم تاريخ عرفته البشرية.

الحرب هي نضال مسلّح بين القوات المسلّحة لكل من الفريقين المتنازعين، يرمي كل منهما الى صيانة حقوقه، ومصالحه في مواجهة الطرف الآخر. أي أن الحرب هي وسيلة لصيانة الحقوق والمصالح عند كل طرف. إن الحرب نتاج صراع مسلّح بين الدول، بقصد فرض إحداها أو مجموعة منها لوجهة نظرها بالقوة على الدولة أو الدول الأخرى.

يُعرّف الكاتب الروماني شيشرون الحرب على أنّها نزاع بالقوّة، ويعرّفها الفيلسوف والعالم الهولندي "هوغو غروتيوس" بأنّها حالة نزاع بين الأحزاب، وعرّفها عالم الرياضيات والفيلسوف الإنجليزي "توماس هوبز" أنّها حالة من الأشياء التي قد توجد حتّى في ظلّ إنعدام العمليات أو القوى العسكرية المرتبطة بها، ويُعرّفها الفيلسوف والكاتب الفرنسي "دينيس ديديروت" بأنّها مرض شديد يُصيب الجهات أو الجماعات السياسية،

وعرّفها الجنرال والمؤرّخ البروسي "كارل فون كلاوزفيتز" بأنّها استمرار السياسية بوسائل أخرى، ويتّفق الخبراء على أنّ ليس كلّ شجار يضم جماعات مسلحة في ذات النظام السياسيّ هو حرب أهلية.

الحرب هي إستخدام العنف المسلح المنظم بين الجماعات الإنسانية، إنها الوسيلة الأكثر قسراً للدولة لتحقيق أهدافها، وهي أيضاً تُستخدم لإنجاز السياسة الوطنية.

عرّفها العالم الالماني "كالوزفيتز، بإنها: الإستمرار بالسياسة ولكن بوسائل أخرى.

الحرب عملية قديمة قدم الإنسان، ففي المجتمعات القديمة كانت الحرب ظاهرة مألوفة من أجل إشباع الحاجات المختلفة.

وتُعرّف الحرب وفقاً لعلماء الإجتماع بأنها صراعات تقوم بين كيانات مختلفة مستقلة، ومعترف بها دولياً، فليست كل النزاعات تُسمى حروباً، إذ أنّ الاختلاف في طبيعة الأطراف المتنازعة ينتج عنه إختلاف في مسميات هذه النزاعات، فيُطلق على النزاعات المُسلحة التي تنشأ بين الدول القوية والشعوب الضعيفة غير القادرة على الدفاع عن نفسها مثلاً اسم الحملات العسكرية أو الإحتلال، فيما يُطلق على نفس النوع من النزاع اسم (حرب) إذا استمرت المقاومة خلالها لفترة طويلة من الزمن.

2- أنواع الحروب:

للحرب انواع عدة، منها:

أ- حَرْب أهلية أو حَرْب طائفية: وهي عبارة عن نزاع مسلّح يكون بين أفراد الدولة الواحدة.

ب- حَرْب إعلامية: وهي حرب قائمة بين أجهزة الإعلام في الدول المتحاربة.

ت- الحرْبُ الباردةُ: وهي حرب بمكيدة كلّ طرف من الأطراف المتنازعة للطرف الآخر، دون أن يكون هناك قتال، وهي الحرب التي دامت لأكثر من 50 عاماً بين الإتحاد السوفييتي سابقاً والولايات المتحدة الأمريكية.

ث-حَرْب الإستنزاف: وهي حرب غير متصلة، وإنّما تهدف إلى إستنفاذ قوى العدو وإنهاء موارده.

ج- الحَرْب العالمية: هي الحرب التي تشترك فيها دول عدة من دول العالم.

ح- حَرْب خاطفة: هي عبارة عن هجمة سريعة ومفاجئة تكون جوية وبرية، وتقوم في أساسها على الهجوم الصاعق.

خ- حَرْب نفسية: محاولات هادفة للتأثير على معنويات ونفسية المشاركين في الحرب أثناء وقوعها.

د- حَرْب العصابات: حرب يكون أحد أطرافها جنوداً غير نظاميين؛ حيث يهاجمون العدو كلما وجدوا فرصة لذلك، ويفرّون إلى مكان آمن وهكذا.

ذ- حَرْب وقائية: وهي حرب دفاعية لحماية البلاد من الغزوات المحتمل وقوعها.

ر- حَرْب شاملة: وهي الحرب التي يمتد التدمير فيها إلى المدن وجميع السكان المدنيين. وقد تعدّدت أهداف الحروب ووسائلها وظهرت مسميات لحروب جديدة، فلم تعد الحرب فقط هي وسيلة لبسط نفوذ دولة على دولة أخرى، وقد ظهرت اليوم الحرب المدنية، والحرب الاقتصادية، والحرب الأيديولوجية والتي تهدف إلى نشر معتقدات سياسية ودينية معينة، بالإضافة إلى الحرب ضد الأمراض، والحرب الكيماوية، والحرب البيولوجية، والحرب ضد الجهل.

3- أسباب الحروب وآثارها والحدّ منها:

أ- الأسباب:

للحرب أسباب متعددة ومختلفة، تتوزع بين:

- اسباب إقتصادية.
- أسباب سياسية.
- أسباب نفسية وإجتماعية.
- أسباب دينية وأيديولوجية لتوسيع نفوذ دولة على حساب دولة أخرى.

ويمكن عرض هذه الأسباب على الشكل التالي:

- تحقيق مصالح معينة لمجموعة من الأفراد المختلفين على تلك الأمور.
- الحصول على مناطق الرعي الجيدة أو الطعام، كما حصل في العصور القديمة عندما أعلنت القبائل الجائعة في آسيا الوسطى الحرب على من يجاورها للحصول على الأرض الخصبة بعد أن جفّت أراضيها ومراعيها؟
- حصول دولة ما على إستقلاليتها ودفاع شعب معين عن حريته وإستقلاله وتحرير نفسه من أغلال دولة أخرى تكون قد فرضت هيمنتها بقوة السلاح.

ب- آثار الحروب وأضرارها : كبيرة جداً هي آثار الحروب ومؤثرة على المجتمعات البشرية سلباً:

- تُهدِر موارد الشعوب وثرواتهم.
- تودي بحياة الكثير من الأشخاص دون سبب عقلاني.
- تمثل سبباً لمنع تقدم البشرية على مختلف الأصعدة سواء إقتصادياً أو إجتماعياً أو غير ذلك...
- تزيد الحروب من معدل إرتكاب الجرائم.
- تزيد من إرتفاع نسبة البطالة في المجتمع.
- تُضعِف معنويات الأفراد، وتُضعِف الأخلاق والقيم الحسنة في المجتمع.

كذلك يمكن أن نصنف آثار الحروب على الأشخاص كما يلي:

أولاً: الآثار الصحية للحروب على الإنسان: تطال الحروب الإنسان فتتسبب له بالعديد من الآثار الصحيّة، وفيما يأتي بعض منها:

- تُسبب الحروب إصابات جسدية بين الأفراد مدنيين كانوا أم عسكريين، والتي تكون نتيجتها إما إعاقة أو وفاة.
- تؤثر الحروب على الصحة النفسية للإنسان، بما ينتج عنها من إضطرابات نفسية وعقلية قد تمتد لفترات زمنية طويلة، والتي قد ينتقل أثرها من جيل إلى آخر.
- ينتج عن الحروب تدمير للبنية التحتية التي تدعم الصحة العامة للمجتمع مثل: قطاعات الأنظمة الغذائية، والرعاية الطبية، والنظافة، والنقل، والإتصالات، والطاقة الكهربائية.

ثانياً: الآثار النفسية:

1- على المدنيين: أثبتت العديد من الدراسات والأبحاث أنّ الأشخاص المدنيين الذين عاشوا الحرب، أو نزحوا من بلادهم هم أكثر عُرضة للإصابة بحالات الإكتئاب والصدمات النفسية، والضيق النفسي الشديد من غيرهم من الأشخاص الذين لم ينزحوا من بلادهم، أو يعيشوا ظروف الحروب القاسية.

2- الآثار النفسية على الأطفال: تختلف الآثار النفسية الناتجة عن الحروب على الأطفال تبعاً للمرحلة التي يمر بها الطفل، مما يوجب التعامل مع الأطفال بطريقة خاصة ومختلفة عن غيرهم، وذلك لأنهم ما زالوا يمرون بمرحلة نضوج فكري، وجسدي، وعاطفي، وإجتماعي، وينجم عن تعرّض الطفل لضغوطات الحروب آثار عديدة وبعيدة المدى، فالحروب تؤثر على تطوير شخصيته وبنائها، وعلى المعايير الداخلية للصواب والخطأ لديه، كما تؤثر على ضبط ردود أفعاله العدوانية، بالإضافة إلى ما تخلّفه له من مشاكل صحية تؤثر على الأعصاب.

ثالثاً: الآثار النفسية على الجنود وعائلاتهم: للحروب آثار نفسية عديدة على الجنود وعائلاتهم، ويظهر الجزء الأكبر من هذه الآثار بعد عودة الجنود إلى منازلهم وعائلاتهم، وفيما يأتي بعض النقاط التي توضح هذه الآثار على الجندي وأفراد عائلته:

- الأثر النفسي على الجندي نفسه: يشعر معظم الجنود أثناء إبتعادهم عن أوطانهم بالوحدة الشديدة والرغبة المُلحّة في العُزلة نتيجة لعوامل عديدة، و يمكن تقليص هذا الأثر بتواصل ذوي الجنود معهم ومساندتهم لهم عبر وسائل التواصل المتاحة .فيما قد يواجه الجنود مرحلة جديدة من الأزمات النفسية التي قد تظهر على شكل إكتئاب، واضطرابات، وقلق، بالإضافة إلى معاناتهم من إصابات أُخرى في مناطق مختلفة من الجسم نتيجة لهذه الحروب.

- الأثر النفسي على علاقة الجندي بشريكه: سيواجه الشريك مسؤوليات كبيرة أثناء غياب شريكه عن المنزل تتمثّل في أمور رعاية الأطفال، والإهتمام بشؤون المنزل، والإدارة المالية لدخل الأسرة، حيث تنعكس هذه المسؤوليات على شكل قلق وضغط نفسي كبير على الطرفين، أمّا بعد عودة الجندي ستنعكس حالاته النفسية على العلاقة مع شريكه، حيث سيترتب على الإضطراب الذي يُعاني منه كلا الطرفين مشاكل زوجية قد تتطوّر إلى عنف أُسري.
- الأثر النفسي على الأطفال: تبدأ الآثار النفسية بالظهور على أطفال المجنّد أثناء غيابه، فيما تختلف ردود أفعال الأطفال حسب الفئة العمرية لكل منهم، فقد تظهر آثار غياب أحد الوالدين على شكل إضطراب وقلق، أو نوبات غضب، أو تغيرات عديدة في الحالة المزاجية، أو إختلاف في عادات الأكل، أو في حدوث حالة من عدم المبالاة لدى الطفل.

رابعاً: الآثار الاقتصادية للحروب على الإنسان: تؤدي الحروب إلى خسائر وتكاليف اقتصادية كبيرة جداً منها:

1- التضخم: يُمكن أن تؤدي الحروب في كثير من الظروف إلى حدوث تضخّم إقتصادي، وهو الأمر الذي سيجعل النظام المالي يفقد ثقة المواطنين.
2- إرتفاع مديونية الدولة: غالباً ما تشهد الدول خلال الحروب إرتفاعاً سريعاً للدين العام في القطاع الحكومي، بصورة تفوق المعتاد من أجل دعم نظامها وتعزيزه أثناء الحرب.
3- الحروب الأهلية: تُعدّ الحروب الأهلية واحدة من أكثر الأمور التي تشكل خطراً على أي دولة، فهذا النوع من الحروب يُعدّ عاملاً أساسياً في تدمير الإقتصاد، لما تشهده البلدان خلالها من تراجع في الإستثمار على الصعيدين المحلي والأجنبي، وما تواجهه من تضعضع في قطاع السياحة الداخلية، وتختلف التكلفة للحرب تبعاً لمدتها ونوعها، ومجرياتها وما آلت إليه من نتائج، كما تختلف النفقات أيضاً تبعاً للأضرار الناجمة، حيث تؤخذ الأموال التي تُصرف في إصلاح الدمار الناجم عن الحرب في عين الإعتبار، بالإضافة إلى الخسائر البشرية التي لا يمكن تعويضها.

خامساً: أثر الحروب في تدمير البيئة: تتأثّر البيئة بشكل واسع بالحروب التي يشنّها الإنسان، ويكون ذلك من خلال ما يأتي:

- تدمير الموائل: ينتج عن تهجير العديد من الأفراد إلى مواطن جديدة إثر الحروب عدد من الآثار السلبية، منها: إزالة العديد من الغابات، وما يترتّب على ذلك من مشاكل أخرى مثل تآكل التربة، بالإضافة تلوّث الماء والأرض بسبب النفايات البشرية الناتجة عن اللّاجئين، كما قد تلجأ

الجيوش إلى إستخدام بعض أدوات الحروب غير الشرعية، مثل مبيدات الأعشاب، ممّا يتسبّب بمشاكل بيئيّة، قد تحتاج بعدها المناطق المستهدفة إلى عقود طويلة حتى تعود إلى طبيعتها. إدخال أنواع من النباتات والحيوانات إلى موطن جديد غير موطنها الأصلي: لا يقتصر ما تحمله طائرات الشحن، والسفن الحربية، وغيرها على الجنود، والذخائر، والمعدّات فقط، بل يتعدّى ذلك ليشمل نقل نباتات أو حيوانات من مواطنها الأصلية إلى مواطن أخرى عبر هذه التحرّكات، وهو الأمر الذي قد يؤثّر سلباً على الحيوانات الموجودة أصلاً في هذه المواطن الجديدة.

- إنهيار البنية التحتية: تستهدف الحملات العسكرية في الحروب مواقع البنية التحتيّة في البلاد من طرق، وجسور، ومرافق عامة، وغيرها، ممّا يؤثّر سلباً بشكل غير مباشر على البيئة، فمثلاً يؤدّي تدمير محطات معالجة مياه الصرف الصحي إلى تدهور جودة المياه، كما قد يتسبّب قصف مصانع المواد الكيميائية بتسرّب السموم منها.
- زيادة الإنتاج: قد تؤدّي زيادة الطلب على بعض المنتوجات في مجالات الصناعة، والزراعة، وغيرها بهدف دعم المجهود الحربي في مناطق الحروب، أو حتى تلك المناطق التي لم تتأثّر مباشرة بالحرب إلى إلحاق الضرر بالبيئة الطبيعية، ومثال ذلك قطع العديد من الأشجار من المناطق البرية لتلبية المطالب الحربية على المنتجات الخشبيّة، أو لتوفير مصدر دخل لشراء الأسلحة...
- **تأثير القصف الجوي والبحري على البيئة:** يؤدي القصف البَحري والجوي للمُدن والقرى أثناء الحروب إلى تدمير البُنية التحتية اللّازمة لمعيشة الإنسان، ممّا يتسبّب في هِجرة الناس نتيجة تدمير المنازل، والغابات، والحقول الزراعية، وشبكات الريّ، وأنظمة النقل، إلى جانب تخريب السَّواحل، وغرق السُّفن بالمياه، كما أنّ المراكز التجارية والمناطق السكنية أصبحت بفعل القصف مناطق مهجورة، وقد عانت بعض الدول على مدى التاريخ من آثار الحرب على بيئتها، إذ فشلت فيها المحاصيل، ممّا أدّى إلى حدوث سوء تغذية ومجاعة تسبّبت في موت الكثير من سكّانها.
- تأثير زراعة الألغام والمُتفجّرات في الأرض على البيئة، وتكمن آثار الألغام في منعها السُّكّان من زراعة الأراضي والإستفادة من المصادر الطبيعية فيها، وفي حال إنفجارها فإنّها تُدمّر التُّربة، وتُسبّب خللاً في نظامها، كما تؤدّي في بعض الحالات إلى موت الكائنات الحية، وإعاقة مسار المياه.

لقد بذلت شعوب الأرض جهوداً كبيرة للحد من الحروب بعد أن أصبحت واعية تماماً لما تسبّبه من تدمير وفتك وتخريب، بالإضافة إلى قدرتها على إنهاء حياة الجنس البشري؛ خاصة عندما تستخدم الأسلحة الفتاكة فيها، وتجسيداً لهذه الجهود قامت العديد من المنظمات العالمية الداعية إلى وقف الحرب والحد من آثارها، مثل: عصبة الأمم، وهيئة الأمم المتحدة، والمحاكم الدولية مثل محكمة عدل لاهاي، والتي عملت بدورها على تخفيف حدوث الحروب واللجوء إلى الوسائل السلمية لحل النزاعات.

سادساً: أهمية التضامن الإجتماعي ودور الجمعيات في تحقيقه خلال الأزمات

1- مفهوم التضامن: يُعرّف التضامن بأنه أحد القيم العالمية والأساسية القائم على المساواة والعدالة الاجتماعية، فهو أساس للعديد من القيم مثل الأخوّة، والإنتماء، والرِفعة، وذلك لأنه يُعدّ مبدأً إنسانياً يُعزز الشعور بالوحدة العاطفية مع الأفراد الذين تُقدم إليهم المساعدة، فهو لا يتعلق بالمصالح الذاتية للأفراد بل بطبيعة العلاقات المتبادلة بينهم للحفاظ على ترابط المجتمع وإنسجامه. ويُمكن تحقيقه، من خلال الإلتزامات المتبادلة بين أفراد المجتمع الواحد والمجتمع العالمي بتقديم المساعدة والتعاون فيما بينهم، والوعي بأهمية تقديم هذه الرعاية المتبادلة

2- أهمية التضامن: تكمن أهمية التضامن والتعاون المتبادل بين الأفراد أو الجهات المختلفة في تحقيق العديد من النتائج الإيجابية، من أبرزها ما يأتي:

أ- تحقيق كرامة الإنسان.

ب- حفظ حقوق الإنسان كافّة.

ت- التنمية الإنسانية.

ث- تعزيز التواصل بين مختلف الفئات بغض النظر عن الفروق والإختلافات بينها.

ج- الحدّ من إنتشار الفقر، والجوع، والمرض.

ح- وسيلة لتحقيق العدالة الإجتماعية.

خ- تحقيق الشعور بالوحدة بين البشر.

د- المساهمة في تجاوز الكوارث التي قد تتعرّض لها المجتمعات كالكوارث الطبيعية أو الحروب.

3-وسائل تعزيز التضامن: يُوجد العديد من الوسائل والأنشطة التي يُمكن إتباعها لتعزيز مفهوم التضامن وتحقيقه في المجتمعات، ومن أبرزها ما يأتي:

أ- منع إستخدام الألغام الأرضية.

ب- توفير العلاج والدواء للأشخاص المحتاجين.

ت- إغاثة الأشخاص الذين يُعانون من آثار التعرّض للكوارث بمختلف أنواعها.

ث- توفير التعليم للجميع على المستوى العالمي.

ج- بذل الجهود لمحاربة الفقر، والفساد، والإرهاب.

ح- الترويج لأهمية التضامن من قِبل المجموعات أو المنظمات المعنية بالتضامن، وذلك عن طريق وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمقروءة، والمدونات الإلكترونية.

خ- التبرّع للمنظمات التي تُقدّم الإغاثة لمن يحتاجها.

د- مساعدة الفقراء في المجتمع المحلي.

ذ- التعاون مع الأشخاص الذين يسعون لتقديم المساعدة للمحتاجين.

ر- معرفة معنى التضامن وطرق تحقيقه على المستوى الفردي.

سابعاً: خطوات التدخل

يعتبر نظام مواجهة الأزمات والكوارث نظاماً معقداً ويحتاج إلى سياسات متكاملة وشاملة، تضم كافة الجهود التطوعية والرسمية لمساعدة الأسر والمحليات وتقديم الخدمات المادية والمعنوية للمتضررين من الأزمات والكوارث والحروب، ورسم سياسة البرامج الوقائية لمواجهة أى أزمة أو كارثة قد تحدث فى المستقبل.

حيث أشار مورلى وزملائه عام1967 إلى بعض المراحل الأساسية للتدخل في الأزمات وهى:

1- تقدير المشكلات والإحتياجات التى يعانى منها المتضررون من الأزمة والكارثة، والتى أدت إلى طلبهم للمساعدة، وهذا مفيد للغاية في المراحل الأولى للأزمة الكارثة أو الحرب، وتتضمن هذه المرحلة تحويل المتضررين إلى المستشفيات والأماكن التى يمكن أن تقدّم لهم المساعدة.

2- وضع خطة العمل أو التخطيط لمواجهة الأزمة الكارثة أو الحرب . وتستهدف هذه المرحلة إحداث التوازن والسيطرة على الآثار المترتبة عليها فور حدوثها والتعرّف على نواحى القوّة والضعف فى المؤسسات المطلوب منها مواجهتها، وحشد كافة الوسائل والأساليب الفنية والجهود الرسمية والشعبية لمواجهة المشكلات المترتبة عليها.

3- التدخل فى الأزمة ويتطلب ذلك ما يلى:

أ- توعية المتضررين منها بكافة الظروف والمشكلات التى قد تواجههم حتى لا يحدث أي نوع من التجمعات أو التظاهرات.

ب- طرح البدائل التى يمكن من خلالها مواجهتها.

ت- إيجاد دعم إجتماعي من البيئة المحيطة.

ويتم خلال هذه المرحلة التحكم فى الآثار المترتبة على الأزمة الكارثة أو الحرب، سواء كان ذلك من خلال تقديم المساعدات أو وضع الخطط طويلة الأمد على أن يراعى فيها الواقعية والمرونة.

الخاتمة

تلعب الجمعيات الأهلية دوراً أساسياً في معالجة تداعيات الأزمات والحروب، حيث تعتبر هذه الجمعيات حلقة وصل بين إحتياجات المجتمعات المتضررة والجهات الداعمة ، مستفيدة من مرونتها وقربها من الأفراد المتأثرين. ومن خلال هذا البحث تبين أن الجمعيات الأهلية تمتلك قدرات مميزة في تنفيذ برامج إغاثية وتنموية، تهدف الى تخفيف معاناة الفئات المتضررة، وتعزيز التماسك الإجتماعي، وإعادة بناء النسيج المجتمعي.

لقد أثبتت الجمعيات الأهلية قدرتها على التدخّل السريع في أوقات الأزمات والحروب لتقديم المساعدات الإنسانية ، إضافة الى دورها الحيوي في بناء القدرات، وتعزيز التنمية المحلية. كما أنها تسهم في سد الفجوات التي قد تعجز الحكومات عن معالجتها، وما يجعلها شريكاً لا غنى عنه في مرحلة إعادة الإعمار والتنمية.

ومع ذلك فإن تحقيق الفعالية المطلوبة يتطلب من هذه الجمعيات مزيداً من الدعم الفني والمالي، بجانب تعزيز شراكتها مع المؤسسات الحكومية والدولية، لضمان إستدامة جهودها. وفي ظل التحديات المتزايدة الناتجة عن الأزمات والحروب، يصبح دور الجمعيات الأهلية أكثر أهمية في تمكين المجتمعات المتضررة، ليس فقط من أجل التعافي، ولكن أيضاً للإنتقال نحو مستقبل أكثر إستقراراً و إزدهاراً.

بعد هذا العرض للحقائق التي وردت في هذا البحث، يمكن طرح التوصيات التالية:

1- تعزيز التمويل: توفير الدعم المالي للجمعيات الأهلية من خلال شراكات محلية ودولية لضمان إستمرارية أنشطتها.
2- تطوير القدرات المؤسسية: تقديم برامج تدريبية للجمعيات، لتحسين قدرتها على إدارة الأزمات و تنفيذ المشاريع التنموية.
3- تعزيز التعاون: بناء شبكات تعاون بين الجمعيات الأهلية والمؤسسات الحكومية والدولية لتنسيق الجهود وتجنب التداخل.
4- التركيز على التنمية المستدامة: تشجيع الجمعيات على تبني مشاريع طويلة الأمد، لتركز على تمكين المجتمعات ، مثل التعليم المهني وريادة الأعمال.

5- الإهتمام بالصحة النفسية والإجتماعية: إنشاء برامج متخصصة لدعم الأفراد المتضررين نفسياً وأجتماعياً، خاصة الفئات الأكثر ضعفاً كالنساء والأطفال.

6- تشجيع المشاركة المجتمعية: تعزيز مشاركة الأفراد في الأنشطة التوعوية والمبادرات التي تنفذها الجمعيات، بما يسهم في تعزيز التضامن المجتمعي.

ختاماً تُعد الجمعيات الأهلية أحد أهم أدوات التعافي المجتمعي، فهي لا تقتصر على تقديم المساعدات الطارئة، بل تساهم في بناء مستقبل جديد يقوم على العدالة والتماسك والتنمية المستدامة.

المراجع

1- القرآن الكريم

2- معجم المعاني

3- دند اروى، على عباس (2002)، دور المنظمات غير الحكومية فى الحفاظ على المحميات الطبيعية لمحافظة الفيوم، بحث مقدم من المؤتمر العلمى الخامس عشر، الخدمة الإجتماعية.

4- رجب، ابراهيم عبد الرحمن وآخرون (1983)، نماذج ونظريات تنظيم المجتمع، القاهرة: دار الثقافة المصرية للطباعة والنشر.

5- سند، سرية جاد هلا، (1993)، دراسة الآثار الإجتماعية الناتجة عن الكوارث الطبيعية، نحو نموذج مقترح لطريقة تنظيم المجتمع للتعامل مع الكوارث، بحث منشور فى المؤتمرالعلمى السادس القاهرة: كلية الخدمة الإجتماعية- جامعة حلوان.

6- شعبان، حمدى محمد (2005)، الإعلام الأمني وإدارة الأزمات والكوارث،القاهرة: كلية الخدمةالإجتماعية، جامعة حلوان.

7- شهاب الدين، مفيد (2009)، دور الهيئات الشبابية فى إدارة الأزمات والكوارث، المؤتمر البيئي العربى الثامن، الإتحاد العربى للشباب والبيئة.

8- عبد العال، عبد الحليم رضا وآخرون (1997)، تنظيم المجتمع (تطوّر- أساسيات- مدخلات)،القاهرة: كلية الخدمة الإجتماعية، جامعة حلوان.

9- عبد اللطيف، رشاد أحمد (1992)، الجهود التطوعية ودورها فى مواجهة مشكلات المتضررين من الكوارث، دراسة مطبقة على بعض الجمعيات بمحافظة القاهرة، المؤتمر العلمى السادس عشر للخدمة الإجتماعية.

10- محمد، انعام يوسف (2015)، الأبعاد الإجتماعية والثقافية لإدارة الأزمات والكوارث " دراسة تحليلية ميدانية لدور المرأة المصرية في إدارة الأزمات المستحدثة، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس.
11- محمد، إيثار عبد الهادى (2011)، إستراتيجيات إدارة الأزماث، بحث منشور في مجلة العلوم الإقتصادية والإدارية، المجلد ،17 العدد 46 ، كلية الإدارة والإقتصاد، جامعة بغداد، العراق.
12- محمد، عبد النبى يوسف (1992)، التعرّف على مشكلات الأسر المنكوبة من الزلزال فى مصر ودور الخدمة الإجتماعية معها، القاهرة، بحث منشور فى المؤتمر السادس، كلية الخدمة الإجتماعية.
13- نعيم إبراهيم الظاهر، (2009) إدارة الأزمات، عمان، عالم الكتاب الحديثة.

Charles, Firtz and other

(2001). The Human perspective, annual of the

.American Academy of Political and Social Science, No. 309

Honby, A. S& Ruse, Christina (1990). Oxford Dictionary of Current .(English, (London Oxford Uni, Press).

Kieran, O' Hagan, (1944). Crisis Intervention: Changing perspective in Christos- Phar Hanvey and Thierry Phi lot, editors: Practicing social .(work (London, Rutledge).

Lawrence M. Brammer (1988). The Helping Relationship process and .Skills Luk: London, prentice Hall international, Inc

Loura Epstein (1988). Helping People, (U.S.A: Merrill Publishing .(Company).

Neil Thompson (2011). Crisis Intervention "Theory into Practice", first .published, British Library, Russell House Publishing Ltd

Ritchie, H. & Roser, M., 2020. Natural Disasters. Our World in Data

الأستاذ على سعيد توبة

مختارات لغوية من أسماء وأوصاف (الدواهي – المصائب – الشدائد ومتعلقاتها)

وفق التسلسل الأبجدي

اللفظ	المعنى	اللفظ	المعنى
الإدْ	الأمر العظيم	التحاسير	المصائب
الإدّة	الداهية و المنكر	التّرهات	الدواهي
الألاقي	الشدائد	الثُبور	الويل والهلاك
أُمُّ أَدراص	البليَّة	الثِلة	التهلكة
أُمُّ صبَّار	الداهية	الجائحة	الموبقة والبلية
أُمُّ قسطل	الداهية	الجُلجُل	الأمر العظيم
أُمُّ قَوْب	الداهية والمصيبة	الحيْدرة	الهلكة
الباسقة	الداهية	الحيْص	الضِيق
الباهظة	المصيبة	الخَرساء	الداهية
البّزْل	الشِدَّة	الخَيْطَل	الداهية
البلْبال	الهم والوسواس	الدُؤلُول	الداهية
بناتُ أوْدَك	الدواهي	الدبول	الداهية
بنات الصدر	الهموم	الدّرْدَبيس	الداهية
بنات الليل	الهموم	الدغاول	الدواهي
البَيْص	الشدّة	الدُلامِس	الداهية

الدُلْدُل	الأمر العظيم	الزَنْتَرة	الضيق والعسر
الرّبْس	الداهية	السَّبت	الرجل الداهية
الرَبْساء	الداهية الشديدة	الشُجُم	الدواهي
الرُزْء	المُصيبة، الشدائد	الصَاخَّة	الداهية
الرزيئة	المصيبة العظيمة	الصافِرة	الداهية
الرُفوح	الدواهي	الصافِقة	الداهية
الرَوْسَب	الداهية	الصَعْداء	المشقَّة
الرَوْسَم	الداهية	الصَلْعاء	الداهية
الرُون	الشدّة	الصِمّ	الداهية
الزَبير	الداهية	الصَمَّاء	الداهية الشديدة
الزُنام	الداهية	الصناديد	الدواهي

الصَنمة	الداهية	العَجُوز	الداهية
الصَواكم	النوائب	العراقيل	الدواهي
الصَيْرَم	الداهية	العَريم	الداهية
الصَيْلم	الداهية	العقابيل	الشدائد
الَضِرّ	الداهية	العَماس	الحرب الشديدة
الطّاقة	الداهية	العَنْقاء	الداهية
الطَحون	الحرب	الغائِلة	الشرّ
الطَمَحات	الشدائد	الغِبّ	العاقبة
الطوائح	المهالك	الغَمُوس	الأمر الشديد
العِتْريس	الداهية	الغِناط	الهم والحزن

الغوائِل	الدواهي	المَرْمريس	الداهية
الفادحة	النازلة الشديدة	المَشايِن	المتاعب والمعايب
الفلقى	الداهية	المُطْبقات	الدواهي
الفليق	الداهية والمصيبة	المّغَالَة	الشرّ
القارِعة	النازلة الشديدة	المَقاحِم	المهالك
القَمْطرير	الشديد من الأيام	المُلمات	النازِلات
الكريهة	الداهية	المُنعِلات	الدواهي
الكواشف	الفضائح	الموبقات	المهالك
اللاواء	الشدة والمحنة	النائبة	النازلة أو المصيبة
اللّحاص	المصيبة والضيق	الناقِرة	الداهية
الملمّة	الشدّة	النطلاء	الداهية
اللّوْلاء	الشدّة والضُر	النهابير	المهالِك
الماوِد	الأمر العظيم	النوادي	حوادِث الدهر

النواطِح	الشدائد	الوّبال	سوء العاقبة
الهِتْر	الداهية	الوبيل	الوخيم
الهَجارِس	الشديد من الأيام	الوَكَد	الهمَ
الهَداريس	الدواهي	الويبة	الفضيحة والبلية
الهَنابِثْ	الدواهي	الوَيْح	الويل
الهيجاء	الحرب وويلاتها	الوَيْلة	البلية العظيمة
الوامِئة	الداهية		

دور الحروب في تدمير المعالم والكنوز الثقافية والحضارية

عيّنات ونماذج

فعلاً، كم كان الإمام علي بن أبي طالب (رض) مصيباً في قوله: «نعمتان مجهولتان، الصحة والأمان». والأمن والأمان، بطبيعة الحال، نقيضان للحرب... وجميعها أساسها الإنسان، ومحورها الإنسان، وغايتها وهدفها الإنسان.

إذ منذ وجود البشرية، كانت الحرب ظاهرة إجتماعية بالدرجة الأولى، ومذبحة كبرى للإنسان على يد أخيه الإنسان[9].

وعلى هذا الأساس، فقد ارتبطت الحروب بتاريخ البشرية في إطار صراع جماعي دامٍ ومميت لأنها تحمل في أحشائها الموت المنظّم. وكان هناك صناعة مستمرة للحروب، في وقت اعتبرها البعض حاجة وضرورة، باعتبارها الحدود التي ترسم المنعطفات الكبرى للأحداث.

وإن الحرب كانت ولا زالت هي الواسطة الأساسية بيد القادة السياسيين والعسكريين، كما بيد الشعوب لتبديل حالة سياسية راهنة. ولذلك قال هيراقليطس أن «الحرب هي أم جميع الأشياء، فهي تصنع الآلهة كما تصنع العبيد».[10] ولأنها كذلك، فهي ظاهرة تاريخية كبرى، والأساس التي بُنيت عليه الفوارق بين البشر، ذات علاقة وثيقة بالسياسة والإجتماع والإقتصاد والدين والفكر والقانون والإعلام والديموغرافيا، كما بالناحية العسكرية... لكن العنصر البشري يبقى هو المحور الأساسي فيها، لأنها «أقدم ظاهرة بشرية عرفها التاريخ» ورافقت المجتمعات البشرية منذ فجر الحضارة

---

[9]– راجع كتاب «الحروب والحضارات»، إصدار المؤسسة الفرنسية للدفاع الوطني، ترجمة أحمد عبد الكريم، دار طلاس، دمشق، الطبعة الثالثة 1992، ص 37.

[10]– المرجع السابق نفسه، ص 38.

الإنسانية حتى اليوم... إضافة إلى أنها «حرب عقول وأدمغة» أيضاً... وصراع إرادات: صراع في الصدور قبل أن تكون صراعاً في الميدان....

والجدير بالذكر، أن كثيراً من الإمبراطوريات الكبرى في التاريخ قامت من خلال الحروب. ومن خلال الحروب دُمّر كثير من هذه الإمبراطوريات... كذلك الحال بالنسبة للحضارات الإنسانية، حيث أن جميع الحضارات المنقرضة هدمتها الحروب، لأن الحرب تعتبر «الإبنة القاتلة» للحضارة، وهي في الوقت نفسه أمّها ومرضعتها[11]... مع العلم أن لكل عصر حروبه وقوانينه واستراتيجيته... وأن السّلام يكمن في الحرب، كما تكمن الحرب في السلام، باعتبار أن الحرب «مُوَلِّدة المجتمعات ومجهضتها» في الوقت نفسه...

ولهذا نجد الشاعر الفرنسي بول فاليري يقول بأن «الحضارات فانية». لكن الواقع يؤكّد بأن الحضارات تختفي بالموت العنيف، لأنها تنشأ وتنهار بشكل دائم تقريباً في أتون الحروب. إذ أن الوظيفة الأساسية للحرب هي «الدمار والتدمير». وعندما تزول إحدى الحضارات، لا يبقى إلا التاريخ الذي كتبه المنتصرون على هواهم، ومن الطبيعي أن تهيمن على هذا التاريخ مبرراتهم وأمجادهم[12]. وهذا ما تطرق إليه الباحث الاستراتيجي الجنرال جان بيريه بقوله: «ان الحرب هي صراع جماعي مميت، وهذه هي صفاتها الأساسية، وما المبادئ التي تحكمها سوى قواعد السلوك المنبثقة من هذه الصفات...»[13].

أَلَيس معظم الحضارات في التاريخ كتب على صفحات من حجارة، قبل أن يُعرف الورق والكتاب؟ وكم من حضارات حفرتها أزاميل أبنائها إنجازات وإبداعاتٍ للبشرية جمعاء، دون تمييز في اللون أو العرق أو الجنس أو الجنسية أو اللّغة؟

---

[11]– أنظر كتاب «الحروب والحضارات» إصدار المؤسسة الفرنسية لدراسات الدفاع الوطني، ترجمة أحمد عبد الكريم، المرجع السابق، ص 10–37.

[12]– للتوسع في ذلك، راجع كتاب «الحروب والحضارات»، مرجع سابق، ص 43–44 و49–50.

[13]– الجنرال جان بيريه «الذكاء والقيم المعنوية في الحرب»، تعريب: أكرب ديري والمقدم الهيثم الأيوبي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى 1981. ص 19.

وكم من الحروب بالمقابل التي دمّرت هذه الإبداعات والإنجازات الإنسانية على مرّ عصور التاريخ وأزمانه؟

هذا، وإذا كانت الحضارة من صنع الإنسان (وليس الإنسان من صنع الحضارة)، فإن هذا الإنسان ذاته هو الذي يهدم هذه الحضارة ويدمّرها ويزيل آثارها من الوجود...

أليس ذلك هو التعبير الحي عن «وحدة وصراع الأضداد» في الإنسان نفسه الذي يبدع ويبني كما يهدم ويدمّر؟

وفي هذا الإطار، يبدو أن الباحث جوزف مايستر كان على حق عندما قال أن «الدم هو سماد نبتة العبقرية»... حيث لا حرب بدون قتل ودم... تبدأ به، وتستمر معه وتنتهي دون تعويض ضحاياه أو تخفيف خسائره... ولهذا قال غاستون بوتول أن «الحرب هي مؤسسة دمار إجتماعية»[14]، لذلك فإن ساحة كل حرب تنجلي في النهاية عن منتصر ومهزوم، وبين الإثنين: حقل من جثث ودم...

وبدوره يقول ميكافيللي إن «البشر والأسلحة والمال والخبز هي قوة الحرب الحياتية. الشرطان الأولان هما الأكثر أهمية من بين هذه الشروط الأربعة، لأنه بالبشر والأسلحة يمكن الحصول على المال والخبز»[15].

ومع ذلك، لم تكن الحرب ولا الأسلحة يوماً، نافعة للإنسانية في أيّ ميدان من ميادينها، باعتبار أن الشعوب – بدون تمييز – كانت أبرز وقودها، كما كانت ضحاياها البريئة... وما أسهل التبريرات لدى الحكام والحكومات وصنّاع القرار، الذين يحضّرون للحرب ويصدّرون القرارات بإشعالها... وكأن أدمغتهم وعبقريتهم تعطّلت عن إيجاد الوسائل والطرق الكفيلة باستبعاد هذا النهج العنفي الدموي اللاإنساني، والمخالف لأبسط القوانين والأعراف الإنسانية...

---

[14]– راجع كتاب غاستون بوتول «ظاهرة الحرب»، ترجمة إيلي نصّار. دار الفارابي، بيروت، الطبعة الأولى 2007.

[15]– يعتبر كتاب «الأمير» لمكيافيللي من الكتب الهامة على صعيد الحكم والسلطة...

ومن هذا المنطلق، نجد الباحث إيدي فور (Edie Faur) يقول: «إن الوهم الكبير، ليس في الإعتقاد بأن الحرب تُكْسِبْ، بل في الإعتقاد بأننا نقوم بها لأنها تُكْسِبْ لقد كانت الحرب إحدى ألعاب الإنسان التي لا مصلحة له فيها أبداً»[16].

بيد أن الباحث الإستراتيجي ريتشارد نيد ليبو (Richard Ned Libow) يعمد إلى تشريح الدوافع الأساسية التي تحدو بالدول إلى شنّ الحرب، مؤكّداً أنه، «تاريخياً هناك أربعة دوافع عامة حدت بالدول إلى بدء الحرب وهي: الخوف، والمصلحة، والمكانة، والإنتقام... ثم يشير إلى أن نسبة ضئيلة من تلك الحروب مدفوعة بالأمن أو المصالح المادية. وبدلاً من ذلك، فقد نجمت أغلبية الحروب بسبب السعي إلى تحقيق المكانة، وبسبب الإنتقام، أي محاولة الثأر من دول نجحت في السابق في الإستيلاء على أراضي الدولة البادئة...»[17].

والجدير بالذكر، أن الحضارة الإنسانية – أية حضارة– تتميّز بشروط ومظاهر، كما أن لكل حضارة مصادرها الأساسية. ولعلّ النقوش والآثار والمخلّفات الأثرية الحضارية، والوثائق والمخطوطات، تمثل عصب الحياة للحضارة. وإذا كانت هذه الآثار عبارة عن «أثر صامت»، إلا أنها «ناطقة» في الوقت نفسه، والإنسان هو الذي ينطّقها، إن لم تكن قادرة على النطق...

في هذا الإطار، يقول أحد الكتّاب: «إذا طُلب من إنسان أن يعرّف عن نفسه، فإنّه يقدّم بطاقة هويته الشخصية أو إخراج قيد أو جواز سفر، أو ما شابه. أما إذا طُلب من أمّة أن تعرّف عن نفسها، فإنها تقدّم علماءها ومؤرّخيها ومفكّريها وفلاسفتها وأطباءها ومهندسيها وفنّانيها وعباقرتها وأبطالها

---

[16]– جاء ذلك في كتاب: Edie Faure, Regards sur la terre promise (نظرات حول الأرض الموعودة) وقد ذكرها غاستون بوتول في كتابه «ظاهرة الحرب»، مرجع سابق، ص 297.

[17]– أنظر كتاب ريتشارد نيد ليبو "Why Nations fight past and future Motives for war". Ed. Cambridge university press, UK 2010.
وقد تولى المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت ترجمة هذا الكتاب ضمن سلسلة «عالم المعرفة» (رقم 403) تحت عنوان: «لماذا تتحارب الأمم؟ دوافع الحرب في الماضي والمستقبل». ترجمة د. إيهاب عبد الرحيم علي، الكويت، آب/أغسطس 2013، ص 18–32.

ومخترعيها وكتّابها ومثقفيها بطاقة هوية لها». بمعنى آخر، إنها تقدّم تاريخها وثقافتها وتراثها وحضارتها كبطاقة تعريف لها، مرفقة بإنسانها الذي هو المحور والمبتغى والأساس.[18]

ومن هذا المنطلق، قيل أنه «لا إنسان بلا تاريخ، ولا تاريخ بلا إنسان»... وبالتالي لا إنسان بلا حضارة ولا حضارة بلا إنسان. باعتبار أن الحضارة هي من نتاج العقل البشري في صُوَرِهِ المختلفة. وفي ضوء ذلك، يرتبط التاريخ إرتباطاً وثيقاً بالحضارة، كما ترتبط الحضارة بدورها إرتباطاً وثيقاً بالتاريخ، فيغدو التاريخ عندها «تاريخاً حضارياً»، وتغدو الحضارة «حضارة تاريخية» تتعلق بالبشرية جمعاء، كمادة أساسية لها.. ولذلك كان الفيلسوف الصيني كونفوشيوس على حق عندما قال: «إنْ أردت التنبؤ للمستقبل، فتمعّن في الماضي».. لذلك كان التاريخ بمثابة «ذاكرة البشرية».. و«تاريخ الحروب» في آن واحد – كما يقول بوتول.[19]

وبما أن عصور التاريخ بدأت باختراع «الكتابة»، فقد مثّلت الكتابة أهم وسيلة لحضارة الإنسان. وحيثما وجدت الحضارة، وجدت الكتابة والقراءة، وأصبحت اللغة المكتوبة وسيلة للحضارة والعلم والتربية. كما أن الكتابة تعطي المعرفة البشرية صفة الديمومة والبقاء والإستمرار. ولهذا السبب إحترم القدماء الكتابة وأقاموا آلهة لها وعبدوها...

أَلَيسَ «في البدء كان الكلمة»؟ وأَلَمْ يكن أمرُ الله تعالى: «إقرأ باسم ربّك الذي خلق»؟ و«علّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم»؟ ولكن من ناحية أخرى أيضاً، إن الحرب تبدأ بكلمة...

ومما لا شك فيه، أن الأبجدية هي أساس كتابة عصور التمدّن الحديث، وهي أرقى أنواع الكتابة وأنسبها وأسهلها... وهي آخر المراحل في تطوّر الكتابة، التي اخترعتها بلاد العرب قبل غيرها في العالم. وقد كانت «الأبجدية الفينيقية» أرقى أنواع الحضارة واختراعاتها، التي كانت ولا تزال، السبب الأبرز في التقدم والتطور البشري منذ آلاف السنين. وإذا كانت «الفلسفة» هي مفخرة الإغريق اليونانيين للحضارة العالمية، وإذا كان «القانون» مفخرة الرومان لهذه الحضارة، فإن أساس هاتين

---

[18]– د. صالح زهر الدين «موسوعة معارك العرب»، دار الندوة الجديدة، بيروت، الطبعة الأولى 2000، ص 14.

[19]– أنظر كتاب غاستون بوتول «ظاهرة الحرب»، مرجع سابق، ص 8 والغلاف الأخير.

المفخرتين هو «الأبجدية الفينيقية» والحضارة الكنعانية الأمّ – باعتراف المؤرّخ اليوناني هيرودوت نفسه المعروف بـ«أبو التاريخ»–.

رغم كل ذلك، يبقى الصراع بين الخير والشرّ قائماً ومستمراً، وكأنّه قطار لا محطات له، ولا استراحات، منذ بداية البشرية، إلى ما لا نهاية، طالما هناك بشر تعشّش في نفوسهم وعقولهم وجوارحهم نزعة التسلّط والهيمنة والإستقواء... إضافة إلى آفة «العمى» التي لا تقتصر فقط على بصرهم، ولا تنحصر بحاسة النظر لديهم فحسب، بل تطغى على كل الحواس التي يمتلكونها، فتمتلكهم وتتملّكهم، وليس العكس...

على هذا الأساس، نجد الكاتب سمير عطاالله مصيباً في قوله: «يكون العمى البشري أحياناً في أفضلية البشرة، أو الدين، أو الإعتقاد...»[20]. أَلَيْسَ من هذا القبيل، شنّ الإنسان الأبيض في الولايات المتحدة حروبه الإبادية الدموية ضد سكان البلاد الأصليين من «الهنود الحمر» – لأن بَشَرَتهم واعتقادهم وإنسانيّتهم مختلفة – كما ضدّ الزنوج (السّود) الأرقّاء – لأن لونهم وبَشَرتهم تختلف أيضاً عن البشرة البيضاء للإنسان الأوروبي الآتي إلى أميركا للتملّك والسيطرة على من فيها وما فيها؟ – أليست «البَشَرة الهتلرية» و«العرق الجرماني» كانا سبباً في إشعال الحرب العمياء (الحرب العالمية الثانية) التي دامت ستّ سنوات، وكبّدت البشرية مئات الملايين من القتلى والجرحى والجوعى والمشرّدين والمهجّرين، فضلاً عن الخسائر في الممتلكات والمرافق والمؤسسات والكنوز والمعالم الأثرية والتاريخية والحضارية، في كل المناطق التي طالتها كارثة الحرب وهمجيتها... نعم هذا ما حصل في تلك الأيام وأسلحة تلك الأيام... ولكن ماذا عن أسلحة أيامنا هذه، ولا سيّما السلاح النووي، وأسلحة الدمار الشامل؟

لعلّ أفضل الإجابات على هذا التساؤل، تتمثل في الصرخة المدويّة التي أطلقها الباحث الإستراتيجي والإجتماعي «ألبير جاكار» قبل رحيله قائلاً: «دمّروا سلاح الدمار الشامل».

---

[20]– جاء ذلك في مقالته بجريدة «النهار» (اللبنانية)، الأربعاء 2014/1/15.

والواقع أن هذه الصرخة كانت نتيجة للبحث الهام الذي أجراه ألبير جاكار مع رفيقه ستيفان هيسيل، وإصداره في كتاب على جانب كبير من الأهمية على الصعيد الإنساني الشامل، عنوانه: «طالبوا بنزع شامل للسلاح النووي»[21].

في هذا الكتاب، يدقّ جاكار وهيسيل جرس الإنذار لتوعية الإنسانية بهذا الخطر الداهم: فهما يؤكدان أنه يوجد اليوم 20 ألف رأس نووي، تعادل القوة التدميرية لكل منها 30 مرّة قوّة القنبلة الذّرية النووية التي ألقيت على هيروشيما (في 3 آب 1945)، ما يعني أن الطاقة التدميرية للسلاح النووي الذي يوجد اليوم في حوزة الدول النووية تعادل في مجموعها 600 ألف قنبلة هيروشيما... وهذا الخطر الداهم الدائم ناجم عن أن ثمّة 1800 رأس نووي هي في «حالة تأهّب قصوى» يمكن أن تنطلق في أية لحظة، كما أنه ناجم عن كون المسؤولين المعنيّين بشؤون إطلاق هذه الرؤوس النووية، من سياسيين وعسكريين وتقنيّين، يعانون من إضطرابات نفسية وعقلية وخلقية لا تجعلهم موضع ثقة على الدوام، بل إن ثمّة ما يدعو إلى نزع الثقة عنهم ومنهم، حيث في أية لحظة وبحجّة إختلال التوازن الإستراتيجي الدولي، أو بحجّة تهديد المصالح الحيويّة لهذه الدولة النووية أو تلك، أن يلجأ هذا المسؤول أو ذاك إلى الضغط على زرّ نووي لتحدث الكارثة المحقّقة، تماماً مثلما حدثت كارثتا هيروشيما وناغازاكي عام 1945.

والجدير بالذكر، أن صراع النفوذ والسيطرة على العالم، والذي أفرز بدوره سباقاً على التسلّح في القرن العشرين، كان قد ولّد حربين عالميّتين، حصدتا ملايين الأرواح، والخراب والدمار في النفوس والممتلكات... فكيف الحال اليوم بشأن السباق على السلاح النووي وامتلاك سلاح الدمار الشامل؟ أَلَيسَ إسمه يدلّ عليه «سلاح الدمار الشامل»؟ وأيّ إنسان بالتالي في هذا الكون هو «الرابح» من جرّاء استخدام هذا السلاح النووي؟ وأيّة بشرية ستتابع مسيرة الحياة بعد هذه التجربة الكوارثية؟ وأيّة

---

[21] –Albert Jakar et Stéphane Hicile “Exiger un désarmement nucléaire total”. Paris. Avril 2012.
وقد عالج هذا الموضوع مدير مكتبة «معهد العالم العربي» في باريس الطيّب ولد العروسي، شارحاً في مقالة له، النقاط الأساسية في هذا الكتاب. وقد نشرت هذه المقالة في «نشرة مؤسسة الفكر العربي» في بيروت «أفق»، العدد 28، في 1 كانون الثاني 2014، ص 10.

طبيعة ونبات وحيوانات ومياه ستنجو من آثار التجارب النووية؟ فهل هذه هي «ثقافة الحياة» التي ينادي بها العالم الغربي والشرقي الآسيوي؟ أم ماذا؟ وإذا كانت دول وامبراطوريات قد زالت في الماضي عن الخريطة بفعل الحروب – التي لم تعرف أسلحة حديثة ولا سلاحاً بحجم النووي – فماذا سيكون مصير العالم إذا جنّ جنون المتحكّمين بالأزرار النووية – لا سمح الله – وضغطوا – بالغلط ربّما – على أيّ زرّ منها؟... إنها ولا شك، أسئلة واقعية ومشروعة إزاء ما نرى ونسمع ونحسّ، لاعتقادنا أن العالم والبشرية جمعاء مرهونة «بكبسة زرّ» فقط، لا غير... وعلى سبيل المثال، ما يشهده الكون حالياً من تغيّر إنقلابي في المناخ والتوسّع في ثقب الأوزون... إذ من المؤكّد أن السبب الرئيسي في الإنقلاب المناخي هذا الذي بدأ يشهده كوكبنا منذ بداية التجارب النووية، ليس ناجماً عن الغازات السامة المنبعثة من عوادم السيارات والمصانع وحدها كما يشاع. وإنما هو ناجم أساساً عن التجارب النووية (وعدد هذه التجارب غير المعلن يفوق العدد المعلن، والذي تجاوز الألف تجربة) في المحيطات والأجواء الفضائية. فكل تجربة من هذه التجارب تتسبّب بالمزيد من سخونة أجواء الأرض، وبتدمير المحاصيل الزراعية وإتلاف نسيج طبقة الأوزون.

وهكذا يبدو، أن مشكلة التخلّص من السلاح النووي ليست في عدم توافر قوانين دولية، فهناك الكثير من القرارات الخاصة بمنع انتشار الأسلحة النووية، والتي لم تدخل حيّز التنفيذ، بل إن المشكلة هي في تنفيذ هذه القوانين على أرض الواقع هو العائق. وذلك عائد – على ما يبدو – إلى عدم توافر الرغبة والإرادة الحقيقية في إيجاد حلّ، وإتخاذ مجموعة من المبادرات لإزالة هذا الخطر. وعلى الرغم من المخاوف والتحذيرات الصادرة من مؤسسات مختصّة وشخصيات بارزة وجهات عدّة، فإن الصناعات الحربية النووية هي مصدر أرباح هائلة تفيد منها مراكز ضغط ولوبيات نافذة ومجموعات صناعية وشركات عالمية...

في هذا المجال، يرى ألبير جاكار وستيفان هيسيل مثلاً أن ميزانية السلاح النووي خلال السنوات العشر المقبلة تُقدّر بألف مليار دولار. وعِوَض عن أن تُوَظَّف هذه الأموال في خدمة مشروعات مدنية لما فيه مصلحة المجتمع ومنفعته بأسره، فإن الأجهزة النافذة تستغلها لمصالحها باسم

التقدم التكنولوجي، وباسم خدمة مصالح الإقتصاد القومي أو الوطني، من أجل لعب دور مهم على الساحة الدولية!!!.

هذا، وإذا كانت الحجج والمبررات على هذا النسق، فماذا نفسّر إذن وضع ألمانيا ذات القوة الإقتصادية المعروفة والمتفوّقة في ظل عدم إمتلاكها سلاحاً نووياً؟؟ أليس في ذلك زيف وبطلان لتلك الحجج «النووية»؟

من هذا المنطلق، يتوجب على البشرية جمعاء أن تعمل، وبسرعة على منع الأسلحة النووية، دون أن تبقى حكراً على السياسيين والعسكريين، باعتبار أن خطرها سيطال الجميع دون استثناء، ولن يوفّر أحداً على الإطلاق. وإذا دقّقنا جيّداً في المخاطر الناجمة عن هذا السباق الدولي المحموم إلى السلاح النووي وتباهي الدول بامتلاك الطاقة النووية، لوجدنا أنه ستار يخفي المآسي التي تعيشها شعوب تلك الدول. إذ أنها تمتص الجزء الأكبر من طاقاتها وثرواتها، ومعظم الناس يجهلون مقدار التكلفة المادية والمالية التي يقتضيها إنتاجها، كما يجهلون مدى خطورة قدرتها التدميرية، وتلك أمور لا ينبس إزاءها السياسيون والعسكريون المشرفون على المشروعات النووية ببنت شفة. فهم يخدعون شعوبهم ويناورون للتستير على الأزمات المعيشية والبيئية، من سكن وبطالة وتلوّث وغيرها من القضايا الإستراتيجية البالغة الأهمية لحياة البشر.

وتأكيداً لذلك، وحتى لا يُفسَّر هذا الكلام تفسيراً خاطئا، فإن «لغة الأرقام» تضفي نوعاً من الصدقية في هذا الإطار، كما تعطي البحث حجّة أقوى ودليلاً بالغ الأهمية عن هذه الخطورة الكامنة في عملية امتلاك السلاح النووي واستخدامه، أو التهديد باستخدامه...

فقد أشار جاكار وهيسيل في كتابهما هذا، إلى نقطة هامة، وذلك عندما قدّرا الأموال المخصّصة لصيانة الأسلحة النووية بأكثر من 700 مليار يورو سنوياً... وعلى هذا الأثر، فهما يطالبان بتحويلها إلى مشروعات إقتصادية نافعة... ويقولان أن في فرنسا وحدها يمكن بالميزانية

المخصصة للبرنامج النووي، لسنة واحدة، أن يُبنى 17 مستشفى كبيراً لمعالجة كل أنواع الأمراض، و170 ثانوية، وتوفير أكثر من 100 ألف فرصة عمل.[22]

إزاء هذا الواقع، أليس من حق جاكار أن يتشاءم من مستقبل البشرية، كما من حق البشرية كلها أن تتشاءم أيضاً من مستقبلها أمام هذه الحقائق والوقائع المذهلة؟ وفي ظل ذلك أيضاً، ألا نرى العالم وكأنه يحفر قبره بيديه، أو كما يقال «يسعى إلى موته بنفسه، أو إلى حتفه بظلفه»، وهو يسير إلى الانتحار؟ وأيّ كنوز ومعالم ثقافية وحضارية ستصمد أمام أهوال هذا الدمار الشامل من أسلحة الدمار الشامل والسلاح النووي؟ إنها – ولا شك – كارثة، ماثلة أمام أنظار العالم إذا لم يتدارك العالم هول الكارثة...

في هذا الصدد، نرى الباحث الإستراتيجي غاستون بوتول يعبّر عن هذا الواقع (الكارثة) تعبيراً حيّاً بقوله أن «تأسيس علم للحروب، لم يكن يوماً أكثر إلحاحاً مما هو عليه الآن. إنه حقيقة، «المشكلة الأولى». ويمكن التأكيد دون مبالغة، أن مصير البشرية متعلّق بحلّ هذه المشكلة، وذلك لهذا السبب التقني البسيط وهو أن وسائل القتل والتدمير اليوم، قد تجاوزت فجأة طاقاتنا البنّاءة والخلاّقة. فحروب نابليون لم تدمّر حتى مدينة واحدة، ولا هي أحدثت أية مجاعة. وحرب 1914 خرّبت بعضاً من مناطقنا. أما الحرب العالمية الثانية فقد أتلفت ودمّرت قارة بأسرها. فالحرب التي كانت في القرن الثامن عشر لعبة الأمير، أصبحت الآن مصيبة. وستصبح غداً كارثة شاملة»[23].

وإذا كان عدد البشر البالغ اليوم 6.7 مليارات نسمة، سوف يتناحرون من أجل وضع اليد على مصادر الثروات غير الكافية أصلاً، وسيبيدون بعضهم بعضاً باستخدام السلاح النووي، فمن سيربح العالم بعدئذ عندما يخسر الإنسان نفسه، كما يقال؟ وماذا يبقى من هذا العالم إذا فرغ هذا الإنسان من آدميته وإنسانيّته التي تكرّمت في الكتب السماوية؟ وهل سيبقى أمام هذه الكارثة الشاملة كنوز ثقافية ومعالم حضارية شهدت على عَظَمَة الإنسان في مسيرة نبوغه وإبداعه وعطاءاته الإنسانية؟ ولعلّ في

---

[22]– جاكار وهيسيل «طالبوا بنزع شامل للسلاح النووي». مرجع سابق، ونشرة «أفق»، المرجع السابق نفسه.

[23]– راجع كتاب غاستون بوتول «ظاهرة الحرب». ترجمة إيلي نصّار، مرجع سابق، ص 32.

إلقاء نظرة بسيطة على بعض النماذج والعيّنات من هذه المعالم والكنوز التي طالتها كوارث الحروب وتداعياتها التدميرية المحرقة، تعطي صورة واضحة عن هذا «العمى البشري» وآفة الحرب، و«الداء العقلي» الكامن فيها، ماضوياً وحاضراً ومستقبلاً. كما يتبيّن من ناحية ثانية كم هي لغة نار الحرب أقوى آلاف المرّات من «لغة» الكتب والوثائق والمخطوطات ومحتوياتها، ثم تحويلها رماداً ودخاناً وسواداً، باعتبار أن النار حين تستعر، لا تميّز بين كتب الشعر والأدب والرواية والفلسفة والتاريخ... وبين الكتب المقدّسة، وكذلك بين المخطوطات والوثائق التي لا تُقدّر بثمن. إذ أن كل شيء يشتعل، هو بالنسبة لنار الحقد والجهل والحرب والعمى، وقود لتحيا، فتحوّل ما تأكله رماداً لا ينفع.

ومهما يكن من أمر، فإنّ «ثقافة النار» مهما كانت قوية وملتهبة، فإنها تبقى عاجزة عن إخماد «نار الثقافة»، كما «لم يقدر الذين يستقوون بالنيران لحرق الثقافة، على منع تأليف الكتب ونشرها، حتى أنظمة الكتاب الواحد كانت تستسلم مع الوقت لكل ثقافة جديدة، لأن الكتب إمتداد لوجود العقل قبل كل شيء...»[24]. لكننا نستطيع القول أن عملية حرق أي كتاب أو وثيقة أو مخطوطة هي عملية إغتيال وإعدام، ليس لصاحب المخطوطة والوثيقة والكتاب فقط، بل للإنسان والإنسانية كلها. ولأنها كذلك، فإننا نجد الشاعر هاينريش هاينه يقول «أينما حرق المرء الكتب، فإنه يحرق البشر في النهاية»[25]. وطالما هناك عقول تفكر وتنتج وتبدع، ستبقى المعرفة بخير، ولن تُلْغَى لا بالحريق ولا بغيره...

هذا، ومنذ وجدت الكتابة على مرّ التاريخ، فإن آثارها لم تَنْجُ من الحرائق والحروب والتلف والتدمير، مثلها مثل أصحابها الذين عرفوا الإغتيالات والإعدامات والحرق الجسدي والمادي والمعنوي... كما لم توفّر عمليات الحرق الحربية، والحروب الحارقة، حتى كنوز الكتابات المنقوشة والمحفورة على صفحات الحجارة والجدران في أكثر المعالم الثقافية والحضارية والأثرية في العالم... بمعنى أن عمليات التدمير المحرقة والمحارق التدميرية طالت البشر والحجر على السواء، بكل ما

---

[24]– رامي زيدان في مقالة له بعنوان «محارق الكتب»، نشرت في «ملحق النهار»، السبت 2014/1/11، ص23.

[25]– المرجع السابق ذاته، والصفحة ذاتها.

يكمن فيهم وفيه من أثر يمتّ إلى التراث الإنساني والحضارة البشرية بصلة... وقلّما خلا عصر من عصور التاريخ من «محرقة» ثقافية حضارية، باعتبار أن السمة البارزة للتاريخ هي «تاريخ الحروب»، التي تأكل نارها الأخضر واليابس، فكيف بالورق (إن كان في كتاب أو مخطوطة) الذي تستسهله ألسنة النار أكثر من غيره؟ إضافة إلى أن كثيراً من المعالم والكنوز التاريخية ذات الطابع الأثري الحضاري العريق، والتي كانت تنجو من أعمال الحرق، كانت تطالها يد التدمير والتخريب، في وقت عرفت فيه معالم كثيرة حرقاً وتدميراً معاً، دون أي اعتبار لما تحمله من أهمية وقيمة إنسانية شاملة...

هذا، وإذا كان البعض في القرن العشرين، والقرن الحادي والعشرين أيضاً، يستغرب ما تقوم به بعض الجماعات أو الأفراد، في عزّ أتون الحرب، أو في أيام تداعياتها اللاحقة، من أعمال تطال حرق مكتبات، أو اغتيال رجل علم، أو «إعدام تمثال» لشخصية مرموقة في عالم الأدب والفلسفة والدين... أو ما شابه... فإن عودة سريعة إلى أحداث التاريخ ووقائعه، تثبت لنا بالملموس، أن عمليات الحرق والإغتيال والإعدام، للكتب والمكتبات والكتّاب، كانت «لغة» كل عصر، و«لغة» الكثيرين من الحكام الذين يطمحون لتأبيد حكمهم وسلطتهم عبر قوة الحديد والنار، بغية فرض وجودهم الأوحد، وإقصاء الآخرين وإلغائهم من قاموسهم، وبغية التنعّم بالسلطة والتسلّط بعيداً عن رأي مخالف أو معارض مشاكس... وكثيراً ما كانت السياسة والعامل السياسي والسلطوي هو السبب المباشر لغضب الحاكم المتسلّط والسلطة المتحكّمة...

وانطلاقاً من ذلك، نسلّط الضوء على بعض الوقائع التاريخية في هذا المضمار، للدلالة على «تاريخية» هذه الظاهرة التدميرية المخرّبة للفكر والعلم والعقل من خلال الكتاب والمكتبة والمخطوطة... كما للمعالم الحضارية الأخرى...

الجدير بالذكر، أن ظاهرة حرق الكتب والمخطوطات، أو إتلافها، لها معانيها السلبية ودلالاتها في تأريخ البشرية السياسي والإجتماعي والديني. وهذا ما يبيّنه بوضوح أحد الكتّاب الإختصاصيين في

هذا الموضوع، ناصر الحزيمي[26]، حيث يشير إلى كثير من الحوادث والأخبار التي تتناول تلف الكتب أو إحراقها وإعدامها، ومعظمها بأوامر سلطوية عليا...

وقد يظن البعض أن هذه الظاهرة محصورة في شعب معيّن، أو دولة معينة، أو زعماء وملوك وسلاطين وحكام عرفتهم جغرافيا معينة... لكن الحقيقة تثبت أن أعداء الكتاب والكلمة والثقافة لا ينتمون إلى زمن واحد، ولا إلى بقعة جغرافية محدّدة، بل هم يتواجدون في كل الأزمان والأماكن، ولو لم يعرفوا بعضهم البعض، أو كانوا بعيدين في الجغرافيا والتاريخ عن بعضهم البعض؛ إلا أن قاسماً مشتركاً واحداً هم الذين يجمعهم ويوحّد بينهم (بالرغم من طول المسافات وتباعد العصور)... وهذا القاسم المشترك يتمثّل بـ«عقلية الجهل» والجهل المطلق لقيمة العقل، وما يبدعه هذا العقل في الميدان الإنساني ككل... مشغوفاً بنزعة التفرّد وعدم الإعتراف بالآخر، كمقدمة لإقصائه وإلغائه، وكأن هذا الكون لا يحتمل وجود الآخر المخالف، أو رأياً معارضاً... وهذا ما حدث في عصور ما قبل التاريخ، تماماً مثلما حدث في العصور التاريخية اللاحقة... ولا يزال...

- وعلى سبيل المثال، يحفل زمن ما قبل التاريخ بأبرز ظاهرة حرق كتب في تاريخ الإنسانية، قام بها أحد الأباطرة الصينيين، وهو الإمبراطور «شي هوانغ تي» في العام 212 ق.م. ومن المعروف أن هذا الإمبراطور قاد حربه على الكتب، فأتلف وأحرق آلاف الدراسات التاريخية والأدبية والقانونية، وطارد الأدباء والكتّاب، حيث لاقى كل من قُبض عليه المصير نفسه. ومن الغرابة، أن الامبراطور المذكور (شي هوانغ تي) يعتبر من أهم الشخصيات التي عرفتها الصين، كما تنسب إليه إنجازات حضارية وعسكرية وسياسية كبيرة. فهو الذي شجّع على البدء ببناء السور العظيم في الصين، لوقف هجمات المغول من الشمال... حتى أن الفيلسوف الألماني هيغل، توقّف أمام ظاهرة الإمبراطور الصيني هذا، وحاول تفسير أوامره بحرق الكتب والكتّاب، فرأى أنه فعل ذلك

[26]– أنظر كتابه المعروف بـ«حرق الكتب في التراث العربي»، منشورات الجمل، بيروت/بغداد 2003.

بغية تقوية أسرته الحاكمة من طريق هدم وتدمير ذكرى الأسر الحاكمة السابقة... والحرق في رأي الإمبراطور هو إلغاء الآخر السابق والبدء من جديد من المربّع صفر.[27]

- كذلك الحال بالنسبة لمكتبة الإسكندرية (كنز المعرفة الإغريقية على مرّ العصور)، التي أحرقت في العام 392 م بأمر من الإمبراطور ثيودوسيوس الأول. وكان ذلك قبل قرون ثلاثة من الحريق الشهير لمكتبة الإسكندرية في عام 642 ميلادية، الذي اتهم به زوراً عمرو بن العاص.[28]
- مع العلم أنه في عام 381 ميلادي، استصدر البطريرك تيوفيلس (Théophilos) من القيصر ثيودوسيوس إذناً بتخريب السيرابيون، أكبر ما تبقّى من الأكاديميات وآخرها، وإشعال النيران في مكتبته الثمينة. وبهذه الطريقة فقدت البشرية جزءاً هاماً من ثقافتها لا يمكن تعويضه... إضافة إلى ما فقده الإغريق بشكل خاص، والإنسانية بشكل عام، من كنوز وثروات ثقافية وعلمية وفلسفية وحضارية إثر عمليات الإبادة المنظمة على يد الرومان، وذلك بعد أن «اعتبر الفكر الإغريقي لعنة على البشرية» حسب ما أعلن الأب الروماني إيرونيموس[29].
- وفي القرن السادس عشر أيضاً، أقدم الأرشيدوق «دييغو دي لاندا» على إحراق كل مكتبات المكسيك القديمة. وقد بحث الغزاة الأسبان عن كل الكتب المتعلقة بحضارة المايا ودمّروها تدميراً تاماً بصفتها علوماً وثنية (حيث نجت أربع وثائق منها فقط موجودة الآن في متاحف أوروبية). وقد تحدث الكثير من الشهود عن الصرخات المعذّبة التي أطلقها علماء المايا خلال رؤيتهم أعمالهم وأعمال أسلافهم تحترق أمام أعينهم وتتطاير مع اللهب مما حمل البعض منهم على الانتحار.

---

[27]– راجع مقالة رامي زيدان في «ملحق النهار»، مرجع سابق، ص 23.

[28]– زيغريد هونكه «شمس العرب تسطع على الغرب»، نقله عن الألمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي، راجعه ووضع حواشيه مارون عيسى الخوري، دار الجيل والآفاق الجديدة، بيروت، ط8، 1998، ص 362–363.

[29]– زيغريد هونكه، المرجع السابق نفسه، ص 361–362.

- من جهة أخرى، تشير المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه في صفحات كثيرة من كتابها «شمس العرب تسطع على الغرب»[30] إلى مجازر حرق الكتب والمخطوطات. وقد قالت في هذا الإطار أن «يد التعصّب حرقت مليوناً وخمسة آلاف من المجلدات، هي مجهود العرب في الأندلس وثمرة نهضتهم في ثمانية قرون»... يضاف إلى ذلك، أنه غداة إنهيار الدولة الأندلسية، لم تنج الكتب من المحارق. وقد أمر الكاردينال سيسنيروس عام 1501 بحرق «مكتبة الزهراء» التي كانت تحتوي على ما ينوف على 600 ألف مخطوط في مكان يسمى «باب الرملة» في غرناطة، فاختفت العديد من المخطوطات وأمهات الكتب النفيسة... كما كان لمحاكم التفتيش أيضاً دورها المهم في التفتيش عن مثل هذه الكنوز الثقافية والحضارية وتدميرها وإتلافها أو حرقها بالكامل...
- يضاف إلى ذلك، أنه أثناء فترة الحروب الصليبية (الفرنجة)، وفي إحدى حملاتها، تذكر المصادر التاريخية، كيف أقدم الصليبيون على حرق مكتبة بني عمار في طرابلس، حيث كانت تحتوي على كنوز ثمينة من الكتب والمخطوطات النادرة...
- كما تتطرق المصادر التاريخية أيضاً، والكثيرون من المؤرخين العرب والمسلمين، إلى ما فعله المغول عندما غزوا بغداد عام 1258، ولا سيّما بمكتبة بغداد الشهيرة، حيث رموا بكتبها ومخطوطاتها في مياه نهر دجلة، فبقيت هذه المياه أياماً عدّة، مصبوغة باللون الأسود من جرّاء حبر المخطوطات هذه.
- هذا، وبعد ثمانية قرون تقريباً على جريمة المغول البغدادية، فإننا نرى أن ما فعله الأميركيون واحتلالهم للعراق (عام 2003) بحق تراثه وحضارته وإنسانه، يعادل في خطورته مفعول السلاح النووي اليوم بقوته التدميرية الإبادية وأكثر... وكأننا نسمع صوت الزمن والتاريخ المغولي منذ 800 سنة يصرخ في آذاننا قائلاً: كم كنا نحن المغول أرحم على بغداد وناسها وحضارتها من «مغول» القرن الحادي والعشرين (الأميركيين وحلفائهم)... وكم نبدو تلامذة في «مرحلة الروضة» (وليس في المرحلة الابتدائية) أمام معاهدهم وجامعاتهم الإجرامية التدميرية الإبادية... وإزاء هذا

[30]– المرجع السابق نفسه، ص 359–363.

الواقع (الإبادي لمتاحف العراق ومكتباتها ومخطوطاتها) نتساءل: هل سيترحّم علينا التاريخ أم سيلعننا معهم – لعنة أخفّ – باعتبار أن الجريمة الإبادية للتراث والحضارة لها مفهوم واحد وليس لها أكثر من مفهوم؟ تلك هي المسألة... وفي هذا الإطار، كم يبدو الأستاذ جهاد الزين مصيباً في قوله: «كلما سقط متحف في بلادنا عَمُرَ متحف في بلاد الغرب»[31].

وبالرغم من كل ذلك، نرى أن القليلين في العالم هم الذين يقدّرون قيمة الكنوز الثقافية والثروات الحضارية الأثرية ذات الطابع التاريخي العريق. لكن الكثيرين يعتبرون أن سرقة هذه الكنوز والمعالم أو حرقها وتدميرها هو إنجاز هائل، أو انتصار بطولي لا يحظى به إلا الأناس الشجعان، أو القادة العظماء... لا سيّما أثناء خوض المعارك والحروب الحاسمة...

- في معرض ذلك، وصف الكاتب الألماني الشهير برتولد بريشت في مؤلّفه «إدانة لوكولوس» مشهد محاكمة هذا القائد الحربي الروماني. حيث ذكر لوكولوس مبرّراً تصرفاته بأنه أخضع لروما 53 مدينة وأملأها بالمجوهرات والذهب والفضة والكنوز الغنيّة التي استردّها من المنتصرين. ومع ذلك صدر بحق هذا «الفائز بانتصارات عديدة والحائز على غنائم كثيرة» حكم الإتهام، وذلك لأنه قد «سبّب بحروبه التي شنّها الكثير من الفواجع والحرمان والمعاناة للبشر»... وفي الواقع كانت روما القديمة في ذلك الوقت مركزاً لتكديس الإنتاج الوافر المسلوب من البلدان الأجنبية. حيث اعتبر السلب في زمن الحروب العدوانية حافزاً للجنود[32].... أَلَم يدمّر الغزاة الأسبان في المكسيك آثار الهنود الحمر من قبائل الأتستيك والمايا ونهبوا كنوزهم الوافرة؟ ألم يكن ذلك ميزة الحروب التي جرت في السنوات اللاحقة؟..
- فأثناء حروب نابليون بونابرت العدوانية، قام بنهب الآثار الغنّية الكثيرة وأمر بنقلها إلى فرنسا... وآثار مصر العربية (الفرعونية) لا تزال في متحف اللوفر والقصور والشوارع الفرنسية شاهدة على

---

[31]– جاء ذلك في مقالته بجريدة «النهار»، الخميس 11 نيسان 2013 بعنوان «10 سنوات على سقوط متحف بغداد».

[32]– أنظر كتاب إ.ن. أرتسيباسوف «خارج نطاق الشرعية»، ترجمة المهندس عبد الرحيم المقداد، دار دمشق للطباعة، دمشق، الطبعة الأولى 1988، ص 202.

ذلك. كما أمر بنقل ألف وخمسمائة مخطوط ثمين من بلجيكا، وتماثيل لاوكون وأبولون وبلفيديريسك وغيرها من إيطاليا... وبعد سقوط نابليون، قرّر المشتركون في مؤتمر فيينا عام 1815 تقسيم ما نهبه نابليون من آثار الفنون فيما بينهم. لكن انتفاضة الشعوب ضدّ تقسيم الكنوز كانت عظيمة وجبارة، لدرجة أنه تمّ اتخاذ قرار بإعادتها إلى أصحابها الشرعيين... وبنظرنا، أنه لو جرى العكس، وتمت عملية التقسيم هذه، فمعناها كان «شرعنة السرقة» وإضفاء الشرعية الدولية عليها، وهذا ما يعادل جريمة السرقة ذاتها...

- وأثناء حرب القرم (1853– 1865) دمّرت القوات الانكليزية والفرنسية الكنوز الفنية في متحف كيرتشا وضواحيها... أما الخسارة التي لحقت بالمدينة ولا تزال، فإنه لا يمكن مقارنتها بأي شيء... وقد يتحجّج الأقوياء والدول ذات الطابع العدواني بأن الحروب لا تخضع للأعراف والقوانين عندما تقع الواقعة، وكل شيء فيها مباح دون استثناء... وهذا ما دفع بالتالي، ربما، إلى وجود اتفاقية دولية خاصة بحماية الآثار والفنون، وُقعت في لاهاي عام 1907. حيث أن المادة 27 منها، تلزم الأطراف المتحاربة أثناء الحصار أو القصف باتخاذ كافة التدابير اللازمة «للإبقاء قدر الإمكان على المعابد والنصب التاريخية والمباني القائمة لأغراض العلم والفن والإحسان». كما تمنع المادة 56 من الإتفاقية نفسها أي سلب أو تخريب أو إلحاق الضرر بالإنتاج الفني والنصب التاريخية، وتلزم جميع الدول بمعاقبة الأشخاص الذين يمارسون هذه الأعمال.
- وبتاريخ 15 نيسان 1935، صادقت 20 دولة من دول أميركا اللاتينية والولايات المتحدة الأميركية على اتفاقية دولية «حول حماية المؤسسات التي تخدم أغراض العلم والفن، وكذلك النصب التاريخية»، وألزمت الإتفاقية الدول في حماية الكنوز الفنية بغضّ النظر عن تبعيّتها الدولية.
- وعند توقيع الإتفاقية أعلن الرئيس الأميركي روزفلت فرانكلين «نقترح على جميع الدول التوقيع على هذه المعاهدة، لأننا نسعى كي يصبح الإعتراف بها دولياً مبدأ حيوياً للحفاظ على المدنيّة

المعاصرة»... مبدأ حيوي!!! وهل كان الجنود والضباط الأميركيون على علم بكلمات رئيسهم، وذلك عندما دمّروا بوحشيّة الآثار الشهيرة في دول الهند الصينية؟

- وبتاريخ 14 أيار 1954 صادقت الدول على اتفاقية لاهاي «حول حماية الكنوز الفنية في حال النزاع المسلح» حيث أكدت الإتفاقية على التزام الدول في حماية الكنوز الفنية والمحافظة عليها في حال نشوب أي نزاع مسلّح.
- كما تمّ بتاريخ 14 تشرين الثاني عام 1970 عقد إتفاقية دولية «حول التدابير الموجّهة لمنع نقل أو جلب الكنوز الفنية أو تحويل ملكيتها». وأخيراً أكد البروتوكول الإضافي رقم 1 على حماية الكنوز الفنية في حال النزاع المسلح.
- وبالتالي، هنالك في القانون الدولي المعاصر مبدأ معترف به من قبل الجميع، يقضي بحماية الكنوز الفنية من جانب المتحاربين. حتى أن بعض العلماء البرجوازيين يعترفون بهذا المبدأ. ومنهم على سبيل المثال ل. أوبنغهايم الذي اعترف بإمكانية اللجوء إلى الحرب كوسيلة لحل الخلافات بين الدول، حيث كتب قائلاً: «ولو كان المعدن الذي سكب منه تمثال ما ضرورياً للغاية لسكب المدافع، فإنه لا يجوز أبداً استخدام التمثال لهذا الغرض»[33].
- والجدير بالذكر، أنه وبالرغم من توقيع الإتفاقيات الخاصة بهذا الشأن، نرى بأن كثيراً من الدول – حتى الموقّعة منها – لا تلتزم بتنفيذها. إذ، في الحرب العالمية الأولى مثلاً، دمّرت القوات الألمانية النصب التذكارية والكنوز الفنية في فرنسا وبلجيكا، ونقلت قسماً منها إلى ألمانيا (وكأنها ردّة فعل على نهب نابليون لآثارها سابقاً)...
- وفي الحرب العالمية الثانية، تعرضت الكنوز الفنية والثقافية إلى أضرار جسيمة. وحسب المعلومات التي أوردتها اليونيسكو، فإن نهب الكنوز الثقافية كان صفة مميّزة لهذه الحرب. إذ استعدّ قادة ألمانيا الهتلرية مسبقاً لهذا الفعل الشنيع، حيث قامت القيادة المركزية بتكليف أركان العمليات الخاصة التي يشرف عليها روزنبرغ، بهذه المهمة. ولقي نشاط الأركان مؤازرة تامة من

[33]– أرتسيبا سوف، مرجع سابق، ص 204.

قبل القيادة الحربية لألمانيا النازية. فمنذ الأيام الأولى لهجوم ألمانيا الهتلرية على بولونيا، أسّس النازيون «متحف الفوهرر» في مدينة لينتسي، وذلك لجمع روائع الثقافة العالمية. ثم بدأت الفكرة تتجسّد منذ نهاية عام 1939 وبداية عام 1940 على حساب نهب المتاحف البولونية.

- يضاف إلى ذلك، أن عملية النهب والسلب للكنوز الثقافية لم تنحصر بالأشخاص والقادة العسكريين فقط، بل وصل الأمر إلى منظمات دولية متعدّدة تنافست فيما بينها على هذا الصعيد.
- فبتاريخ 16 كانون الأول عام 1939 مثلاً، أصدر الحاكم العام لبولونيا (فرانك) أمراً يقضي بالإستيلاء على الأشياء الفنية في بولونيا، وبعد فترة وجيزة أرسل فرانك خبراً إلى هتلر يعلمه فيه عن تنفيذ ما أمر به. أما فرانك فلم ينس نفسه. فقد سرق من متاحف وارسو وكراكوف السجاد والخزف الصيني واللوحات الفنية القيّمة وغيرها.
- وهكذا كان حال النهب المنظّم للكنوز الثقافية في الاتحاد السوفياتي وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا وفرنسا وهولندا وبلجيكا وهنغاريا ودول البلقان. إذ تبين بشكل مقنع أثناء المحاكمة في نورمبرغ أن شخصيات عديدة مارست النهب من أمثال غيرنغ وبورمان وروبنتروب وكيتل ودينيتز وريديدر وإيودل... وقد صرّح المدّعي السوفياتي رودينكو في هذا الصدد قائلاً: «لقد نهب غيرنغ ونهب وزراء الرايخ ومفوّضو الرايخ من المناطق المحتلة، ونهب ممثلو القيادة الحربية إبتداءً من الجنرال وانتهاء بالجندي... كما أن منظمات متعددة قد نهبت وكانت تتنافس فيما بينها»[34].
- من جهة أخرى، وقبل الهجوم على الإتحاد السوفياتي، وضعت خطة لنقل الكنوز الفنية والثقافية منه. وتمّ تشكيل مجموعة خاصة لهذا الغرض بقيادة المفوض النازي «أوتيكال». وفي ربيع عام 1941 عملت بعض وحدات الجيش الهتلري إلى جانب أركان أوتيكال الخاصة على سرقة وإرسال التحف الفنية من المتاحف وصالات العرض، وسرقة الأعمال العلمية من المكتبات والأرشيف وإرسالها إلى ألمانيا. وبتاريخ 5 نيسان 1941 صدرت توجيهات من القيادة العليا لألمانيا النازية تقضي بتقديم كافة المساعدات الممكنة لتحقيق مهمة المفوّض أوتيكال بشكل سريع ودقيق...

[34]– أرتسيباسوف، مرجع سابق، ص 205.

- هذا، ومن خلال العودة إلى الملفات الألمانية والسوفياتية الخاصة بالحرب العالمية الثانية، نجد إصراراً وتصميماً وتخطيطاً ألمانياً مبرمجاً ومنظّماً بدقة إزاء بعض المدن السوفياتية ذات التاريخ العريق (كبطرسبورغ) ونهب ثرواتها وكنوزها الثقافية لإكمال «متحف الفوهرر». وعلى هذا الأساس، فإننا لا نستغرب أمر الأركان البحرية الحربية الألمانية الهتلرية (رقم 1–آ–41/160، الصادر بتاريخ 29/أيلول عام 1941، والذي جاء فيه ما يلي: «قرّر الفوهرر إزالة بطرسبورغ عن وجه الأرض...». حيث افترض محاصرة المدينة وقصفها بالمدافع من كافة العيارات وبالقنابل من الجو، وذلك لتسويتها مع سطح الأرض... حيث يعرف العالم أجمع عظمة الكنوز الفنية والثقافية الموجودة في مدينة بطرسبورغ هذه. ولأن الهتلريين يعرفون ذلك أيضاً، فاستعدوا بشكل دقيق للإستيلاء عليها. وفي صيف عام 1941 بدأ المفوض الخاص لهتلر «هانس بوسي» الإعداد لنهب كنوز لينينغراد ونقل ثرواتها إلى ألمانيا لإكمال «متحف الفوهرر» في لينتسي. وفي بداية شهر آب أرسل سكرتيره الخاص كاي ميولمان والماريشال غيرنغ إلى منطقة لينينغراد. والمعروف أن كاي ميولمان قد «برز» سابقاً في بولونيا عندما كان مفوضاً لمصادرة الكنوز الفنية فيها. أما بالنسبة لغيرنغ كان ينتظر هذه الفرصة لامتلاك كنوز لينينغراد القيّمة.
- لكن لينينغراد صمدت وفوّتت عليهم جمع روائع هذه الكنوز، لذلك جرت الرياح السوفياتية عكس ما كانت تشتهي السفن الألمانية. أما في ضواحي لينينغراد حيث تواجد الغزاة النازيون فكانت الخسارة التي لحقت بالكنوز الثقافية كبيرة جداً. حيث يذكر أرتسيباسوف في هذه المسألة أسماء معالم أثرية وحضارية بارزة، وأرقاماً مذهلة تؤكد على العقلية الإجرامية التخريبية لدى الإنسان، مثلما تؤكد على عبقريته ونبوغه... فيقول أرتسيباسوف ما يلي: «ان الكثير من النصب التاريخية والمعالم الثقافية في لينينغراد قد تعرضت للتدمير البربري، ومنها مجموعة بتروفوريتس، حيث نهب اللصوص الفاشيست القصر الكبير وقصر مارلي وقصر مونبليزيز وقصر الكويتدج، ونقلوا إلى ألمانيا عشرات الآلاف من معروضات المتاحف. كما حرقوا القصر الكبير وهو إبداع عظيم للمهندس المعماري فارفولومي راستريلي... ودمّروا قصر مارلي باستخدام الألغام الموقوتة، وخربوا

مجموعة النوافير الشهيرة الموجودة في حدائق البيتروفوريتس... كما دمّروا أيضاً شواهد الثقافة العالمية كبيت متحف ليون تولتسوي في باسنايا بوليانا. وبيت متحف الموسيقار الروسي العظيم ب. تشايكوفسكي في كلين. وبيت متحف تشيخوف في تاغانزوغ. وبيت متحف بوشكين، وبيت متحف تسيولكوفسك في كالوغا، كما تم تفجير دير القدس الجديدة في مدينة إسترا (منطقة موسكو) الذي تأسس في عام 1656 وأعيد بناؤه في القرن الثامن عشر على يد المهندسين الشهيرين راستريلي وكازاكوف»...

- ويتابع أرتسيباسوف كلامه قائلاً: «وقد أقرّت اللجنة الحكومية الإستثنائية للتحري عن جرائم المحتلين الألمان الفاشيست في الأراضي السوفياتية بأنه تمّ تدمير 427 متحفاً و167 مسرحاً و334 مؤسسة للتعليم العالي إلخ... إن كثيراً من الإنتاج الفني وروائع الثقافة العالمية قد اختفت بلا أثر. وعلى سبيل المثال، حتى وقتنا الحاضر لم يعثر على آثار غرفة البانتار التي سرقها المحتلون الألمان من قصر إيكاتيرينا في القرية القيصرية...»[35].
- يتبين من خلال ذلك، أن أسلوب الغزاة – أينما كانوا – في هذا المضمار هو واحد. حيث يعمدون أولاً إلى سرقة التحف والكنوز، ومن بعدها يمارسون عملية الهدم والتخريب والحرق، بغية إخفاء طابع النهب المنظم لهذه الآثار والمعالم الحضارية... وكأن الحريق هو الذي قضى على كل شيء، وليست أيديهم هي التي فعلت ما فعلت... بيد أن التاريخ لم يعرف أبداً مثل هذه الإبادة الشاملة والمنظّمة للثقافة القومية. وهذا ما عبّر عنه أيضاً المدّعي العام السوفياتي أثناء محاكمات نورمبورغ بقوله: «إن تدنيس وتدمير المعالم التاريخية والثقافية على الأراضي السوفياتية المغتصبة، وكذلك تهديم المؤسسات الثقافية المتعددة التي بنتها السلطة السوفياتية، يمثل جزءاً من خطة سخيفة وحشية دبرتها ونفذتها الحكومة الهتلرية بغية القضاء على الثقافة القومية الروسية، وكذلك القضاء على الثقافات القومية لشعوب الاتحاد السوفياتي»[36]. وهذا ما عبّر عنه أيضاً

---

[35]– أرتسيباسوف، مرجع سابق، ص 206.

[36]– المرجع السابق نفسه، والصفحة نفسها.

المدّعي العام الأميركي «ستارك» في محاكمات نورمبورغ بقوله «أن نهب السلطة الهتلرية للكنوز الثقافية هو عبارة عن عمل تعسّفي منظّم للقضاء على ثقافات الشعوب الأوروبية كلها تقريباً».

- هذا، ومن المؤسف فعلاً أن ينبري كتّاب وباحثون وأيديولوجيّون – كما في كثير من الدول ذات الطابع الإستعماري – للدفاع عن سياسة الدولة (أو الحكومة) التي اتخذت قرار النهب والسلب والتدمير والحرق للكنوز الثقافية والمعالم الحضارية التاريخية. والأكثر من ذلك، فإنهم يوهمون الرأي العام الدولي بأن ما جرى هو «إنقاذ» لهذه الكنوز وليس سرقة ونهب... وهذا قمة العمل الإنساني في الحروب الوحشية المدمِّرة!!! وهذا ما ظهر في ألمانيا الإتحادية فعلاً، من «باحثين» كتبوا بأن النازيين قد «حافظوا» على الكنوز الثقافية في الأراضي التي احتلوها. فالباحث الألماني مثلاً، ك. بوزي تحدث بشكل مثير عن «حماية الكنوز الثقافية» مؤكداً أن المفوّضين بالكنوز الثقافية كانوا يقدّمون استقالاتهم عندما لا تُنفَّذ توصياتهم في نقل هذه الكنوز إلى ألمانيا (ولا سيّما إلى «متحف الفوهرر»)، باعتبار أن هذه الكنوز التي نقلت إلى ألمانيا هي –باعترافه – من روائع الفنون من إيطاليا وفرنسا وبولونيا والإتحاد السوفياتي... ثم يقول بأن «هذه الكنوز قد نقلت لغاية وحيدة... لإنقاذها»[37]. وكأن أصحابها الشرعيين كانوا عاجزين عن حمايتها والمحافظة عليها وإنقاذها.
- في هذا الإطار، سرعان ما تتبادر إلى الأذهان العبارة المشهورة للزعيم النازي أدولف هتلر، القائلة «أكذب ثم أكذب ثم أكذب، يصدّقك الناس». تماماً كما كان يقول ساعده الأيمن وزير الدعاية النازي جوزف غوبلز «كلما سمعت بكلمة ثقافة يصبح لديّ استعداد لشهر مسدسي»...
- من جهة أخرى، لم يكن الأمريكان والانكليز أرحم على الكنوز الثقافية والمعالم الحضارية من الألمان في هذا المجال. حيث يشير الجنرال السوفياتي جوكوف في مذكراته أنه أثناء الحرب العالمية الثانية، يوم كان القائد العام للقوات السوفياتية في ألمانيا، قدّم تقريراً إلى ستالين أخبره فيه أن الحلفاء (خصوصاً الأميركيين والبريطانيين) قد نقلوا أكثر من 100 طن من ذهب البنك

[37]– أرتسيباسوف، مرجع سابق، ص 207.

الألماني، وحمّلوا حوالي أربع قاطرات بالعملات الورقية، ونهبوا اللوحات والكنوز الفنية كلها من متاحف برلين.

- يضاف إلى ذلك، ورغم الاتفاقيات الدولية التي وقّعت عليها أميركا وبريطانيا بخصوص حماية الكنوز الثقافية والفنية، يتبين أن العدوان الأميركي ضد دول الهند الصينية ألحق خسارة عظيمة بالثقافة العالمية. مع العلم أنه في أيام الحرب في فيتنام بذل الجهاز الدعائي للولايات المتحدة الأميركية قصارى جهوده كي يصوّر القوات الأميركية بأنها «نصيرة الثقافة الآسيوية وحامية لها». واشترطت إتفاقية عام 1954 ضرورة «تربية تشكيل خاص من القوات المسلحة بروح احترام الثقافة والكنوز الثقافية لجميع الشعوب وذلك في زمن السلم» (المادة 7. الفقرة 1)، فهل تشبّع الجنود الأميركيون باحترام الثقافة والكنوز الثقافية؟ طبعاً لا. وقد تصرّفوا كمخرّبين للثقافة المحلية. وينسب ذلك خاصة للقوات الجويّة الأميركية التي لم ترحم الآثار القديمة ولا الكنائس ولا المعابد البوذية ولا المقدّسات. حيث فقط خلال سنوات الحرب الأربع تمّ قصف 457 كنيسة و326 معبداً بوذياً في فيتنام الديمقراطية... وقد وصل الأمر بكثير من سياسيّي وعسكريّي ومثقّفي الهند الصينية إلى القول دون مبالغة بأن الطغمة العسكرية الأميركية قد مارست الجينوسيد الثقافي (أي الإبادة) في الهند الصينية.
- يضاف إلى ذلك، أنه من المعروف أن الطيران الأميركي قد قصف مدينة «درسدن» بلا مبرّر، وذلك في شباط 1945. حيث قامت 1400 طائرة قاذفة أميركية خلال يومين، برمي 3749 طن من القنابل، فقتلت أكثر من 135 ألف إنسان، ودمّرت 35470 مبنى... حيث تذكر بعض المراجع التاريخية أنه كثيراً ما جازف الجنود السوفيات بحياتهم لإنقاذ لوحات الرسم الكلاسيكي من بين أنقاض صالة العرض في درسدن والتي بلغت حوالي 750 لوحة لكبار الفنانين الألمان والهولنديين والإيطاليين والإسبانيين والفرنسيين[38]...

[38]– أرتسيباسوف، مرجع سابق، ص 209–210.

- هذا وتعتبر دولة الإحتلال الإسرائيلي (التي قامت عام 1948 على أرض فلسطين العربية) وريثة الإجرام والهدم والتخريب والحرق بكل ألوانه وأشكاله... وبالرغم من مصادقتها على اتفاقية لاهاي عام 1954 «حول حماية الكنوز الثقافية في حال النزاع المسلّح»، إلا أن ذلك لم يكن إلا خدعة من قبلها، ومن قبل حماتها الدوليين... وقد يتوضح ذلك بكثير من عمليات خرقها لهذه الاتفاقية، ومنها على سبيل المثال، لا الحصر:

1- جريمتها في إحراق المسجد الأقصى في القدس الشريف بتاريخ 21آب 1969. ومن خلال العودة إلى بيانات مجلس الأمن الدولي، أعتبر البيان الذي أدلى به مندوب الجزائر في مجلس الأمن (عزوت)أن يوم 21 آب عام 1969 هو من أتعس الأيام بالنسبة للمسلمين في العالم كله. وان ما فعلته الطغمة العسكرية الإسرائيلية هو جريمة شنيعة ضد الحضارة الإنسانية والقيم الروحية في العالم...

2- إن دولة الإحتلال الإسرائيلي التي قامت على الجثث والجماجم والدم والقتل والحرق لا تتنفس إلا الإجرام والمذابح، وعلى هذه النفسية ربّت جنودها، فتفوّقوا في هذه المدرسة العنصرية الدموية. وأينما ظهروا كانوا مخرّبين ومجرمين بامتياز (بينما يتهمون غيرهم بذلك)... فبعد جلائهم عن منطقة قناة السويس في عام 1973 دمّروا بالكامل معهد الأبحاث الخاصة، وتخاطفوا الأجهزة الثمينة. كما دمّروا الكثير من روائع الفن، ودنّسوا معالم الثقافة، وسرقوا أكثر الكنوز قيمة.

3- أزال الإسرائيليون عن وجه الأرض مجموعة بيوت أبو سعود الموجودة بالقرب من حائط المبكى في القدس، وهي مجموعة معمارية من الزمن القديم، وتعتبر من أكثر الأماكن شهرة في العالم. ونهب المحتلون بعض المخطوطات الثمينة من متحف فلسطين في القدس. وعندما أخلوا مدينة القنيطرة السورية (طبقاً لاتفاقية فصل القوات) دمّر المعتدون المعابد والمشافي، وسلبوا ألواح المرمر والأثاث والأيقونات الثمينة التي تعود إلى القرن الرابع عشر والتماثيل وغيرها.

4- أثناء الإجتياح الإسرائيلي للبنان عام 1982، قام الإسرائيليون بتدمير منظم وتخريب للتراث الثقافي للشعبين اللبناني والفلسطين. وقد أتلف الجنود الإسرائيليون مئات اللوحات الفنيّة الرائعة

المحفوظة في متحف الفنون التشكيلية في بيروت. كما تمّ في العاصمة اللبنانية، بيروت، نهب الكثير من المؤسسات التعليمية والثقافية ومركز الأبحاث الفلسطيني (الذي يعتبر من أهم مراكز الأبحاث العربية الخاصّة بفلسطين) وسلبوا المخطوطات والكتب النادرة ونقلوها إلى فلسطين المحتلة، حيث طالبت منظمة التحرير الفلسطينية كثيراً باسترجاعها... ولم تنج مدينة لبنانية أو بلدة فيها آثار من السرقات الإسرائيلية لها:

5- والمعروف بأن وزير الدفاع الإسرائيلي السّابق موشي دايان كان خبيراً محترفاً في سرقة الآثار الفلسطينية، بعد أن أسس جمعية إحتكارية خاصة لبيع الآثار القديمة المسروقة إلى محال بيع التحف الأجنبية، حتى صار يعرف أخيراً بـ: «جنرال الآثار»...

6- إضافة إلى نهب وتخريب الكنوز الثقافية، قام الغزاة الإسرائيليون في الأراضي المحتلة بأعمال التنقيب وسرقة الآثار وتدمير المعالم الحضارية التاريخية الفلسطينية، وهذا ما يتعارض مع المادة 32 من الوصايا الدولية التي أقرها المؤتمر العام لمنظمة اليونيسكو في عام 1956. وفي الدورة الخامسة عشرة للمؤتمر العام لليونيسكو اتخاذ القرار رقم 3343 الذي طلب من إسرائيل «الإمتناع عن التنقيب ونقل الكنوز وتغيير طابعها التاريخي والثقافي المميّز لها»... لكن إسرائيل، كانت ولا تزال، تضرب بكل القرارات الدولية عرض الحائط – إلا تلك التي تكون لمصلحتها – مدعومة من المعسكر الغربي، وعلى رأسه الولايات المتحدة الأميركية...

هذا غيض من فيض على هذا الصعيد. ولا زلنا في القرن الحادي والعشرين نشهد عيّنات ونماذج من تدمير وحرق لكنوز ومعالم ثقافية وحضارية كثيرة على هذا الكوكب... ولكن بتقنية متطوّرة جداً عن ذي قبل، وأكثر فتكاً... ولو كانت تستمد أسلوبها في الحرق والإجرام والتدمير من عقلية التصحّر والتصحّر العقلي، كما من عقليّة التحجّر والتحجّر العقلي، التي لا تميّز بين العصور والأزمان والسنين، ولا فرق عندها إن كان العصر عصراً حجرياً أم عصر الفضاء والالكترونيات ... طالما أن الهدف التدميري هو القاسم المشترك بين هذا وذاك...

خلاصة عامّة:

إنطلاقاً من إيماننا وقناعتنا بخطورة وكوارثية حرق الكتب والمكتبات، وتدمير المعالم التراثية والثقافية والحضارية، يظن الجهلة التكفيريون أنهم بحرق الكتب وإتلافها، إنما يحرقون العقل ويُتْلِفُون الفكر، لكنهم واهمون. لأن العقل يُحْرِقْ ولا يُحْرَقْ، والفكر يتوقّد وإن ترمّد. وكلّما حُرق كتاب ظنّا بحرق صاحبه، كلّما توقّدت نار العقل وزادت حرارة عطائها المعرفيّ أضعاف مضاعفة. وكلّما دُمِّر متحف أو مكتبة ذات طابع تراثي، ينتفض الزمن والتاريخ من قلب التراث الحضاري، مؤكداً غلبة التوهّج الفكري العقلاني الإنساني المعطاء، على لهيب الجهل والجهالة والجهلاء الحاقدين، اللاعقلانيين واللاإنسانييّن. وطالما هناك آدميّون مؤمنون بقدسيّة العقل وعَظَمَة الفكر، فستبقى المعرفة والثقافة والعلم بخير، يرفعون إشارة النصر من تحت ركام الهدم وأنقاض الدمار الممنهج واللاممنهج، إلى ما لا نهاية. ومن يظنّ أن «السّم السقراطي» قتل فكر سقراط بموته الجسدي، فهو واهم. ومن يظنّ أن قتل كوبرنيكوس أوقف عملية الأرض الكروية عن الدوران، فهو واهم. ومن يظنّ أن فكر إبن رشد مات بموته، فهو واهم أيضاً... وسيبقى أمر الله «إقرأ» سارياً إلى ما شاء الله، إن كان ذلك كلمة في كتاب أو نقشاً على حجر.. لا فرق...

أخيراً نقول ونردّد مع أرتسيباسوف أن «الحرب جريمة» فعلاً... ومنذ نشأة البشرية والحروب قائمة... وقد «بلغ عدد الحروب منذ فجر تاريخ البشرية 14513 حرباً، مات فيها 3 مليار و640 مليون إنسان. وتعادل المقدّرات المادية، التي تمّ تدميرها في هذه الحروب شريطاً ذهبياً بعرض 8 كيلومتر وسماكة 10 أمتار، يحزم الكرة الأرضية في خط الإستواء»[39].

[39]– أرتسيباسوف، خارج نطاق الشرعية، مرجع سابق، ص 28.

أ.د. طارق أحمد شمس

واقع المعرفة والتنمية الانسانية

من خلال

التاريخ وتحديات العولمة

بين التفاعل والمواجهة

مقدمــة:

بدأت العولمة منذ أوائل التسعينات من قرننا هذا، بهدف رفع الحواجز والقيود أمام الشركات الكبرى، وفتح المجال أمام السلع والبضائع كي تنتقل عبر الحدود وبسيولة.

إلا أن أثر هذه العولمة لم يبق ضمن الحدود الاقتصادية بل امتد ليطرق أبواب المجتمعات كافة ومن خلال السياسة والثقافة، وكان الإعلام ولا يزال هو سلاحها في السيطرة على العقول واختراق الجدران العازلة للخصوصيات داخل الأديان والطوائف والملل والقوميات....

وبالتالي لم يعد هنالك من رادع يقف أو يتحدّى ويتمكن من إيقاف سلاسة العولمة وقدراتها الهائلة ... وبدأت هياكل الثقافات داخل المجتمعات، تتغير وتتبدل لتأخذ أشكالاً جديدة في اللون والطعم، وإن كان هذا التغيير يظهر ببطئ بداية، إلا أنه وبعد عدة عقود قد لا يبقى من جذور هذه الهياكل سوى القليل من بضعة أحجار متساقطة من معبد قديم، فقد شكله وزخرفته وأخذت الأعشاب تنبتُ من بين جنبيه لتغطيه بالكامل .

ومن أبرز المؤثرات التي تغير الحضارة وأنماطها الفكرية وتتشكل منها هذه الحضارة، هي الثقافة... والتاريخ هو جزء من هذه الثقافة...

فكما أن هناك غزواً ثقافياً ، فإننا سنجد غزواً للتاريخ، ليس مجرد تاريخ كتبه أحد أتباع السلاطين بل تاريخ كتبه مؤرخ عن شعب بأكمله، وعن تضحيات لأمم بنت مستقبلها على اكتاف أبنائها ودمائهم... هو تاريخ ممتد في الجذور يثمر شجرة سنديان عالية في السماء تلتمس الغيوم...

وإذا أمكننا أن نشبّه العولمة الثقافية الحالية بكائن، فهي تلك الحشرة التي استوطنت هذه السنديانة وأخذت تفتك بجذورها.

لا أظن أن هنالك خوفاً على جذور تاريخ عريق أُمته تنبض بالحياة وتدرك قيمة أصولها، إنما الخوف هو على أمة لها جذور تاريخية عريقة لا تتأسف على ماضيها، بقدر ما تنتقضه، ليس بهدف

الاصلاح بل لمجرد الانتفاض والضجر الدائم من الماضي الذي تعتقد أنه أورثها الجهل والتخلف ... و كيف لمتخلف أن ينتقض الماضي؟!.

في هذا الواقع المحزن المبكي، أين هو التاريخ والتأريخ، وأين المؤرخ وكيف يتعامل أو سيتعامل مع كل ما يحيط به من فوضى " خلاّقة " أم " غير خلاّقة " ومن " شرق أوسط جديد"؟ ... و هل لا يزال هناك مؤرخ اليوم، أم مجرد كاتب صحفي متوهم في السياسة!! ..

لا يمكننا أن ننكر بأن واقعنا الثقافي في أزمة حيث ان الثقافة هي الواجهة المعرّضة لرياح التغيير التي تفرضها العولمة ، وذلك أمام:

1- قوة الثقافات الغربية المدعومة بالإعلام العالمي.
2- سيولة الأفكار والإيديولوجيات.
3- الانتشار السريع للعولمة (سمعية – بصرية).
4- الثقافة الغربية الأميركية التي تتوجه إلى العامة، وعلى شكل مستوى هذه العامة (ثقافة دونية) : ثقافة مايكل جاكسون – ماكدونالدز – الجينز – شكيرا...
5- ولادة القوة الناعمة ، التي تهدف إلى السيطرة على النخبة ونخبة النخبة.
6- ضعف الأنظمة الحاكمة في عالمنا العربي، كونها ترتكز على قوة الجيش لا قوة الفكر....
7- الأجيال الشابة التي وجدت نفسها داخل إعصار العولمة ولم تمتد اليها يد المساعدة لكي تعيدها إلى جذورها وأصولها الثقافية، بعد أن تشوهت هذه الجذور تحت ضربات عصور من التخلف والاستبداد والقهر والفقر.

أمام هذه المتغيرات السريعة، من المتوقع أن يصل تأثير العولمة إلى التاريخ العربي ويغيّر من هويته ، وذلك :

1- بهدف فرض تاريخ كوني يلغي الهوية و الخصوصية للأمة.
2- غزو العقول وتسطيحها.

والعولمة بذلك تستفيد من الفراغ الثقافي في عالمنا، ومن الاحباط الذي أصاب المجتمعات العربية، التي أخذت تتشاءم من المستقبل، وتخشى من واقعها وماضيها القريب، وتلغى بعض ماضيها البعيد الذي أوصلها إلى واقعها اليوم...

هذا كله يترافق مع ما يروج له منظري العولمة من الرأسمالية الجديدة، على فرض الشلل الفكري ومنع أي اجتهاد يصدر من عالمنا.

وأخطر من ذلك، تدمير الإرث الثقافي والعمل على محوه بالكامل، من خلال حروب عبثية لا تُعرف نهايتها .

فأين هو المؤرخ العربي من كل هذا؟!:

1- هو في سبات كما الأمة ؟
2- هل المؤرخ العربي يستوطن بلاط الحاكم؟
3- أم هو في مركز للمخابرات يُستجوب؟
4- أم تراه يقف خلف نافذة داخل غرفة سجن صغير؟
5- وقد يكون واقفاً أمام برج إيفل ! أو ساعة بيج بن ! أو تمثال الحرية في نيويورك ! يبحث عن ما يربطه بأهرامات مصر التي مات ساكنيها وبانيها!. وبرج بابل الذي تهدّم منذ زمن! وبقايا تدمر التي نهبت وبيعت في اسواق النخاسة! وأديرة تاريخية أصبحت أثراً بعد عين !. أين المؤرخ العربي من التدمير الممنهج لحضارة المشرق؟!

أ- تعريف العولمة وتاريخها:

تعتبر نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، مرحلة تاريخية مهمة للإنسانية جمعاء، حيث شهدت هذه المرحلة تطوراً فكرياً واقتصادياً سريعاً، جاء جرّاء سلسلة من التطورات السريعة التي عرفها العالم الغربي مع عصر النهضة الأوروبي، واكتشاف القارة الأميركية، وولادة الولايات المتحدة الأميركية .

وأبرز ما عرفته هذه المرحلة كان ولادة الطبقة البرجوازية التي حلّت مكان النظام الإقطاعي الذي سيطر على اوروبا طيلة العصور الوسطى، كما ونهاية النظام السياسي الملكي من جهة أخرى. ليظهر في العالم الغربي طبقة حاكمة جديدة تتألف من كبار التجار أخذت تسيطر شيئاً فشيئاً على النظام السياسي، وترافق ذلك مع تراجع السلطة الدينية بشكل حاد.

هذه الطبقة من رجال الأعمال أوجدت ما عرف بإسم " الشركات الكبرى " أو " الشركات العابرة للقارات " التي ستصبح المحرك الرئيسي للإقتصاديات والمسيطر على الأسواق، و المؤثر على السياسة في نفس الوقت(شمس وعبد الرحمن، 2015، ص11).

ومع الحربين العالميتين الأولى والثانية، والتي كان من نتائجهما على صعيد العالم تحطيم الاستعمار الأوروبي، وتقزيم نفوذ بريطانيا وفرنسا تحديداً، مما أفسح المجال أمام الولايات المتحدة الأميركية لتصعد وبقوة على مسرح الأحداث في العالم وتتفرّد على رأس الرأسمالية ، مقابل الاشتراكية التي كان يقودها الاتحاد السوفياتي. لندخل في شكل من اشكال الصراع عرف بالحرب الباردة، إلا أن سقوط الاتحاد السوفياتي وأسواقه الاشتراكية التي كانت تزاحم الولايات المتحدة على عرش العالم ، وذلك في العام 1989، أطلق يد الولايات

المتحدة الأميركية التي تفرّدت بالهيمنة على السياسة والاقتصاد العالمي، فأطلقت ما سمي بالنظام الدولي الجديد، وهو نظام المعرفة والقدرة والتنكولوجيا الحديثة، التي تقف خلفها وتحركها النخبة من العلماء ورجال الأعمال ، وتتربع على أعلى قمته أهداف إقتصادية وإيديولوجية هدفها السيطرة على أسواق العالم.

وفي ظل هذا النظام الأحادي ظهر عالمان لا يتشابهان الأول هو عالم الشمال مع ما يملك من تكنولوجيا وقدرات اقتصادية، وعالم الجنوب الذي أطلق عليه ألقاب : كالعالم الثالث والعالم الثاني أو المتشظي(ص 12) ، احدهما يمثل التطور والتقدم والرقي، والآخر يحمل مفاهيم وقيماً من الماضي والتراث وهو ما يعبّر عنه الكاتب اللبناني سيّار الجميل بايدولوجيا القارب (الانتقال) والشجرة (الجذور) (جريدة السفير، 1997/4/30).

هذا العالم الذي يطلق عليه اسم عالم الشمال الذي تقوده الولايات المتحدة الأميركية، أخذ يكتسح الكرة الأرضية بكاملها، بالمعرفة والاقتصاد وبالسلع ذات الجودة العالية، واستطاع عالم الشمال من فرض نفسه والسيطرة على اطراف الكرة الأرضية وهو ما دفع بالعلماء إلى إطلاق تعريف" العولمة " أو " الكونية " أو " القرية الكونية " أو ما يمكن أن نطلق عليه " بالهيمنة " والتي تجاوزت الحدود الجغرافية والزمنية، واخترقت الإيديولوجيات والثقافات ليصبح العالم " قرية " مترابطة فيما بين سكانها عبر التكنولوجيا المتطورة.

هذه القرية التي لا تعرف الحدود، أخذت الشركات العابرة للقارات تحكمها ، عبر ثقافة واحدة، هي ثقافة الدولة التي تمتلك القدرات المعرفية، وهي الولايات المتحدة الأميركية.

وهذه العولمة التي تعتبر قمة الرأسمالية الليبرالية، لا تؤمن إلا بسياسة السوق و " أممية رأس المال " ، وهي أداة وسلاح لمن يملك التكنولوجيا، والاقتصاد هو الطريق الذي تعبره لتصل عبره إلى كافة أنحاء " القرية الكونية ".

وللعولمة أدواتها ومن أبرز هذه الأدوات هو سلاح " الاعلام " ، الذي أدركت أهميته الشركات العابرة للقارات واستخدمته لأهداف تسويقية في الدرجة الأولى، لذا هاجمت العقول بهدف تطويعها فتحول توجه الأفراد من المحلي إلى العالمي، ورفعت بالمجتمعات العالمية لتصبح مجتمعات استهلاكية، فظهرت أفكار جديدة وقيّم أقرب ما تكون إلى قيم السوق.

هذا ما ساهم في " التمييع الثقافي " أو تقزيم الثقافات المحلية أمام الثقافة الاستهلاكية المعولمة، وهو ما يوضحه الأستاذ الجامعي الدكتور سامي أدهم بقوله : " إن الهدف الرئيسي للعولمة هو السيطرة الكاملة الشاملة على انشطة الفرد، خصوصاً على فكره واختلافه وذلك لتمرير السلعة المعلّبة وتحقيق الأرباح الخيالية ... وفرض ثقافة ولغة بعينها ليسهل توحيد الناس وتمرير السلع الاستهلاكية"(ادهم، 1988، ص118).

وبالتالي فإن هذه العولمة لن تقف عند حدود السوق بل ستقتحم كافة المجالات لتظهر عولمة الاعلام والاتصالات، وعولمة البيئة، وعولمة الدين، وعولمة الثقافة والتاريخ جزء من الثقافة، وعولمة الأسرة، وعولمة الإرهاب ...الخ ... إنه عالم القرية الكونية الذي يتخطى كل الحدود الجغرافية والزمنية عبر التكنولوجيا التي أوجدت المستثمر الرقمي، والمواطن الرقمي، والوطن الرقمي، والنقد الرقمي عبر شاشة الانترنت(عبد الرحمن وشمس، ص13-14).

ب- تاريخ العولمة:

صحيح ان العولمة ارتبطت بالثورة العلمية وعصر التقنية الحديثة، وبالتالي فإننا ننظر إليها كونها معاصرة، حيث لا تنفصل عنها المؤسسات الدولية والشركات العابرة للقارات والتي لم تكن معروفة من قبل.

إلا ان بعض الباحثين يعتبر وجود " عولمة قديمة " و " عولمة جديدة " ، ويقول في ذلك د. عزبي محمد : " فإذا كانت العولمة حركة تاريخية، تهدف إلى تقارب شعوب ودول العالم فهي ليست جديدة، فالاتجاه الذي يهدف إلى هذا التقارب قديم قِدَم التاريخ ولا يرتبط بالتطورات العالمية والثقافة الحديثة " ومثال على ذلك : " الديانات السماوية التي دعت شعوب العالم إلى التقارب والتكامل ويضاف إلى ما ورد، فإذا كانت العولمة مصاحبة " لبروز التوجه الرأسمالي كنظام اقتصادي عالمي"، فقد ظهر ذلك منذ 300 سنة(عزبي محمد، تحديات العولمة وآثارها على العالم العربي، مجلة اقتصاديات شمال افريقيا ، العدد 6 ، ص19).

لقد بدأت العولمة منذ أن بدأت الحضارات الأولى في التاريخ في الظهور ومن خلال الامبراطوريات العسكرية – السياسية، وديانات العالم (اليهودية – المسيحية – الاسلام- الزرادشتية – البوذية – الكونفوشية... الخ).

فهذه التطورات الكبرى وغيرها" مثّلت قنوات لنشر الأفكار الثقافية والاجتماعية و التفاعل بين النخب ."

وأما السبب في إعاقة سرعة التفاعل بين هذه الحضارات " فكان للمستوى المتدني للتكنولوجيا والبنيات التحتية الفقيرة الموجودة آنذاك"(وروريك موراي، جغرافيات العولمة، ترجمة سعيد نتاف ، مجلة عالم المعرفة، العدد 397 ، ص 95- 96).

1- فكانت العولمة الفينيقية ، التجارية والثقافية، حيث انتشرت المستعمرات الفينيقية في طول البحر المتوسط وعرضه ، ونشرت الحرف الأبجدي(عبد الرحمن، 2015، ص72).

2- العولمة اليونانية، من خلال التفاعل الحضاري بين الغرب والشرق عبر ما عرف " بالهلنستية " ، تلك الثقافة (اليونانية – الشرقية) التي ساهمت في تطور الحضارات البشرية"(يحي، د.ت، ص4-16).

3- العولمة الصينية ، من خلال طريق الحرير ، طريق التجارة العالمي الذي ربط شرق آسيا بالقارة الأوروبية ، مروراً بوسط وغرب آسيا وشمال أفريقيا ، حيث انتشرت سلعة الحرير والملح والبهارات وأنواع العقاقير والمنسوجات (بشير الزهدي ، طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل ، الحوليات الأثرية العربية السورية، ندوة دولية حول تدمر على طريق الحرير، المجلد 42، 1996 ، ص 131- 136).

ت- العولمة العربية:

كانت الحضارة العربية في العصور الوسطى حضارة مزدهرة بالعلوم ومن رجالاتها عباقرة العالم حينها، وتحولت اللغة العربية ومنذ القرن الثامن إلى نهاية القرن الحادي عشر للميلاد، لغة لا بدّ منها لمن أراد أن يلم بثقافة عصره، فكانت العولمة العربية حينها، التي سلكت سلوكاً حضارياً دعا على حوار الثقافات واحترمت الخصوصية الثقافية للحضارات الأوروبية والفارسية والهندية واليونانية، محترمة الآخر وفكره، معتمدة على التلاقح والنضج والاكتمال نتيجة للأخذ والعطاء .

وهذا يعود إلى أن الاسلام أساساً هو دعوة إلى العالمية، ومن منطلقات تظهر من خلال القرآن الكريم:

بسم الله الرحمن الرحيم :

- وما ارسلناك إلا رحمة للعالمين (الانبياء، 107)"
- " وما ارسلناك إلا كافة للناس"(سبأ، 28).
- يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم"(الحجرات، 13).

وتظهر العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، نتيجة لانطلاقة المسلمين من شبه الجزيرة العربية ليحطوا الرحال في كل من اسبانيا (711- 1492م) وصقلية (827- 1092 م) ، حيث تحولت هذه المناطق إلى منارات عربية نشرت اشعاعها ليصل إلى الداخل الأوروبي طيلة قرون(حلاق، 2012، ص 9).

وفي هذا تقول المستشرقة الالمانية زيغريد هونكه : " لم يكن هناك أحد ليمنح أوروبا ما قبل القرون الوسطى اي اهتمام ، أو ليمنح الأحداث التي جرت في العالم خلال تلك العصور أية اهمية أيضاً، وأما ان يكون العرب في جوار قريب لها ، وأن يكون هذا الشعب رائداً لغيره من الشعوب في انحاء الدنيا في غضون سبعماية وخمسين عاماً حاملاً مشعل الثقافة ردحاً جاوز عصر الإغريق الذهبي بضعفيه أكثر من أي شعب آخر... فهذا امر من يعلم به ؟ ومن يتحدث عنه ؟."(هونكة، د.ت، ص12).

وتحولت بعض المدن في كل من الأندلس وصقلية إلى مدارس ترجمت فيها المخطوطات العربية في مختلف العلوم من : الرياضيات وعلم الفلك ، والكيمياء والطب ، والتاريخ ، والجغرافيا ، والفلسفة وعلم النفس، وغيرها ، من خلال طليطلة في الأندلس التي تدفق اليها الطلاب الأوروبيين بعد العام 1085م ، وبالرمو في صقلية في عصري أسرتي النورمان والهوهنشتاوفن الالمانية (حلاق، ص97و 136).

- لقد تأثرت أوروبا ب:

1- الموسيقي العربية والمغني أبو الحسن علي بن نافع، المعروف باسم زرياب (789-857 م) ، فظهر " التروبادور " الذين أنشدوا الأشعار الزجلية الأندلسية في أنحاء أوروبا الغربية (عيد، 1993، ص 78).

2- الأرقام العربية المستوردة من الهند ، والتي انتشرت عبر بلاد الأندلس من خلال غربرت، الذي تعلّم في مدارسها، وأصبح فيما بعد البابا سلفستروس الثاني عام (999م)، لتدخل إلى اوروبا عبر البابا الذي تعلم عند العرب، فنظرت إليه أوروبا كساحر، وفنان غريب، ونسجوا حوله الإشاعات ، فقط لكونه كان يتقن علوماً كانت غريبة عندهم(هونكة، ص 81).

كما دخلت هذه الأرقام من بالرمو، من بلاط الإمبراطور فردريك الثاني عبر ليوناردو البيزي (نفسه).

3- فلسفة ابن رشد، الذي ترجم له ميخائيل سكوتوس الاسكتلندي، من بلاط الإمبراطور فردريك الثاني، وذلك من خلال شروحه لفلسفة أرسطو طاليس، كما ترجم كتاب الحيوان لأبن سينا، هذه الكتب التي " هزت العالمين المسيحي والاسلامي"(ص448).

3- لقد كان عصر فردريك الثاني، امبراطور صقلية ونابولي والمانيا، عصر التنوير الآتي من الشرق نحو أوروبا، ذلك الامبراطور الذي تقول عنه زيغريد هونكه : " وفي خلال حياة فريدريك الثاني التي دامت ستة وخمسين عاماً، باشر النفوذ العربي من مختلف مصادره الثقافية والفكرية تأثيره على دولته، حيث وجد جواً فكرياً مهيئاً لتقبله ورعايته، وإذا كانت أوروبا قد نظرت إلى تلك النهضة القادمة اليها عبر إسبانيا وصقلية نظرة الإعجاب حيناً فإنها نظرت اليها نظرة الشك أحياناً، لكنها على أية حال، لم تقف حينها موقفاً سلبياً خاصة بعد أن قدّم فردريك في دولته نموذجاً لمدى ما يمكن أن تحققه تلك النهضة الجديدة من رفاهية وإزدهار للشعوب"(نفسه).

وفي عصر فردريك:

أ- تبنت الدولة نظم الدولة وقواعد الحكم والإدارة من العرب(ص 443) .

ب- كما اخذت بفن البناء العربي(نفسه).

ت- تبنى نظام العرب في دراسة الطب، ونظام الشرطة".(ص44).

ث- اتخذ الموظفين والمستشارين والقادة من العرب"(ص 434- 435).

هكذا كانت العولمة التي نشرها العرب رفعت من شأن الأمم وحضَّرتهم، وعظّمت من قدرهم، حتى قالت المستشرقة الالمانية زيغريد هونكه: " إن التاريخ لا يهتم بماذا كان يمكن أن يحدث، لو أن هذا قد حدث أو أن ذاك لم يحدث، إن التاريخ أعمق وأدق من ان ينسج في الخيال، فواجبه الأول هو الاهتمام بالحقائق ، فكل موجة علم ومعرفة قدمت لأوروبا في ذلك العصر كان مصدرها البلدان الاسلامية، كما أوجد الاسلام باستيلائه على بلدان البحر الأبيض المتوسط، وضعاً سياسياً جديداً، أدى إلى نقل مركز الثقل في الغرب من البحر المتوسط إلى المانيا فأصبح الراين هو المنظم للسياسة الأوروبية ، وكان ردّ الجرمان غير المباشر على ذلك التوسع الاسلامي هو تكوين الجيوش من الفرسان وتأسيس المنظمات الدينية لفرسانهم والتفكير بالحروب الصليبية ضد فلسطين... وتضيف قائلة : " ولعلّ أكبر دليل على هذا هو أن الغرب بقي في تأخره ثقافياً واقتصادياً طوال الفترة التي عزل فيها نفسه عن الاسلام ولم يواجهه ، ولم يبدأ ازدهار الغرب ونهضته إلا حين بدأ احتكاكه بالعرب سياسياً وعلمياً وتجارياً، واستيقظ الفكر الأوروبي على قدوم العلوم والآداب والفنون العربية من سباته الذي دام قروناً ليصبح أكثر غنىً وجمالاً وأوفر صحة وسعادة..."(ص 541).

ث- تراجع العالم العربي:

في هذه المرحلة التي كانت فيها أوروبا تدخل عصر نهضتها ، كان المشرق العربي يتراجع اقتصادياً وفكرياً بشكل متسارع ، حيث يصور لنا مؤرخو القرنين الخامس عشر والسادس عشر للميلاد أشكال التردي السياسي والاقتصادي التي أصابت العالم العربي، وانعكست بالطبع على الحالة الثقافية والعلمية.

ومن هؤلاء المؤرخين ابن تغري بردي (ت 874هـ/1470 م) في العصر المملوكي، حيث وردت العديد من الروايات التي تظهر واقع الحال في هذه المرحلة من:

1- الغلاء المفرط.
2- انتشار التصوف والدروشة.
3- أعمال السلب والنهب التي مارسها المماليك.
4- إثقال كاهل الناس بالضرائب.
5- محاربة المماليك لكل ما هو اجتهاد في الراي.
6- تدني المستوى الفكري حتى بين الصفوة.
7- تعطل المحاكمات وإهمال العلاقات.
8- إنشغال السلاطين بالتنزه والرياضة.

9- بخست العملة ...الخ (اسحق عبيد، البعد التاريخي لأزمة الفكر العربي المعاصر ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، العدد 52، السنة 13 ، 1995، ص 139).

فعلى سبيل المثال:

ورد عن العام 860هـ/1456م : " نودي بالقاهرة من قبل السلطان بعدم تعرض المماليك الجلبان إلى الناس والتجار والبيعة، فلم يلتفتوا لمناداته، واستمروا على ما هم عليه من اخذ بضائع الناس بأبخس الأثمان، وأفعالهم القبيحة ... فإنه زاد بسبب ذلك أسعار أشياء كثيرة من المأكولات والعلوفات والأغلال ، فإنهم صاروا يخرجون إلى ظاهر القاهرة ويأخذون ما لقوا من الشعير... والتين بأقل ثمن ... ثم شرعوا من نهب حواصل البطيخ وغيره ..."(ابن تغري بردي، تحقيق 1990، ج2 ص 592).

وحتى عندما كانت تتأخر رواتب المماليك ، كانت عامة الناس تعاني من ردات فعلهم وشغبهم : يقول ابن تغري بردي : " فلما تعوقت فيه جوامك المماليك السلطانية ، ولم ينفق لأحد منهم شيء، فعند طلوع الأستادار إلى القلعة تشغبت عليه المماليك السلطانية ، ففاتهم ، فلما دخل إلى السلطان عرَّفه بذلك ، وأظهر العجز عن حمل الجمايكة ، فإستشاط السلطان غيظاً وأمر به في الحال فضرب نحو العشرين عصاة..."(ج2 ص 584).

ولم ينتهِ الأمر عند هذا الحد، حيث ان المماليك السلطانية " نزلوا من وقتهم إلى بيت زين الدين [الأستادار]... لينهبوه، فأغلقت مماليكه الدروب ورموا عليهم ومنعوهم من الدخول... فلما عجز المماليك عن الدخول إلى بيت زين الدين المذكور وحارته نهبو بيوت الناس..."(ج2 ص 586).

وفي حادثة أخرى يروي ابن تغري بردي أيضاً " طلع العبيد موالي أرباب الرواتب لأخذ اللحم، فلم يجدوا الوزير ذبح شيئاً ولا طلع في اليوم المذكور رطلاً من اللحم لجميع المماليك الجلبان والقرانيص، فنزلوا العبيد والغلمان إلى شوارع القاهرة.... وأخذوا عمائم الناس من على رؤوسهم وشدوهم من على أكتافهم ، وأفحشوا غاية الفحش"(ج2 ص 571).

لقد كانت الدولة المملوكية تلعب دوراً رئيساً في التدهور الاقتصادي نتيجة اللامبالاة عن الاهتمام بشؤون العامة والأسواق، فكانت الجسور التي تحفظ مياه نهر النيل تنقطع وتغرق الأراضي وينتج عن ذلك ارتفاع الأسعار وتدهور الأوضاع، بل ووصلت الأمور إلى ان بعض السلاطين كانت تسمح للمماليك من الجلبان بمهاجمة بعض بيوت كبار الموظفين ونهبها لأن رواتبهم لم تدفع لهم، ويتكرر مشهد نهب الأسواق عند خروج الجيش في الحملات العسكرية، أو عند نشوب الخلافات بين الأمراء، أو حتى عند موت احد

السلاطين، حيث يصاب العامة بالفزع فتغلق الأسواق ، وتبدو القاهرة وكأن سكانها من الموتى (عبده، 1998، ص345- 346).

ج- محاولات الاصلاح:

ومع العام 1516م وعلى أثر معركة مرج دابق بين المماليك وعلى رأسهم السلطان قانصوه الغوري(1501 – 1516 م)، والعثمانيين يقودهم السلطان سليم الأول (1512 – 1520م)، والتي انتهت بمقتل السلطان المملوكي ودخول سليم الأول القاهرة في العام التالي 1517 م وإنهاء الحكم المملوكي، خضع العالم العربي للنفوذ العثماني . لم يختلف الأتراك عما سبقهم في حكم بلادنا من المماليك ، حيث ان العقل العربي وطيلة فترة الحكم العثماني التي استمرت زهاء اربعماية عام، استمر في سباته...

وافضل من يعطينا صورة عن الواقع الاجتماعي والثقافي في هذه المرحلة هم مفكرو عصر النهضة من العرب ، فهؤلاء كانوا حالة خاصة ظهرت في اواخر القرن التاسع عشر، نتيجة للتأثر بالحملة الفرنسية التي قادها نابليون بونابرت على مصر عام 1789 م، وحكم محمد علي باشا ومحاولاته الاصلاحية التي سقطت على أثر سقوط مشروعه في قيام خلافة إسلامية يكون هو على رأسها تحل مكان السلطنة العثمانية.

لقد كان محمد علي أول من سعى إلى قيام حركة قومية من خلال محاولاته في نهضة مصر والعالم العربي، حتى أن ولده إبراهيم باشا، حمل القومية العربية معه أثناء دخوله سوريا، وفي ذلك يكتب البارون " لبو " الذي التقاه بالقرب من طرطوس سنة 1833م : " إن إبراهيم باشا يجاهر علناً بانه ينوي إحياء القومية العربية"(عمارة، 1981، ص145).

وقد شجع إبراهيم باشا التعليم عندما كان في بلاد الشام ، كما شجّع على التربية على القومية العربية، كما فتح الباب أمام البعثات التبشيرية التي ساهمت بشكل كبير في المجال التربوي والتثقيفي في المشرق العربي(الحصري، 1985، ص127) .

ومن خلال المعاناة من الهجمة الاستعمارية على العالم العربي، حيث احتلت انجلترا مصر عام 1882، وفرنسا كل من الجزائر وتونس عام 1830، ونتيجة للاضطهاد العثماني، ظهر مجموعة من المفكرين المسلمين والعرب أمثال: جمال الدين الأفغاني، إلى الكواكبي، ونجيب عازوري، ومصطفى كامل، والشيخ محمد عبده، والشيخ أحمد رشيد رضا وآخرين(سعيد عبد الرحمن، النهضة العربية، ظروف النشأة – موقف رجالاتها – أسباب السقوط ، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد 270، تموز وآب 2014 ، ص 84-88) سعوا إلى ترسيخ فكرة التحرر والوحدة وعملوا على وضع مداميك للنهضة العربية الحديثة، إلا ان ذلك كله سقط أمام:

1- ظهور جمعية الاتحاد والترقي وانقلابها على السلطان عبد الحميد الثاني عام 1908 – 1909م.

2- عدم توحد العرب، والانقسامات الداخلية، والنظام الإقطاعي، والنظام القبلي، والتنافس على الحكم.
3- الصراع مع الباشاوات من العثمانيين.
4- الجمود عند الماضي الذهبي العربي.
5- إيمان العرب" أن كل جديد بدعة غير مرغوب فيها تهب عليه من أقطار غير إسلامية"(زين، 1968، ص61).

سعى رجال عصر النهضة إلى الأخذ من كل ما هو حضاري من الغرب وحتى السياسي وترك كل ما هو متخلف في عالمنا، وهو ما ظهر من خلال دعوة الشيخ محمد عبده إلى أن تكون " السلطة للصفوة المستنيرة "(عبده، 1993، ص343).ويكون ذلك عبر تأسيس مدرسة للزعماء(محمد عمارة ، الأفغاني مفكراً ومناضلاً ، مجلة تاريخ العرب والعالم العدد 26، آذار ونيسان 2013 ، ص 59).

وجد الشيخ محمد عبده المجتمع العربي مجتمعاً متخلفاً ثقافياً وعلمياً، فاعتبر أن أفضل أنواع الاصلاح هو " التربية " لذلك دعا إلى إقامة مدرسة تخرّج المصلحين ويكون هدفهم هو غرس التهذيب في قلوب العامة، والتربية والتعليم بعيداً عن السياسة والسياسيين : " إني لأعجب لجعل نبهاء المسلمين وجرائدهم كل همهم في السياسة وإهمالهم أمر التربية الذي هو كل شيء وعليه يبنى كل شيء"(أحمد شامخ، المجددون في الاسلام ، مجلة الهلال، نوفمبر 2013 ، ص 53- 54).

فبعد ان أدهشت الحضارة العربية أوروبا في العصور الوسطى وساهمت في نهضتها، إذا بالعرب وبعد عدة قرون يُصدمون بما يشاهدونه من تطور نقلته الحملة الفرنسية معها إلى مصر عام 1798 م، فنجد الجبرتي في مشاهداته يقول : " وأفردوا مكاناً... لصناعة الحكمة والطب والكيماوي وبنوا فيه تنانير مهندمة وآلات تقاطير عجيبة الوضع وآلات تصاعيد الأرواح وتقاطير المياه وخلاصات المفردات وأملاح الأرصدة المستخرجة من الأعشاب... ومن أغرب ما رأيته..."

كما وينقل الجبرتي مشاهداته التي ادهشت الناس فخافت منها، أمام سخرية العلماء الفرنسيين : " انزعجنا منه فضحكوا منا"(الجبرتي، د.ت، ص235-236).

فبعد أن كان الأوروبيون يعجبون بالعلوم العربية ويندهشون منها ، ويتهمون البابا سلفستروس الثاني الذي تعلم في مدارس الأندلس: بالساحر والفنان الغريب، وينسجون حوله الاشاعات باتصاله بالشيطان، فقط لأنه كان يتقن بعضاً من العلوم الحديثة التي درسها عند العرب(هونكة، ص81). أصبح العرب أنفسهم ، وبعد قرون من التخلف والجهل، يعتقدون العلوم التي اكتشفوها وطورتها أوروبا سحراً يخافون منه.

ح- دور التصوف في نشر التخلف

في هكذا مناخ من التخلف والجهل ظهرت الطرق الصوفية والدروشة التي ترعرعت بين العامة في كل البلاد الاسلامية، من اليسوية إلى النقشبندية والبكتاشية(كوبريلي،2002، ص 186) والكبراوية (ديورانت، د.ت، ج13، ص 349-350) والمولوية والقادرية(الحفني، 2006، ص165) وغيرها... وقد دعت إلى إغلاق العقل وتسليم النفس الانسانية بالكامل إلى شخص يدعى شيخ الطريقة:

" فالمطلوب من المريد تجاه الشيخ هو:

1- الطاعة الظاهرة والباطنة(زيدان، 1991، ص51).
2- الجلوس مع الشيخ على بساط الأدب.
3- إطلاع الشيخ على احواله.
4- عدم اتهام الشيخ بإساءة قلبية.
5- التهيؤ الدائم لخدمة الشيخ (ص52).
6- الصدق في الصحبة لله تعالى.
7- الصبر على خشونة الشيخ (ص53).
8- أن يكون إعتقاده مقصوراً على شيخه معتقداً أنه لا يحصل مطلوبه أو مقصوده الا على يد هذا الشيخ.
9- أن يكون مستسلماً منقاداً راضياً بتصرفات الشيخ يخدمه بالمال والبدن.
10- أن يسلب اختيار نفسه بأختيار الشيخ في جميع الأمور.
11- الفرار من مكاره الشيخ ... وكراهة ما يكره الشيخ (النقشبندي، 2002، ص5).

وإلى آخره من القوانين التي فرضت على المريد والتي تلغي العقل وتمنع المشاعر والأحاسيس، ليتحول هذا المريد إلى مجرد تابع أعمى، او بالأحرى آلة يحركها

" شيخ " ولا ندري كيف يفكر هذا الشيخ.

2- واقع المؤرخ والمثقف العربي اليوم:

من خلال ما مرّ معنا، فإن واقع الفكر العربي اليوم لا يزال يعيش حالة من التبعية والتخلف في عصر العولمة . وهو ما يستتبع حالة من التهميش وهدر للإمكانات الفكرية بشكل كبير(وجدي، 2005، ص101) وإمكانيات الصمود والمواجهة أمام تحديات العولمة تحتاج إلى الإرادة أولاً، وهو ما أورده الفيلسوف محمد عابد الجابري بقوله: " ... إن إمكانيات العالم العربي وقدراته ككل، المادية والفكرية من جهة، والانفتاح مع القابلية الهائلة للتطور اللذان يطبعان الثقافة العربية من جهة أخرى، يجعلان قضية

مستقبل هذه الثقافة قضية إرادة قبل كل شيء: ارادة المثقفين أولاً وبالذات ..."(الجابري، 2006، ص41) ولكن هل تكفي الإرادة وحدها ؟ أم أن هنالك ما يرتبط بها من راحة وأمان نفسي أولاً ومادي ثانياً؟

أ- الحضارة والثقافة عند ابن خلدون وشروطهما:

يذهب العلامة المؤرخ ابن خلدون (1332 – 1406 م) إلى اعتبار أن الحضارة هي اعلى مراحل تطّور الدولة وثقافتها، وهو يقول في تعريفه للحضارة:

- " والحضارة إنما هي تفنن في الترف وإحكام الصنائع"(ابن خلدون، المقدمة، تحقيق 2001، ص216).

وأضاف التعليم إلى الصنائع وربط الصنائع وتطورها بالعلم:

- " أن التعليم للعلم من جملة الصنائع"(ص216) ، وبالتالي فإن " الصنائع لا بُدَّ لها من العلم"(ص501).

ولا يربط ابن خلدون بين الحضارة والصناعة والعلم برابط ضعيف، فجودة العلم تساهم في جودة الصناعة وتساهم بالتالي في تطور الحضارة ورقيّها:

- " على قدر جودة التعليم وملكة المعلم يكون حذق المتعلم في الصناعة وحصوله ملكته"(ص501).

ومن أمهات الصنائع عند ابن خلدون هي الكتابة:

- "... وأما الكتابة وما يتبعها من الوراقة ... مخلّدة نتائج الأفكار والعلوم في الصحف ورافعة رتب الوجود للمعاني..."(ص508-509).

ويعرّف الكتابة ومن جملة ما يورده : "... ويُطلّعُ بها على العلوم والمعارف وصحف الأولين وما كتبوه من علومهم وأخبارهم..."(ص524).

وكمال صنعة الكتابة لا يكون إلا في الفترات التي تكون فيها الدولة في خير وسكانها يعيشون بأمان وراحة: " وإنما أتى هذا من كمال الصنائع ووفورها بكثرة العمران وأنفساح الأعمال "(نفسه).

ويضيف : " وجاءت صناعة الوراقين المعاينين للإنتساخ والتصحيح والتجليد وسائر الأمور الكتبية والدواوين واختصت بالأمصار العظيمة العمران..."(ص532).

وبالتالي فإن ابن خلدون اعتبر أن إزدهار الكتابة، أي الثقافة، مرتبط بالعمران البشري عندما يكون في ترف : " وإذا ضعفت أحوال المصر وأخذ في الهرم بإنتقاض عمرانه وقلة ساكنه تناقص فيه الترف ورجعوا إلى الاقتصار على الضروري من احوالهم فتقل الصنائع ..."(ص506).

فالحضارة عند ابن خلدون مرتبطة إذاً بالتقدم المادي والفكري، وهي مرتبطة أيضاً بتطور الدولة وتطور علومها، ولا يكون ذلك إلا في حالات الراحة والأمان والبحبوحة.

كما ان الرابط بين الانسان وتطور الحضارة، هو الثقافة ومدى علو مستواها وتقدُّمها وارتقائها، ومع تراجع هذه الحضارة تنمو غيرها، وهو ما يورده مالك بن بني قائلاً: " فدورة من دورات الحضارة تولد في بعض الظروف النفسية الزمنية، ثم تنمو وتطرد، فإذا ما سبقتها الحضارة الانسانية توقفت تلك الدورة لتبدأ أخرى في ظروف جديدة...فهذا هو القانون الذي خطّ على مر السنين خلال التاريخ ... وبذلك تمتزج غاية التاريخ بغاية الانسان..."(بن نبي، د.ت، ص177-178).

نظرية مالك بن بني هذه اشبه ما تكون بنظرية إبن خلدون القائل: " في ان الدولة لها اعمار طبيعية كما للأشخاص..."(ابن خلدون، ص213).

فهل هذا يعني أن الحضارة العربية دخلت في عصر الأفول ولا رجعة إلى امجاد الماضي؟.

هكذا يظهر معنا ان المثقف هو وليد مجتمع ويتأثر بهذا المجتمع الذي يعيش فيه، وبثقافة يتفاعل معها منذ طفولته، وهو بالتالي يؤثر بهذا المجتمع من خلال إبداعاته ونشاطاته الفكرية.

فالثقافة هي عملية تراكمية، تظهر نتائجها من خلال مستوى الطبقة المثقفة في مكان ما، فإذا لاحظنا أن هذه الطبقة متخلفة ثقافياً، فهذا دليل على الانحطاط العام لمستوى الثقافة والعكس صحيح، والمجتمع الذي تتراكم فيه الانجازات الفكرية المحترمة

– كما لاحظنا من خلال إبن خلدون – هو المجتمع الذي تتوفر فيه الأجواء المساعدة على الابداع الفكري(أحمد سالم الأحمر، المثقف العربي واقعه ودوره ، مجلة دراسات عربية ، العدد 7، السنة 26 أيار 1990 ، ص 3) ، هو المجتمع الديمقراطي الذي يفتح المجال أمام الانتقاد والتغيير، نحو الأفضل طبعاً، وهو نفسه المجتمع الذي تنمو وتظهر فيه الايديولوجيات الفكرية، بغض النظر عن نوعيتها.

وإذا لاحظنا المجتمع العربي اليوم، فإننا نجد انه أسير تياران فكريان متصارعان أحدهما هو الفكر السلفي مقابل الفكر الكوني، حيث الأول الذي يرتكز على الثقافة العربية الاسلامية، يعتبر هذه الثقافة هي المطلق الصالح وحده للإنسانية جمعاء، والآخر الذي يربط هذه الثقافة بالفكر الغربي يذهب إلى تعميمه على كل انحاء العالم.

ليظهر معنا صراع أيديولوجي ثقافي وحضاري بين نحن – والآخر (محمد عابد الجابري ، حول الثقافة العربية ، مجلة المستقبل العربي، العدد 1، 1986 ، ص 148) فما هو الخيار؟

إنه صراع بين فكرين وحضارتين، والثقافة الأقوى هي التي ستفرض نفسها، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى قد ينتج عن هذا الصراع نشوء ثقافة تأخذ من كلا التيارين ، لتولد ثقافة جديدة تساهم إما في نهوض المجتمع أو في إنحطاطه، والمؤرخ هنا هو ابن هذا المكان والزمان...

ب- المؤرخ العربي بين الجمود والتغيير:

يعتبر محمد عابد الجابري إلى ان حضارة العولمة، مع ما يرافقها من تقنية عالية المستوى، لا يمكن مقارنتها مع باقي الحضارات التي مرَّت على الانسانية، فمدى توسعها وانتشارها وهيمنتها، كونها تمتلك مفاتيح التكنولوجيا ستؤدي وبشكل طبيعي إلى تفكيك الخصوصية الثقافية للشعوب وتغييرها(ص42).

وأمام هذه الهجمة من دول كبرى تمتلك قوة التقانة وتستطيع أن تسخرّها في اتجاه تحقيق هيمنتها السياسية والثقافية، يلزمنا قوة في المقابل تحمي خصوصيتنا الثقافية وتمتلك القدرات التقنية والعلمية القادرة على المواجهة.

وهذا معناه أننا: " في حاجة إلى التحديث ، أي إلى الانخراط في عصر العلم والتقانة كفاعلين مساهمين " لنؤمن الحماية الضرورية لهويتنا القومية وخصوصيتنا الثقافية"(ص43).

وهذا لا يتحقق إلا عبر:

1- الخروج من التقاليد الجامدة.

2- استيعاب كل ما هو جديد على مستوى العلم والتقانة بشكل إيجابي وفاعل(ص45).

3- إرادة المثقف بالتطوير مع الحفاظ على الخصوصية.

4- الاستقلالية بعيداً عن هيمنة السلطان وتسلطه(ص46-47) أو الاستزلام إلى طرف حكومي أو غير حكومي.

5- الابتعاد عن وهم الاستعمار الذي لا زال يلاحقنا حتى في احلامنا، ونحمّله إلى اليوم مسؤولية تخلفنا الحضاري.

مع العلم بأن الاستعمار هذا لم يستطع " تدمير الثقافة العربية، حيث أنها لا تزال حيّة إلى اليوم، لغةً وأدباً ودينا وحتى فكراً" (ص87-88).

والسؤال الذي يطرح نفسه: من يتحمّل مسؤولية هذه الثقافة ويدّعي حمايتها هل هو أهلاً لهذه المسؤولية؟.

فالثقافة العربية ، كما يقول الجابري ، ليست مجرد نقوش " أو بقايا أطلال أو مجرد رموز وعادات ورقصات وأغان وأعراف، ليست بقايا ثقافة الماضي، بل هي تمام هذه الثقافة وكليتها : إنها العقيدة والشريعة واللغة والأدب والعقل والذهنية والحنين والتطلعات ، وبعبارة أخرى إنها في آن واحد: المعرفي والأيديولوجي، وأساسهما العقلي وبطانتهما الوجدانية"(ص88).

- **<u>اين دور المؤرخ من كل ذلك؟</u>**

المؤرخ هو مثقف يتحمل مسؤولية بقاء التراث حيّاً في وجدان شعبه، وهو متهم اليوم:

يقول نقولا زيادة : " نحن نضيع بين تقليد الحجل وتقليد الجمل فلا نتقن مشية الأول ولا نحسن سير الثاني" (زيادة، 2002، ص464).

ويشرح لنا السبب قائلاً:" الجميع يتبعون شعارات حملت من الخارج دون أن يتقنوها، ويستوردون الأبطال من مجتمعات لا تمتُّ لنا بصلة، فنحار ونضطرب، بل ونضيع"(نفسه).

ويضيف : " أهل القلم عندنا في حيرة من امرهم ونحن حائرون معهم، هم مضطربون في شؤونهم، ونحن مضطربون معهم، فهناك من يقف عند القديم وسيفه مسلط على من يفكر بغير هذا الأسلوب، سواء أكان هذا القديم تراثاً حملته إلينا الأجيال فكراً ورأياً وأسلوباً، أو هو شيء لجأنا إليه للتعبير عن آراء لم تتبدل ولم تتغير خلال قرون وقرون".

أما المجموعة الثانية عند نقولا زيادة فهي: " وعندنا من يدعو إلى الحداثة والتحديث، وقد يفرط في ذلك ويلقي بكل ما ذكر قبلاً خلف الظهر، فينبذ القديم فكراً واسلوباً لأنه قديم ، وينقل آراءه من الخارج "(ص466).

إلا انه يحدد عدة نواح، ساهمت في تراجع المؤرخ ومنها التوجه نحو التراث الديني والتركيز على هذه الناحية عند مختلف المؤرخين بشكل عام، ويبرر ذلك بقوله: " أحسب أن أحد الأسباب التي أدت إلى ذلك هو أن حياتنا الفكرية توقفت في تطورها في القرن 15 هـ (11م) ، بسبب القيود التي فرضتها عليها أنظمة الحكم والآراء التي كان عملها تبرير تصرُّف الحكّام ... وبسبب التضييق الذي تعرّض له الفكر في عالم العرب عبر العصور ، أصاب نواحي النشاط العقلي كلها شيء من التوقف" (ص471)

وهذا ما ذهب إليه الفيلسوف محمد عابد الجابري عندما حصر معرفة التراث العربي والاسلامي بطرفين هما: " التقليديون " ، وهم المثقفون المتخرّجون " من جامعات ومعاهد كالأزهر، والقرويين بالمغرب، والزيتونة بتونس، و هم يعتمدون فهماً واحداً هو : فهم التراث للتراث، هذا الفهم الذي يأخذ أقوال الأقدميين كما هي سواء آرائهم الشخصية أو ما نقلوه عن غيرهم، وبالتالي يعتمدون على الاستنساخ والاستسلام" يضيف الجابري: " وهكذا تغيب الروح النقدية وتفقد النظرة التاريخية " (الجابري، 2011، ص26).

أما الطرف الآخر، عند الجابري، فهم " المستشرقون " ومن سار على منوالهم"(ص 28) ، وهذا الطرف الآخر يؤكد التبعية في فهم تاريخنا من الخارج (ص29) ، وبالتالي يحدد الجابري مراجع تاريخنا اليوم ومن يسيطر عليه على الشكل الآتي:

1- الفهم الخارجي لتاريخنا.

2- أو النقل الحرفي من الماضي من دون تمحيص وعقلانية في النقل(ص30).

ويضيف الكاتب أحمد وجدي إلى ما ورد من خلال مؤلفه : " محنة النهضة ولغز التاريخ " : الانطلاق في دراسة التاريخ من الحدث ومن السياسي ومن الزعماتي فقط (وجدي، 2005، ص177).

ويشرح لنا الكاتب محمد الظاهر المنصوري في مقدمة كتاب جاك لوغوف " التاريخ الجديد" ، محنة الكتابة التاريخية في العالم العربي والاسلامي، معتبراً أن أغلب المؤرخين العرب من مغاربة ومشارقة تجنبوا " الخوض في بعض المواضيع التي تبدو حسّاسة، وانتشرت النظرة التقديسية للماضي، مما ادى إلى تحنيطه وجعله غير قابل في بعض الأحيان إلى الانفتاح على المناهج الجديدة".

ويضيف قائلاً:" لماذا ما زلنا نتذكر عصر هارون الرشيد ولماذا لا نتذكر الا صلاح الدين أو غيره ؟ لا لشيء إلا لأنهم مقدسين في تاريخنا ... ونتغافل عن الفترات الحالكة في تاريخنا، ولا نحاول فهمها من الداخل، بل ما زلنا نُحمّل مسؤولية ضعفنا التاريخي ووضعنا الراهن للأجنبي... الامبريالية ... الاستعمار .... الهيمنة ..." ، ويؤكد قائلاً: " صحيح هي مسائل مؤثرة ولكنها لا تبرر حالة الضعف التي هيمنت على عالمنا العربي والاسلامي ولا يزال"(المنصوري، 2007، ص21-23).

ويظهر المنصوري بعض اسباب ضعف الكتابة التاريخية عندنا وهي:

1- غياب النقد العلمي.
2- غياب المجلات التي تراجع الكتابات او تسمح بالمراجعات الجريئة.
3- أو تجاهل المؤرخ العربي لمؤرخ عربي آخر.
4- غياب الحريات في العالم العربي وهذا مما يساعد على الانكفاء والانكماش...
5- تحول بعض المؤرخين إلى كتّاب تاريخ رسمي، يكتبون بهدف كسب رضا السلطان.
6- تفسير التاريخ العربي الاسلامي تفسيراً دينياً، " وقراءتنا هذا التاريخ ليست قراءة تاريخية، وإنما هي قراءة إسلامية بحتة... وهذا يعني أننا ما زلنا لا ننظر إلى التاريخ على أساس العلم، وإنما على أساس العاطفة"(ص23-24).
7- كما ان الكتابة التاريخية في العالم العربي لا تزال تعاني من نقص الجرأة والنقد والابتكار، حيث تكرر المواضيع بعضها إلى مستوى الانتحال الموصوف.(ص 27)

ومن المفيد التوقف عند المفكر محمد أركون الذي وصف الفكر العربي – الاسلامي بقوله : " ما زالت هذه المجتمعات تقدم، حتى في أيامنا، جلّ السمات المميزة للمجتمعات الغابرة : زمنية دائرية، أنتظار مهدوي، آمال ألفية، محظورات تحمل على أعتبار كل جديد دنساً، ضيق الاطر الاجتماعية، الظاهر الكيفي للدراسات الاقتصادية، ولإدراك العلم، ولسيادة التخيل، والأسطورة، والرواية الشفهية، ورجحان الجماعة على الفرد."(اركون، 1985، ص54)

فكيف يستطيع بالتالي مؤرخنا العربي من ان يواجه عصر العولمة الذي يتميز بسرعة انتشار المعلومة، وقدرة الاعلام وتأثيره، وتحكم الغرب بالتكنولوجيا المتطورة، وقدرة المؤرخ والباحث الغربي على خوض غمار البحث التاريخي مدعوماً بما يلزم من قدرات مالية وتكنولوجية، وحريات واستقرار أمني وسياسي وأكثر من ذلك الاستقرار النفسي...

ت- دور الجامعات والمدارس

من ناحية أخرى، ما هو الدور الذي تؤديه المدارس والجامعات في تعليم مادة التاريخ؟

لو القينا نظرة على المنهاج التعليمي لمادة التاريخ في لبنان، في مراحل التعليم الأساسي من الرابع الأساسي إلى المرحلة الثانوية الثالثة ، لوجدنا أنه منهاج قديم لم يتم تطويره أو تعديله منذ عشرات السنين، وهو تلقيني بامتياز.

وإذا لاحظنا التلميذ اللبناني في عصر العولمة، لوجدناه مرتبطاً بجهازه الخليوي الذي يصله بالعالم، ويحمل فكراً وثقافة أميركية متحررة، وللاحظناه في حصص التاريخ، بشكل عام: مشاغباً، وفوضوياً ، لا يدرس ، أو يتذمر من النصوص الكبيرة المطلوب حفظها.

هنا يأتي دور الأهل الذين يطلبون من ولدهم التركيز على المواد العلمية ذات العلامات العالية، ويستخفّون أمام أولادهم من مادة التاريخ... حتى أن مدرّسي المواد العلمية عندما تتراجع علامات بعض تلامذتهم يعاتبونهم قائلين: وهل تريديون أن تتخرجوا من الجامعة بتخصص في التاريخ!!.

ولكتاب التاريخ في المدارس اللبنانية قصة أخرى، فهو :

1- ليس تاريخ لبنان كل لبنان.

2- تاريخ السلطان والحكم.

يضاف الى ما ورد أن تاريخ لبنان الحديث توقف وانتهى عند العام 1946، وهو تاريخ الجلاء العسكري عن لبنان من قبل فرنسا وبريطانيا.

كما أن آخر رئيس للجمهورية اللبنانية هو بشارة الخوري، وليس ميشال عون.

ففي كتاب التاريخ توقف منصب رئيس الجمهورية منذ العام 1946 وليس منذ 31 تشرين الثاني 2022 فلقد استبقنا الأحداث!!.

وإذا عدنا إلى السؤال من يعلم مادة التاريخ في مدارس لبنان؟

في التعليم الخاص قد يكون الناظر، أو مدرّسة الفنون، أو معلمة واحدة لمواد التاريخ والجغرافيا والتربية والفلسفة و ... مع وجود مدارس تكلف مدرساً مختصاً.

إلا أن مدرّس التاريخ نفسه، ماذا يفعل غير التلقين أين هي إبداعاته في نقل طرائق التعليم من " الجلاّدة " إلى عصر العولمة ؟.

أما في **الجامعة اللبنانية**، فمع وجود نخبة من أساتذة التاريخ، إلا أن قسم التاريخ بحاجة إلى تطوير من عدة نواح:

1- إدخال التكنولوجيا في التعليم.
2- التكثيف من النشاطات اللاصفية.
3- وضع المسابقات التاريخية المتطورة في الأسلوب والمنهج.
4- جعل علامة على البحث القيّم المشغول بدقة ومنهجية وليس المسحوب عن طريق شبكة الأنترنت.
5- إلزامية حضور الطالب عدد من الساعات التطبيقية ، اسبوعياً.
6- تطوير المادة وجعلها أكثر حياة وحيوية، بدلاً من النصوص الجامدة المطلوب صبّها في الكرّاس أثناء الامتحانات، وبالتالي فتح المجال أمام التحليل وإبداء الرأي الذي عليه العلامة الأعلى...

ث- الدين الاسلامي والحث على قراءة التاريخ:

حثَّ الدين الاسلامي على الاعتبار من الماضين، وهي دعوة لقراءة تاريخ الأمم السابقة والتعلم من اخطائهم والاعتبار منها، كي لا يتكرر نفس الخطأ، وقد ورد في القرآن الكريم قوله تعالى:

بسم الله الرحمن الرحيم: " فأقصص القصص لعلّهم يتفكرون"(الاعراف 176).

-" لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب " (يوسف 111).

- " ولقد أنزلنا إليكم آيات مبيناتٍ ومثلاً من الذين خلوا من قبلكم وموعظةً للمتقين " (النور 344).

- " نحنُ نقص عليك أحسن القصص بما اوحينا إليك هذا القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين"(يوسف 3).

وفي تفسير الآية الكريمة : فأقصص القصص لعلّهم يتفكرون" ، يقول الطبري: " فإنه يقول لنبيه محمد(ص): فأقصص، يا محمد، هذا القصص ، الذي اقتصصته عليك من نبأ الذي آتيناه آياتنا، واخبار الأمم التي أخبرتك أخبارهم في هذه السورة، نبأهم ونبأ اشباههم، وما حلّ بهم من عقوبتنا، ونزل بهم حين كذّبوا رسلنا من نقمتنا على قومك من قريش، ومن قبلك من يهود بني إسرائيل، ليتفكروا في ذلك، فيعتبروا وينيبوا إلى طاعتنا"(الطبري، د.ت، ج3 سورة الاعراف).

إن معرفة التاريخ وأخذ العبرة منه من خلال الاطلاع على تجارب الماضين لتحاشي الوقوع فيها من جديد، والاستفادة من الايجابيات والسلبيات التي وقعت، حثَّ عليها القرآن الكريم من خلال الآيات التي اطلعنا عليها، وبالتالي حثّ القرآن الكريم على تحصيل هذه المعرفة، وهو واجب ، فهي :

1- عبرة لأولي الألباب.

2- موعظة للمتقين.

3- ليتفكروا.

وتأكيداً على أهمية تدَّبُر أحوال الماضين، ورد في الحديث عن الامام علي بن أبي طالب قوله :

" تدَّبروا أحوال الماضين من المؤمنين قبلكم، كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء ... فانظروا كيف كانوا حيث كانت الأملاء مجتمعة، والأهواء مؤتلفة ... فانظروا إلى ما صاروا إليه في آخر أمورهم، حين وقعت الفُرقة، وتشتت ألأُلفة، واختلفت الكلمة، والأفئدة وتشعبوا مختلفين، وتفرقوا متحاربين، قد خلع الله عنهم لباس كرامته، وسلبهم غضارة نعمته، وبقي قصص أخبارهم فيكم عِبَراً للمعتبرين... فاعتبروا بحال ولد اسماعيل، وبني إسحق، وبني إسرائيل، عليهم السلام... تأملوا أمرهم في حال تشتتهم وتفرقهم ليالي كانت الأكاسرة والقياصرة أرباباً لهم..."(عبده، 1993، ص406-408).

ج- إرادة التغيير والحل:

أمام كل ما مرّ معنا من محن واحتلالات وحروب وأخيراً عولمة، على المؤرخ العربي أن ينهض من كبوته ليجاري سرعة العصر، و لا بُدّ له من أن يراعي النقاط الآتية:

1- الإبداع في مستوى الأفكار والمواضيع والأسلوب(لوغوف، 2007ص11).

2- الاهتمام بالشرائح الاجتماعية التي غيبها التاريخ، وهم الفقراء وعامة الناس(ص13).

3- إعادة إحياء شخصيات لعبت دوراً في التاريخ، وغيبت من قبل السلطان ومؤرخيه، وبالتالي إعادة رفعهم من غياهب التاريخ إلى المستوى الراقي الذي كانوا فيه فكرياً أو سياسياً، أو عسكرياً، أو اجتماعياً.

4- ربط الحدث التاريخي المزمع دراسته بالحاضر والمستقبل، وأخذ العبرة منه كي يشعر القارئ باللذة في الاطلاع عليه والاستفادة من أحداثه.

5- دراسة الحدث التاريخي من كل جوانبه، مثلاً: لا تكون دراسة لواقعة تاريخية عسكرية مثلاً، دون دراسة نتائجها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية...الخ.

6- أن يلجأ المؤرخ إلى باقي العلوم لفهم أو لتفسير حدث تاريخي، أو دراسة شخصية تاريخية، على سبيل المثال إذا أردت أن أكتب موقف أحد الفلاسفة أو سيرتهم، لا بُدَّ من أن اقرأ كل كتاباته واطلع على مواقفه من خلال عصره.

وهذا يشمل أيضاً إمكانية أن نوسع نطاق التاريخ ليشمل باقي العلوم (تاريخ الطب وتطوره ، تاريخ علم الفلك، تاريخ العلوم الكيمياء، تاريخ الفقراء ...الخ)(ص14).

7- على المؤرخ أن يعيش العصر الذي يؤرخه مادةً وروحاً، حتى يفهم الأسباب والنتائج، وإلا تكون دراسته مجرد سرد تاريخي.

8- على المؤرخ أن يتطور مع تطور التكنولوجيا في عصر العولمة ، فيستفيد من الشبكة العنكبوتية في دراساته وابحاثه، كما والاستعانة بوسائل الاعلام كالسينما أو التلفاز، فكم هي ناجحة المسلسلات التاريخية أو الأفلام التاريخية التي عرضت مؤخراً وحققت نجاحات كبيرة.

9- ويمكن للمؤرخ أن يتوسع في دراساته، فيكون هناك تاريخ للأسرة ، وتاريخ لتربية الأبناء، وتاريخ للعلاقات الزوجية، وتاريخ للحب ... كم أن هذا التاريخ سيجذب القراء...

10- ويتوسع المؤرخ ليصل حتى إلى لاعبي كرة القدم وباقي الألعاب الرياضية تاريخ لعبة كرة القدم، وتاريخ أبطال كرة القدم، كما وتاريخ الكومبيوتر، وتاريخ السينما... الخ.

11- وأيضاً يستطيع المؤرخ أن يصل إلى المؤمنين من كافة الأديان والطوائف، في تاريخ الصلاة والعبادات الأخرى والصوم والدُّعاء.

12- وأن يكون هناك تاريخ للفكر، كيف تطور فكر البشرية وأهم إبداعاته، وهذا لن يكون محصوراً في عصر واحد فله امتداداته التي لا نهاية لها.

بهذه الطريقة يقتحم المؤرخ كافة الاختصاصات والعلوم، ويكون في داخل كل المجتمعات ويتفاعل مع حركة الناس وتفكيرهم وميولهم، فيدرسها ويحلِّلها ليتحول بالتالي إلى باحث تاريخي – اجتماعي ، او تاريخي – فلسفي ، أو تاريخي – علمي ، أو تاريخي – أدبي ...

عندها ستصبح مادة التاريخ مادة حيوية لها عدة أبواب، من الملزم على كل إنسان أن يفتح أحد هذه الأبواب ليفهم أو ليستبين حقيقة ما، وليأخذ العبرة والحذر من باب آخر.

وهذا كله يتوقف عند:

تأمين قوت المؤرخ وعيشه بكرامة، فالجائع أو الذي يسعى إلى لملمة الساعات في الجامعة من هنا وهناك كي يكسب بعد عامين مبلغاً من المال يقيه مؤونة سنته، ويتعرض للكّش هنا والصفع من هناك والطعن من هنالك في كل عام، كونه أستاذاً متعاقداً بالساعة، إنّ هذا المؤرخ لن يجد الطمأنينة النفسية كي يبدع، فهو يفكر فقط كيف وبأي طريقة يتفرغ في الجامعة، وإلى من يلجأ ليمنحه عطف ونعمة التفرغ ... فهذا الانسان كيف يمكن أن يُبدع في وطن مثقفيه إما في المهجر أو في سوق للعبيد؟!

المصادر والمراجع

المصادر العربية

– ابن تغري بردي ، حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور ، تحقيق محمد كمال عز الدين ، بيروت : عالم الكتب ، ط1، 1990،

– ابن خلدون، المقدمة ، بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر، ط1، 2001 ،

– الجبرتي ، تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، بيروت: دار الجيل ، د.ت ،

– الطبري ، تفسير الطبري، القاهرة: دار المعارف

مراجع عربية

– أحمد سالم الأحمر، المثقف العربي واقعه ودوره ، مجلة دراسات عربية ، العدد 7، السنة 26 أيار 1990

– أحمد شامخ، المجددون في الاسلام ، مجلة الهلال، نوفمبر 2013 ،

– أحمد وجدي ، محنة النهضة ولغز التاريخ ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2005 ،

– اسحق عبيد، البعد التاريخي لأزمة الفكر العربي المعاصر ، المجلة العربية للعلوم الانسانية ، العدد 52، السنة 13 ، 1995،

– بشير الزهدي ، طريق الحرير وتدمر مدينة القوافل ، الحوليات الأثرية العربية السورية، ندوة دولية حول تدمر على طريق الحرير، المجلد 42، 1996 ،

– حسان الحلاق، العلاقات الحضارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى ، بيروت : دار النهضة العربية ، ط2، 2012 ،

– زين نور الدين زين، نشوء القومية العربية، بيروت: دار النهار ، 1968 ،

– ساطع الحصري، محاضرات في نشوء القومية ، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 1985،

– سامي أدهم ، العولمة والحقيقة كائنات النص الأعظم ، بيروت: المركز الاستشاري للدراسات والتوثيق ، العدد 12 ، ت2، 1999،

– سعيد عبد الرحمن، الانتشار الفينيقي ، بيروت : دار العودة ، ط1، 2015 ،

– سعيد عبد الرحمن وطارق شمس، العولمة بين التاريخ والجغرافيا ، بيروت : دار العودة ، ط1، 2015 ،

– سعيد عبد الرحمن، النهضة العربية، ظروف النشأة – موقف رجالاتها – أسباب السقوط ، مجلة تاريخ العرب والعالم، العدد 270، تموز وآب 2014

– عبد المنعم الحفني ، الموسوعة الصوفية، القاهرة: مكتبة مدبولي، ط5، 2006،

– عبده قاسم عبده ، عصر سلاطين المماليك ، التاريخ السياسي والاجتماعي ، القاهرة: عين للدراسات ، ط1، 1998 ،
– عزبي محمد، تحديات العولمة وآثارها على العالم العربي، مجلة اقتصاديات شمال افريقيا ، العدد 6 ، (الجزائر).
– لطفي عبد الوهاب يحي ، دراسات في العصر الهلنستي ، بيروت: دار النهضة العربية ، د.ت
– مالك بن نبي ، وجهة العالم الاسلامي، بيروت: دار الفكر ، ط2،
– محمد أركون ، الفكر العربي، ترجمة عادل عوا، بيروت: 1985
– محمد عابد الجابري ، التراث والحداثة ، دراسات ومناقشات ، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية ، ط4، 2011،
– محمد عابد الجابري ، حول الثقافة العربية ، مجلة المستقبل العربي، العدد 1، 1986 ،
– محمد عابد الجابري، المسألة الثقافية في الوطن العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية ، ط3، 2006 ،
– محمد عبدالله الخالدي النقشبندي، البهجة السنية في آداب الطريقة العلية الخالدية النقشبندية ، طبعة بالأوفست ، استانبول ، مكتبة الحقيقة ، 2002،
– محمد عبده ، الأعمال الكاملة ، القاهرة : دار الشروق ، ط1، 1993 ،
– الشيخ محمد عبده ، نهج البلاغة، الخطبة 192، بيروت : مؤسسة الأعلمي، ط1، 1993 ،
– محمد عمارة، العروبة في العصر الحديث ، مصر : دار الوحدة ، ط3، 1981،
– محمد عمارة ، الأفغاني مفكراً ومناضلاً ، مجلة تاريخ العرب والعالم العدد 26، آذار ونيسان 2013 ،
– محمد الطاهر المنصوري، مقدمة كتاب جاك لوغوف، التاريخ الجديد، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، 2007،
– نقولا زيادة، دراسات في التاريخ ، بيروت : الأهلية للنشر والتوزيع ، 2002 ،
– يوسف زيدان، الطريق الصوفي وفروع القادرية ، بيروت: دار الجيل، ط1، 1991،
– يوسف عيد ، الفنون الأندلسية وأثرها في اوروبا القروسطية، بيروت : دار الفكر اللبناني ، ط1، 1993 ،

مراجع مترجمة

- جاك لوغوف، التاريخ الجديد، ترجمة محمد المنصوري، بيروت : مركز دراسات الوحدة العربية،ط1، 2007.

- زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، بيروت: دار صادر ، د.ت،

- سبنسر ترمنجهام ، الطرق الصوفية في الاسلام ، بيروت: دار النهضة العربية ، ط1، 1997
- فؤاد كوبريلي ، المتصوفة الأولون في الأدب التركي ، القاهرة : المجلس الأعلى للثقافة ، ط1، 2002 ،
- وروريك موراي، جغرافيات العولمة، ترجمة سعيد نتاف ، مجلة عالم المعرفة، العدد 39
- ول ديورانت ، قصة الحضارة ، بيروت: دار الفكر ، د.ت

صحف

- جريدة السفير، 1997/4/30

د. عدنان نجيب الدين

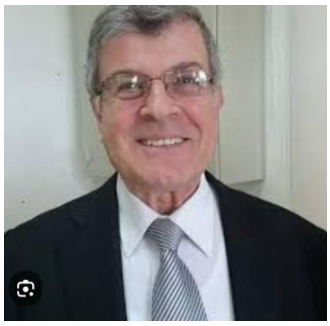

la paix : justice et liberté

Quand la vie te fait mal
Tu n'as que t'adapter
Fait du mal un régal
Essaie de le gouter

La douleur te renforce
Mais pleurer t'affaiblit
Ne crains pas la souffrance
Bientôt tu t'établit

Le chemin de la vie
Est rempli des épines
Ne sois pas asservie
Par new York ou Berline

Dans ce monde si cruel
La clémence est perdue
Tout le mal actuel
Rend la paix suspendue

La paix dont nous rêvons
Établit la justice
Dans laquelle nous trouvons
Fin de guerre destructrice

Nous chantons Liberté
Pour les peuples opprimés
Justice et charité
Pour les hommes réprimés

السلام: العدالة والحرية

عندما تؤلمك الحياة

عليك أن تتكيف

وان تصنع من الألم علاجا

فحاول تذوقه

الألم يقويك

لكن البكاء يضعفك

لا تخف من المعاناة

فسرعان ما تستعيد قواك

طريق الحياة

مليئة بالأشواك

فلا تكن عبدا

لا لدى نيويورك ولا لدى برلين

في هذا العالم القاسي

ضاعت الرحمة

كل الشر الحالي

يجعل السلام معلقا

السلام الذي نحلم به

هو ذاك الذي يقيم العدالة

وينهي الحروب المدمرة

نحن نهتف للحرية

كما للشعوب المضطهدة

نهتف للعدل والإحسان

وللبشر المقهورين

د. أمين صالح

العبور الى الدولة الديمقراطية

تعتبر الدولة من الوجهة القانونية التشخيص القانوني للأمة ، فهي عبارة عن الشخص المعنوي الذي يرمز الى مجموع الشعب المستقر على إقليم معين وهو يتمتع بسلطة سياسية ذات سيادة . أما من الوجهة الإجتماعية السياسية فيمكن تعريف الدولة بأنها عبارة عن سلطة فعالة محمية ومنظمة تهدف الى حماية أمنها من الأخطار الخارجية ، والى ضمان سلامة مواطنيها والى الحفاظ على المصلحة العامة لشعبها .

إن الدولة الحديثة هي دولة حقوقية تخضع تصرفات الحكومة فيها لقواعد ثابتة وأكيدة ، فهي من خلال الحكام يجب أن تعطي المثل في الخضوع الى أحكام القانون الذي يجب أن يهدف الى خدمة المصلحة العامة ، ويترتب على خضوع الدولة للقانون بأن يكون الحكام في خدمة الشعب وإستمرارية إلتزامات الدولة تجاه مواطنيها.

إن المفهوم الإجتماعي للدولة يتطلب :

- القوة والإكراه ، فلا دولة بدون قوة رادعة قادرة على فرض إحترام القانون في المجتمع .
- سلطة سيدة قادرة على تنظيم نفسها بدون تدخل خارجي .
- سلطة شرعية ، إن السلطة في الدولة الديمقراطية يجب أن تنبثق من الشعب بوسائل ديمقراطية أهمها الإنتخاب .

أما لجهة المفهوم الفلسفي لمصطلح الدولة ، فإن كل مفكر يعطي الدولة تعريفاً خاصاً به :

الفيلسوف الألماني هيجل يرى في الدولة تعبيراً عن الإرادة الإلهية وعن تطور الحضارة الإنسانية ، فهي أرقى وأسمى أشكال الإجتماع الإنساني ، وغايتها هي خدمة مصلحة الفرد والجماعة عن طريق التوفيق بينهما .

بينما يعتبر ماركس وغيره من المفكرين الماركسيين الدولة بناء طبقي فوقي يهدف الى ضمان مصالح الطبقة المالكة لأدوات الإنتاج ، فالدولة طبقية سواء أكانت في مجتمع رأسمالي أم في مجتمع إشتراكي ، فهي في المجتمع الرأسمالي وسيلة للدفاع عن مصالح الطبقة البرجوازية بينما هي في المجتمع الإشتراكي أداة لحماية مصالح البروليتاريا .

أما توماس هل جرين فيرى أن " الإرادة وليس القوة أساس الدولة " ، فالقوة وإن كانت السمة الأساسية للدولة لا يمكن أن تشكل الركيزة الوحيدة للدولة ، فالمواطن يطيع الدولة عن إرادة وقناعة باعتبار أنها تخدم مصلحته الخاصة من خلال المصلحة العامة . ذلك أن ظهور الدولة الحديثة إرتبط بالإعتراف النظري بضرورة وجود سلطة عليا تحوز ولاء المواطنين الناتج عن اقتناعهم بضرورة إعطاء الأولوية لمصالح الدولة التي تمثل الخير الإجتماعي الأعلى .

إن ظهور الدولة الحديثة كان نتيجة لتبلور وحدات سياسية دائمة وثابتة ومستقرة في إطار حدود جغرافية ، وتطور مؤسسات دائمة وغير شخصية والإقتناع الجماعي بضرورة وجود سلطة عليا وعلى نزعة الولاء لهذه السلطة ".

يرى المفكر جون لوك " أن المجتمع لم يقم على أساس القوة والإكراه ، إنما على أساس الإختيار والرضى المتبادل بين الأفراد ، وإن الغاية من ذلك الإجتماع المدني هي المحافظة المتبادلة على "الملكية" بمعنى حق الحياة والحرية والتملك . وينطلق لوك من نظرة تفاؤلية للإنسان الذي كان يعيش حياة سعيدة في ظل قانون طبيعي مستوحى من العقل البشري والإلهام الإلهي ، ولكنها حياة مشوبة بالمشاكل والمخاطر ، ولذلك شعر بضرورة الدخول مع الآخرين في عقد يقيم المجتمع ويتنازل فيه عن بعض مزايا الحياة الطبيعية لقاء ما يعود عليه من نفع مضمون أشمل وأعم في المحافظة على السلام والأمن الداخلي والخارجي وفي حماية حقه في

الحرية والتنقل والتملك وخاصة حقه في الحياة". لذلك حرص جون لوك على أن يحدد بدقة المعالم الجوهرية للحكومة الشرعية ، فإذا ما فقدت شرعيتها نتيجة تغليبها المصالح الخاصة أو إهدار سيادة القانون أو طغيانها أو إعتدائها على ممتلكات المواطنين جاز للأفراد أن يتحرروا من الإلتزام بطاعتها وأن يثوروا عليها . فالهيئة التشريعية، وهي السلطة العليا بما لها حق التشريع إنما تعمل داخل حدود لا تتجاوزها ، كما أن للسلطة التنفيذية حدودها المرسومة التي إن هي تجاوزتها فقدت شرعيتها .

ويطرح جان جاك روسو " في العقد الإجتماعي " المشكلة بأنها " مشكلة إيجاد شكل من الإجتماع يدافع بما له من قوة عامة عن شخص كل عضو في هذا الإجتماع وما يملك ويحميها ، وأن يظل كل فرد فيه أثناء اتحاده مع الجميع مطيعاً لنفسه وحده وأن يبقى حراً كما كان من قبل ".

الحل عند روسو هو في تنازل كل فرد عن حقوقه للمجتمع كله التي هي الإرادة العامة ، فهي صاحبة السيادة وهي عبارة عن مجموع إرادة الأفراد ، لأن الجميع سيشاركون وبصورة مباشرة في تقرير المصلحة العامة للمجتمع كله . وإنطلاقاً من ذلك ، يطرح روسو مفهومه للحكم الديمقراطي المباشر القائم على سيادة الشعب الممثل بالإرادة العامة ، ولذلك يرفض روسو وجود سلطات تشريعية وتنفيذية مستقلة عن سلطة الشعب . فالشعب هو الذي يشرع ، والحكومة هي مجرد جهاز تنفيذي ينفذ إرادة الشعب . إن الدولة هي الشكل الأسمى للإجتماع السياسي ، وقد عرفت الشعوب قبل ظهور الدولة الحديثة عدة أشكال من الإجتماع أولها العائلة وآخرها الأمبراطورية مروراً بالقبيلة والعشيرة والمدينة والإمارة . إلا أنه مع التطور التاريخي اكتشف الإنسان الحاجة الى الإستقرار الإجتماعي فكانت العائلة ، ثم تبين له أهمية توسيع هذا الكيان الإجتماعي نظراً لما يوفر ذلك من إمكانيات ، فبالعيش المشترك بين مجموعة من الأفراد يربطهم ولاء مشترك تتحقق القدرة على تأمين الحاجات الأساسية للإنسان .

وإنطلاقاً من التعريف القانوني التقليدي للدولة بأنها " الشخص القانوني للأمة السيدة " ، يمكن القول أن وجود الدولة مرتبط بوجود عناصر ثلاثة مجتمعة : الإقليم ، السكان والسلطة السياسية السيدة .

فلا وجود للدولة بدون وجود الإقليم ويوجب ذلك ضرورة تحديد حدود الدولة ، كما أن وجود الشعب هو عنصر ضروري لوجود الدولة كمجتمع سياسي منظم ،

أما السلطة السيدة فهي عنصر ضروري لوجود الدولة ، فلا بد من وجود سلطة أي وجود حكام لديهم القدرة الدائمة على الأمر ، وعلى فرض الخضوع والطاعة على المواطنين . تعتبر سيدة السلطة التي لا تخضع لأي سلطة أخرى على صعيد النظام الداخلي والدولي . فالدولة وحدها لها حق الأمر وفرض الطاعة .

إن مفهوم السيادة في دولة القانون لا يعني السلطة المطلقة ، فالدولة الديمقراطية لا يمكن أن تتجاهل كلياً رغبات وقرارات السلطات الخاضعة لها (العائلة ، المجموعات المحلية ، التجمعات الحزبية والمهنية) كما أنها لا يمكن أن تتهرب من متطلبات العلاقات والقانون الدولي. ومن هنا نشأ مفهوم نسبية السيادة ، ولكن بالرغم من ذلك تبقى السيادة ملازمة للدولة، فهي وحدها تملك الصلاحيات الأساسية ووسائل العمل الملائمة على الإقليم الوطني، وتبقى السيادة الضامن لحد أدنى من النظام في المجتمع فسلطة الأمر ملازمة لوجود الدولة أياً كان النظام السياسي .

إن الحياة في المجتمع تخلق الحاجة الى النظام أي الى السلطة غير أن الحاجة الأساسية للسلطة لا تبرر لوحدها سلطة وقوة الحكام ، فالسلطة لكي تكون دائمة ومستقرة يجب أن تكون مقبولة من قبل المحكومين . فالإكراه لا يمكن أن يشكل لوحده قاعدة سليمة للحكم ، فلا بد من ثقة وقناعة المحكومين ، إذ تتعدد أشكال الإقناع وأهمها الإنتخاب والإستفتاء .

إن الحكم الذي لا يرتكز إلا على القوة والإكراه ولا يعتمد على تأييد الشعب أو على الأقل أكثريته ، يفتقد الشرعية اللازمة لإستمراره واستقراره ، والثورة هي حدث سياسي إجتماعي يعبر بشكل عنيف عن رفض سلطة الحكام ، الثورة هي احتجاج شعبي ضد لا شرعية الحكم القائم ، إن سيادة الدولة تقوى بقوة شرعية الحكم .

يجب أن يتوفر في شرعية الحكم عاملين على الأقل : الأول هو قانونيته أي وصول الحاكم الى السلطة بالطرق الدستورية ، والثاني الإستخدام الجيد للسلطة أي ممارسة الحكم في سبيل الصالح العام . إن الشرعية الأكثر إنتشاراً اليوم هي الشرعية الديمقراطية التي تعتبر السلطة شرعية بمجرد إنبثاقها عن الإختيار الشعبي الحر بواسطة الإنتخاب والشرعية اليوم في النظم الديمقراطية تعتبر الشرط الأساسي لديمقراطية السلطة .

إن الدولة الحديثة ترتكز على قيام مؤسسات سياسية غير شخصية ودائمة نسبياً مستقرة وثابتة فوق أرض محددة لها مكانة وسلطة وتتمتع بسيادة . وتتمتع بالشرعية القائمة على قانونية الحكم ، أي وصول الحاكم الى السلطة بالطرق الدستورية وبالإستخدام الجيد للسلطة أي ممارسة الحكم في سبيل الصالح العام .

إن الحياة الإجتماعية تفترض بطبيعتها وجود حكام ومحكومين كما تفترض ضرورة الخضوع لأوامر الحكم طالما كانت شرعية وقانونية . بالمقابل فإن سلطات الدولة لا يمكن أن تكون مطلقة ، فالدولة الديمقراطية هي دولة ذات صلاحيات لا يجوز لها تجاوزها وإلا تحولت الى دولة شمولية . فالدولة تعترف بوجود مجالات لا يحق لها التدخل فيها خاصة مجال الحريات الفردية والجماعية ، فواجب الدولة حماية المواطنين في ممارسة حرياتهم دون أن يكون لها الحق في حرمانهم منها . وعليها كذلك واجب الأخذ بعين الإعتبار وجود قوى إجتماعية ، سياسية ، خارج الدولة (العائلة ، الشركات التجارية ، الأحزاب ، النقابات ، الجمعيات ...) وغيرها من هيئات المجتمع المدني ، وهذه المنظمات وإن كانت نشاطاتها موجهة في بعض الأحيان ضد الدولة (ضد السلطة) فإن وجودها ضروري لوجود الديمقراطية ، فالدولة لا تكون ديمقراطية ما لم تتمكن المعارضة من التعبير عن رأيها بكل حرية . ويعتبر حق المعارضة من الحقوق الأساسية في الدول اليمقراطية ، وتلعب الأحزاب السياسية المعارضة الدور الأساسي في دفع التشكيلات الإجتماعية الى إتخاذ مواقف معارضة للدولة بهدف الضغط على السلطة .

إن لبنان الذي يمر في أزمة سياسية وإقتصادية ومالية ونقدية غير مسبوقة في تاريخه ، والتي تتزامن مع ظروف سياسية وأمنية وعسكرية بالغة التوتر تسود المنطقة العربية ومنطقة الشرق الأوسط ، قد تشكل مفصلاً تاريخياً هاماً في حياة المنطقة السياسية ومنها لبنان بما يراد لها من أهداف استراتيجية تتركز حول إستقلالية القرار الوطني والتحرير والعلاقة مع الدول الشقيقة والصديقة والعدوة ، ويتطلب ذلك خيارات وطنية وقومية كبرى بحاجة الى التوافق والإجماع الوطني. وأولى هذه الخيارات خيار بناء الدولة المدنية ، القوية ، القادرة والعادلة . فهل نستطيع كأفراد وجماعات وقوى سياسية وإقتصادية وإجتماعية التوافق على هذا الخيار الذي لا بديل عنه إلا الإستمرار في حالة الإنهيار على كافة المستويات .

الدكتور أسامة الإرناؤوط

الشبكة المدرسية: تطلّع جديد لتطوير عمل المؤسسات التعليمية.

المقدمة

أهم مقاييس تقدّم الأمم والشعوب، هو مدى تقدّم التعليم في مجتمعاتها ، والحقيقة أن التعليم في معظم الوطن العربي يعاني إما في إمكاناته، أو سياساته، أو مناهجه، وربما في كل هذه العناصر مجتمعة.

ورغم هذا، فصورة تعليمنا ليست بالسوء الذي يؤدي إلى الظلام ، فهناك طرق وأساليب يمكن إتباعها تمثل بصيص أمل للنهوض بالتعليم ، وأولى هذه الطرق تتمثل في التعرّف على عناصر التعليم لوضع أيدينا عليها، وتحديدها للعمل على الإرتقاء والنهوض بها، وبالتالي النهوض بالمنظومة التعليمية بأكملها. لذلك كانت الشبكات المدرسية التي وضعت اليد على الجرح، وتسعى لمعالجته وإيجاد الحلول أينما وجدت تعثّراً.

وبما أن عناصر العملية التعليمية تركّز على:

- المتعلم (التلميذ) منذ دخول المدرسة حتى المرحلة الثانوية، أو (الطالب) من المرحلة الثانوية إلى آخر المرحلة الجامعية.
- المعلم (الأستاذ الجامعي أو باقي معلمي التعليم العام والخاص).
- المناهج التعليمية.
- العوامل المؤثرة في العملية التعليمية.

وكل ركن من أركان العملية التعليمية الأربعة هذه لابد من تشريحه وبيان أهميته، حتى نتمكن بالتالي الوصول إلى ما يجب أن يكون مثالياً.

أولا : المتعلم : هو الركيزة الأساسية للعملية التعليمية، وهو العنصر الذي وُجدت من أجله هذه العملية ، فهو رأس المال البشري الذي إذا صلح، صلح المجتمع كله، وصلاحه قائم على صلاح باقي عناصر العملية التعليمية الأخرى وهو مرتبط بها وبصلاحها.

ثانيا : المعلم : إذا تمّ الإهتمام به مادياً ونفسياً وفكرياً وعلمياً، وقبل ذلك اختياره على أسس علمية صحيحة للمكان الذي سيعمل فيه، فإنه بذلك يمكن الوصول لمخرجات تعليمية سليمة.

ثالثا : المناهج التعليمية : لكي يؤتي هذا العامل ثماره يجب أن يُوضع بصورة منهجية علمية مقننة، قائمة على حاجة الدولة، وإحتياجات سوق العمل، مع مراعاة لقدرات المتعلمين والفروق الفردية بينهم، متماشية مع التطورات العلمية المتسارعة، ومواكبة لها، وخالية من الحشو الكمي الذي لا جدوى منه.

رابعا : العوامل المؤثرة في العملية التعليمية : وهذا العنصر أو الركن يتمثل في الإمكانات المادية والبشرية التي تساعد في النهوض بالعملية التعليمية عامة.

لقد سعت الشبكة المدرسية الى أن يلتزم التعليم بشكله الجيد على الإهتمام بهذه العناصر. وهذا ما سنسعى الى إظهاره في هذه الدراسة.

أولاً: تعريف الشبكة المدرسية

- **هي شبكة تعلّم تتكون من مجموعة من المؤسسات التعليمية تتشارك نفس الإهتمامات، والقيم وأساليب التعليم، وتعمل بنشاط في ميدان، معتمدة نسق التشاور وإبداء الرأي وإتخاذ القرار والإلتزام به. هادفة الى تطوير طرق التعليم والمساهمة في أفضل النتائج. وأصبحت شبكة التعلّم القالب المعتمد في التعليم في كل مراحله، وتعتمد على تصميم تعليمي متقدم.**
- **الشبكة المدرسية هي نظام إتصال يعتمد على ربط أجهزة الكمبيوتر في بيئة مدرسية لتمكين الطلاب والمعلمين من تبادل المعلومات والموارد بسهولة .**

ثانياً: أهمية الشبكة المدرسية في تطوير المؤسسات التعليمية: تظهر أهمية الشبكة المدرسية في الآمور التالية:

1. تحسين الكفاءة الإدارية: من خلال:

أ- تبادل الخبرات الإدارية.

ب- تقديم حلول مبتكرة للتحديات المشتركة.

2. تطوير الأداء الأكاديمي: من خلال:

أ- تعزيز التعلّم التعاوني بين المعلمين والطلاب.

ب- تبادل الموارد التربوية.

3. دعم الإبتكار التربوي: من خلال:

أ- إدخال التكنولوجيا الحديثة في التعليم.

ب-تعزيز البحث التربوي المشترك.

ثالثاً: أهداف الشبكة المدرسية: تسعى الشبكة المدرسية الى تحقيق الأهداف التالية:

1- تعزيز التعاون بين المؤسسات التعليمية.

2- تطوير الأداء التعليمي والإداري.

3- تحسين جودة التعليم.

رابعاً: التحديات التي تواجه النظام التعليمي ضمن المؤسسات التعليمية؟ وكيف يمكن أن تساعد الشبكة المدرسية في مواجهتها؟).

يواجه النظام التعليمي تحديات كبيرة، من أبرزها:

1- عدم وجود سياسة وطنية عليا للتعليم.الأمر الذي يؤدي الى تفرّق الجهود، وهذا يسبب تداخل الأدوار والمسؤوليات بين الجهات المختلفة. وهنا يجب أن تكون وزارة التربية والتعليم مسؤولة عن السياسة التعليمية، وتحمل مسؤولية تنفيذها. لكن الأمر يتطلب مشاركة وطنية أوسع من خبراء وقادة من مختلف القطاعات.

2- تدني نوعية التعليم وضعف المتعلم والمعلم والمناهج. الدراسات تُظهر أن مستوى الطلبة العرب في العلوم والرياضيات منخفض عالميًا. فالمناهج الدراسية تركّز على

الحفظ، بعيدًا عن الفهم والتطبيق. والمعلمون في هذه الدول يفتقدون قدرات مقارنةً بنظرائهم في الدول المتقدمة.

3- الحاجة إلى إصلاح جذري للنظام التعليمي.

4- تحقيق أهداف التنمية المستدامة.

هذه التحديات تشكل عقبات أمام تطوير النظام التعليمي. وتتطلب معالجتها جهودًا وطنية وإصلاحات شاملة.

خامساً: خصائص الشبكة المدرسية ومميزاتها.

1- خصائص الشبكة المدرسية:

أ- الربط بين الأجهزة: التمكّن من ربط أجهزة الحاسوب والطابعات وأجهزة العرض وغيرها ضمن نطاق المدرسة.

ب- المشاركة في الموارد: توفّر إمكانية مشاركة الملفات، البرامج التعليمية، والطابعات بين الطلاب والمعلمين.

ت- إدارة مركزية: غالبًا ما تُدار الشبكة بواسطة خادم مركزي يتحكم في الوصول إلى البيانات والخدمات.

ث- الأمان والحماية: تتيح الشبكة إمكانية التحكم في الوصول للبيانات وحمايتها من التهديدات الخارجية.

ج- التواصل الداخلي: تدعم الشبكة قنوات تواصل فعّالة بين مختلف أطراف المدرسة من خلال البريد الإلكتروني أو التطبيقات الداخلية.

2- مميزات الشبكة المدرسية: تمتاز الشبكة المدرسية بالميّزات التالية:

أ- تحسين العملية التعليمية:

- **تسهيل الوصول إلى المصادر التعليمية الرقمية.**
- **دعم التعلّم التعاوني من خلال تطبيقات تبادل الملفات والمشروعات المشتركة.**

ب- رفع كفاءة الإدارة:

- **تسهيل تبادل البيانات الإدارية مثل الجداول الزمنية، تقارير الأداء، والنتائج الدراسية.**
- **تخفيف الضغط عن العاملين من خلال أتمتة المهام الروتينية.**

ت- التكلفة الفعالة:

- **تقليل الحاجة إلى موارد مادية (مثل الكتب الورقية) من خلال التحوّل الرقمي.**
- **إمكانية مشاركة الأجهزة والبرامج بين المستخدمين.**

ث- تعزيز مهارات الطلاب:

- **إعداد الطلاب لمستقبل يعتمد على التكنولوجيا من خلال تعويدهم على أدوات رقمية متعددة.**

ج- دعم الإبتكار والإبداع:

- **توفير بيئة تشجّع الطلاب على إستخدام أدوات التصميم، البرمجة، وتطوير المحتوى الرقمي...**

ح- التوسّع والإمكانية المستقبلية:

- **سهولة توسيع الشبكة وإضافة موارد أو أجهزة جديدة.**

سادساً: أمثلة على مراحل تطبيقات الشبكة المدرسية:

1- **إنشاء بوابات إلكترونية لتوفير المواد الدراسية.**

2- **إدارة الإمتحانات عبر الإنترنت.**

3- **إستخدام تقنيات التعلّم عن بُعد.**

سابعاً: الخلفية النظرية للشبكة المدرسية

أهم النظريات التربوية الداعمة لفكرة الشبكة المدرسية.

1- النظرية السلوكية: تعتمد على تأثّر وتفاعل الطالب مع البيئة والمحيط الخارجي، ويمكن استخدامها كعملية تعليم شاملة حيث أنه يمكن ملاحظة السلوك وقياسه، والفكرة الرئيسية وراء النظرية السلوكية هي أن التعلم ناتج عن تغيير في السلوك، وذلك بسبب التأثير بين المحفزات بالبيئة المحيطة وطريقة استجابة الفرد لها، إما

بالتعزيز أو التطبيق أو الإكتساب. والأداة المستخدمة في تعديل السلوك هي التعزيز الإيجابي (المكافأة)، أو السلبي (العقاب).

2- النظرية الإدراكية: تعتمد على العمليات العقلية والمستوى الإدراكي للمتعلّم، إذ أن المتعلم بمثابة مستقبِل للمعلومات من البيئة المحيطة، أو من التجارب، أو من قراءة الكتب، ويعمل على معالجة هذه المعلومات وتخزينها في الذاكرة، فعندما يدرك الطالب كيف يعمل عقله وتفكيره وكيفية تأثيره على تعلمه ستساعده على التعلّم بشكل أفضل.

3- النظرية البنائية: تقوم فكرة هذه النظرية على أن المتعلم لا يكتسب المعرفة، وإنما يبنيها من خلال التجارب والخبرات السابقة. وتعتبر هذه النظرية أن التعليم فردي لكل طالب لأنه يقوم بتفسير وتحليل المعلومة التي يتلقاها بناء على خبراته السابقة ويربطها مع المعلومة الجديدة.

4- النظرية الإنسانية: تركّز على الشخص ورغبته بتحقيق الذات، ويكون تحقيق الذات بناء على تسلسل هرمي للإحتياجات والرغبات لكل فرد، ويسعى للوصول إليها، فالبيئة التعليمية الفعّالة تساعد وتوفّر ظروفًا لتحقيق الإحتياجات العاطفية والنفسية والجسدية للمتعلم، وجعلها بيئة تعليمية آمنة.

5- النظرية التوصيلية: تقوم على تشكيل روابط بين المتعلمين وبين أدوارهم الحياتية، ووظائفهم ومواهبهم وأهدافهم كلها تؤثر على العملية التعليمية، ويمكن الإستفادة من هذه النظرية عن طريق عمل روابط بين المتعلم وما يثير إهتمامه. كما يمكن إستخدام التكنولوجيا والوسائط الرقمية لروابط أكثر فاعلية.

6- نظرية التعلّم التحويليّة: تعتبر من أفضل الطرق لتعليم كبار السن والشباب، وتركّز نظرية التعلّم التحويلي على فكرة أن المتعلمين يمكنهم تعديل تفكيرهم بناءً على معلومات جديدة، أسست هذه النظرية على يد "جاك ميزيرو" الذي اكتشفها بعد إجراء دراسات على النساء البالغات اللائي عدن إلى المدرسة، فوجدت دراساته أن البالغين

لا يطبقون فهمهم القديم على المواقف الجديدة، وأن إمتلاك منظور جديد ساعدهم على إكتساب فهم جديد للأشياء لما حولهم.

ثامناً: تطبيق الشبكة المدرسية: الفرص والتحديات

1. الفرص

أ- تعزيز الشراكة المجتمعية.

ب- توفير فرص تدريب للمعلمين.

ت- تقليل الفجوات بين المدارس.

2. التحديات

أ- نقص التمويل.

ب- ضعف البنية التحتية الرقمية.

ت- مقاومة التغيير من بعض الأطراف.

تاسعاً: نموذج الشبكة المدرسية لصيدا والجوار

1-مفهوم التشبيك

إن التشبيك هو إطار عمل يمنح فرص تعميم ثقافة الحوار القطاعي والانفتاح على الأفكار الجديدة والتواصل مع الآخرين. يعمل التشبيك على تبادل التجارب بشكل تلقائي، مما يسمح بالتنسيق التنموي لتشخيص المشكلات الممكنة والبحث عن حلول وآليات العمل لها لاحقًا. وهو من شأنه تعزيز قدرة المؤسسات بتوحيد جهودها للمشاركة في إعداد الاستراتيجيات التنموية. ربما من أهم التحديات أمام التشبيك أو بناء الشبكات وتفعيل الشراكات يأتي من محدودية القوانين التي تحظر أحيانًا أو لا تشجع أحيانًا أخرى على مثل هذه الأعمال، ثم تأتي الثقافة الاجتماعية السائدة ومدى تقبلها للعمل الجماعي وتقبلها للحوار، والاختلاف، والتفاوض والتنافس.

2-الشبكة المدرسية لصيدا والجوار

أنشأت مؤسسة الحريري الشبكة المدرسية لصيدا والجوار في 2001 لتعزيز الشراكة والتنسيق بين المدارس والمعاهد المهنية الرسمية منها والخاصة المجانية والتابعة لمنظمة الأونروا الفلسطينية في قضائي صيدا وجزين. وتضم 110 مدارس تمثل 55000 تلميذ/ة و5000 معلمة ومعلم.

وتهدف إلى إرساء العدالة التربوية وديمقراطية التعليم، دراسة المجالات والقضايا التربوية والتنموية من خلال تبادل الخبرات، تعزيز الجودة في المدارس لتصبح رائدة في مجالي التنمية والتطوير وتحقيق ديمقراطية التعليم، تعزيز التواصل والتعاون والتنسيق فيما بين المدارس وجمع طاقاتها لإنتاج أعمال مشتركة علمية ثقافية واجتماعية وفنية، تعزيز الحوار وتفعيل الشراكة بين العناصر المساهمة في العملية التربوية (الإدارة، المعلمين، التلاميذ، الأهل، المجتمع المحلي).

أ- نظرة عامة

- اتخاذ القرارات من الأسفل إلى الأعلى وعلى المستوى المحلي.
- استخدام أفضل للموارد النادرة.
- إحساس عام بالفعالية الجماعية والتحسين المشترك في التدريس والتعلم.
- الاستفسار المشترك والابتكار بين الشركاء ذوي التفكير المماثل.
- تخصيص البرامج.

ب- مجالات التدخل والدعم

تقدم الشبكة المدرسية لصيدا والجوار

- المواد الدراسية.
- أدوات التكنولوجيا.

- فرص التعلم المهني.

ت- مجالات الدعم

- التقييم التعليمي لجميع الطلاب.
- الدعم التكنولوجي للمعلمين والطلاب.
- التدريب المستمر على فرص التعليم العالي والتعليم الإضافي للمعلمين والطلاب.
- ربط الطلاب بالتخصصات وسوق العمل.
- التدريب على المهارات الأساسية.
- تجهيز المدارس بألواح الطاقة الشمسية.

ث- تعريف الشبكات

تمثل الشبكة مجموعة من المنظمات التي تعمل معًا لحل المشاكل أو القضايا ذات الاهتمام المشترك التي هي أكبر من أن تتعامل معها أي منظمة بمفردها. وتشير فكرة الشبكات المطبقة على المدارس، إلى أن المدارس التي تعمل معًا في جهد تعاوني ستكون أكثر فعالية في تعزيز القدرة التنظيمية وتحسين تعلم الطلاب من المدارس الفردية التي تعمل بمفردها. خلق جو من الانسجام والتلاقي بين مجتمعات المدارس بغض النظر عن المدرسة التي ينتمون إليها.

ج- رؤية الشبكة

العمل على تعزيز الجودة في المدارس لتصبح رائدة في مجالي التنمية والتطوير وتحقيق ديمقراطية التعليم على أساس أن الجميع معني ومهتم بالعملية التربوية.

ح-الجدول الزمني

- 2001 : ٦٨ مدرسة اتحاد مداري بلديات صيدا والزهراني.
- 2004 : ما يفوق 100 مدرسة رسمي، خاص، مهني، أونروا.

- 2021 : توسعت لشمل 55000 تلميذ وما يفوق 5000 أستاذ.

خ-أهم المبادئ

- الانفتاح والحوار المستمر والفعال.
- احترام خصوصيات كل مدرسة والتعامل مع جميع المدارس الأعضاء على صعيد واحد ومن دون تميز.

د-الأهداف الأساسية التي انبثقت عنها نشاطات الشبكة

- تعزيز التواصل والتعاون والتنسيق بين مدارس الشبكة.
- تفعيل الشراكة المحلية بين العناصر المساهمة في العملية التربوية (إدارة المدرسة، المعلمين، الأهل، التلاميذ، المجتمع المحلي(
- إجراء الدراسات والأبحاث التربوية في مدارس الشبكة لإنشاء مرصد معلومات للمساهمة الفعالة في المجتمع التربوي اللبناني وذلك بالتعاون مع المعاهد والجامعات.
- العمل على فعالية الشبكة للتأثير الإيجابي في القرار التربوي في لبنان.
- تجميع الطاقات بين المدارس لإنتاج أعمال مشتركة فنية علمية ثقافية، واجتماعية وتبادل الخبرات والموارد.
- تعزيز التواصل والحوار والتنسيق والتعاون مع المؤسسات المحلية والدولية عبر المؤتمرات والاجتماعات المحلية والدولية.
- تعزيز الجودة التعليمية للمدارس.
- تشخيص التحديات التربوية المشتركة.
- تعميم التجارب الناجحة وتبادل الخبرات.
-

ذ-أهم نشاطات الشبكة المدرسية لصيدا والجوار

- ما يزيد عن 400 نشاط.
- ملتقى تربوي وأيام تطوير مهني.
- احتفالات مشتركة في الأيام الوطنية والعالمية.
- مسابقات مهرجانات وحملات توعية.
- تخرج جماعي.
- اجتماعات تربوية وندوات متعددة.

ر-نحو شبكة مستدامة

- الخدمة العامة ذات الهدف السامي.
- التزام "تغيير السياق" على جميع المستويات.
- بناء القدرات بشكل أفقي.
- المساءلة الذكية وإرساء شبكة مراقبين عمودية.
- التعلم العميق.
- الالتزام المزدوج لتحقيق نتائج طويلة الأجل وقصيرة الأجل.
- التنشيط الدوري.
- القيادة الفعالة لتحقيق ذلك المفهوم.

الخاتمة

في ختام هذا البحث ، يمكننا القول أن الشبكة المدرسية تُعدُّ تطلعاً جديداً ومهماً يسهم بشكل فعّال في تطوير المؤسسات التعليمية، حيث تعمل على تعزيز التواصل بين مختلف الأطراف المعنية بالعملية التعليمية، من معلمين وإداريين وطلاب وأولياء أمور. كما تساهم في تحسين جودة التعليم من خلال توفير أدوات رقمية متقدمة تسهل إدارة الموارد التعليمية، وتنظيم البيانات بطريقة دقيقة وفعّالة.

إن تبنّي الشبكات المدرسية يمكّن المؤسسات التعليمية من مواكبة التطورات التكنولوجية ويعزّز الإبتكار في أساليب التدريس والإدارة. ولذا فإن الإستثمار في هذا المجال يشكّل خطوة حاسمة نحو بناء منظومة تعليمية تتسم بالكفاءة والجودة ، وقادرة على إعداد أجيال قادرة على مواجهة تحديات المستقبل بثقة وإقتدار.

بعد هذه المعطيات يمكن أن نطرح التوصيات التالية:

1-تعزيز البنية التحتية التقنية: ضرورة توفير بنية تحتية تكنولوجية داخل المؤسسات التعليمية ، بما يشمل أجهزة حاسوب حديثة ، شبكات إنترنت سريعة و آمنة، وبرامج تعليمية متطورة.

2-تدريب الكوادر التعليمية: تنظيم دورات تدريبية مستمرة للمعلمين والإداريين لتعريفهم بكيفية استخدام الشبكة المدرسية وأدواتها الرقمية بكفاءة، لتحقيق أقصى إستفادة منها.

3-إشراك الطلاب وأولياء الأمور: تعزيز الوعي لدى الطلاب وأولياء الأمور حول أهمية الشبكة المدرسية في تحسين العملية التعليمية وتشجيعهم على التفاعل الإيجابي معها.

4-تطوير المحتوى الرقمي: إنتاج محتوى تعليمي رقمي يواكب تطلعات الشبكة المدرسية ويعتمد على أساليب تعليمية مبتكرة تشجع التفكير النقدي والإبداعي لدى الطلاب.

5-تقييم مستمر للأداء: إنشاء نظام دوري لتقييم أداء الشبكة المدرسية، ومن خلال جمع الملاحظات من جميع الأطراف المعنية لضمان التطوير المستمر وتجاوز العقبات.

6-دعم الشراكات بين القطاعين الخاص والعام وتشجيع الشراكات مع شركات الأدوات التكنولوجية لتوفير الدعم الفني والتمويلي الذي يسهم في تحسين جودة الشبكات المدرسية وتوسيع إستخدامها.

7-تطبيق سياسات أمن المعلومات: وضع سياسات صارمة لحماية بيانات الطلاب والمعلمين ضمن الشبكة المدرسية، وضمان الخصوصية في جميع التعاملات الرقمية.

المراجع والمصادر

1-أبو بكر محمود الهوش، دراسات في نظم وشبكات المعلومات، عصمى للتوزيع والنشر طرابلس 1996

2-عوشار خديجة، واقع الرقمنة في المؤسسات التربوية، جامعة عبد الحميد باديس مستغانم الجزائر كلية العلوم الاجنماعية ماستر في علم اجتماع الإتصال 2019

3-محمد أديب رياض غنيمي، شبكات المعلومات (الحاضر والمستقبل)، مكتبة نور 2015

4-عبد اللطيف هاشم خيري، الشبكة العالمية للمعلومات وخدماتها للمكتبات ومؤسسات المعلومات 2016

5- شبكات التواصل الاجتماعي ودورها في العملية التعليمية المجلة العربية للنشر العلمي 2021

-6

د. حسين قديح

دروس من الحياة – الجزء الثاني

تعزف ألحاناً وسمفونيات صعبة ومعقدة؛ أنغامها هادئة أحياناً، ومتموجة بأعلى الدرجات في باقي أوقاتها. تطرب السامع، وتهديه إلى لوحات صمّمها نخبة من الرسامين العالميين. يُعجب بها طالبو الرحمة والصلاح، ويتعذب بسماعها فاقدو الطيبة وحبيبو المادة. يُصلى على نوتاتها، ويُنثر الدعاء عند خطوطها الموسيقية. نظمها العلي القدير، وأرسل معلمين جديرين لتلحينها وعزفها. نسمعها بتمعّن، ونستنبط الأفكار والمعاني والدروس.

إنها الحياة... معزوفات متعددة ومتنوعة... أما الدنيا فهي غيثار غالي الثمن؛ نلعب على أوتاره فيعطينا أنغاماً مختلفة، وإذا أحسنّا العزف، ستُولد لدينا موسيقى مميزة وأحداث رائعة. فمن يريد السعادة والفرح، عليه المثابرة والتضحية للوصول إلى التميز في التلحين والعزف كي يحصل على نوتات موسيقية تهيمن على الروح وتطرد الشر والأنانية من النفوس.

لذا، تغزّل بروحك عندما تتجمّل بالحكمة والأخلاق والإحترام والتقدير. ففي هذا الزمان لا أحد يهمه هذه الصفات، الجميع مشغول بالسخافات الدنيئة التي تدهور الأخلاق وتقضي على الإحترام والتقدير وتدمر أسس الحكمة. فلا تجارب متنوعة، ولا تعامل متعدد الأبعاد، ولا تعاون ومودة تقرّب القلوب وتعزز الإندماج بالمجتمع وتقي من شراسة القدر. وإبحث عن قيمتك في مكانها المناسب؛ فالذهب والألماس جواهر ثمينة، لكنها لا تلمع إذا وضعت في مغارة معتمة. كذلك أحسن إختيار وجودك في الحياة لإبراز جوهرك بغية الوصول إلى تقديرك الذي تستحق. سامر وغامر واجعل لك في الحياة قيمة، واستغل الدقائق والثواني في أعمال ترفع بها مراتبك في الدنيا وعتباتك في الآخرة، ودَع الإفتخار للأجيال القادمة. لذلك على الإنسان أن يكون في الحياة كريشة حبر، يكتب فيها جمال ألوانها وسحر طبيعتها وصفاء تقلباتها، لأنها تهدي إلى البقاء والأبدية في القلوب.

- **تنشئة القيم:**

نقوم بتعليم الطفل منذ نشأته مبادئ السلوك الإنساني والقواعد والمعايير التي يجب أن يمارسها ويتبعها في حياته، والتي نسميها التنشئة الإجتماعية. هذه التنشئة تضع المرء على سكة الوصول إلى القيم لإختيار حياة مثلى بظروف وأنظمة متعددة الجوانب. والقيم تتجزأ إلى قسمين أساسيين:

- القيم الأخلاقية: تتعلق بالفرد نفسه وترسم ميّزاته، كالأمانة والصدق والإيمان والكرم...
- القيم الإجتماعية: وتختص بجميع أفراد المجتمع وتبيّن أهدافه، كالعدالة والمساواة والعيش المشترك والتعاون..

قد تختلف الأنظمة في تحديد وتعدد القيم في المجتمعات؛ بحيث نشهد المجتمعات التي تدّعي الديمقراطية من أكثر الأنظمة تنوعاً فيها. فهي (أي التنشئة) تأتي عبر الأسرة أولاً ومن ثم مكان السكن والمدرسة ومكان العمل. ولا ننسى أن الأحزاب والأندية وشبكات التواصل الإجتماعي تؤثر في القيم والمبادئ الأساسية التي نشأ عليها الإنسان، بشكل سلبي في غالب الأحيان وإيجابي أحياناً أخرى.

ولا بد هنا من تشكيل أجهزة رسمية لمراقبة ومحاسبة ما يقوم به الفرد وما يقوم به المجتمع لتطبيق نمطي الثواب والعقاب بصورة فعّالة بغية تخفيف السلوك السلبي والمعيب في المجتمعات؛ لأن النفوس تميل إلى حب الذات. فالإنسان بطبعه يوصف بالطَمع والطموح، وهو يستخدم هاتين الصفتين في خدمة نفسه وشخصه، ونادراً ما تجد أحداً يستثمر في خدمة الآخر. فقد كثرت المصالح، وهذا ما يجعل المحبة والإلفة في أزمة.

- **ميزان الضمير:**

"ليست البطولة في هذا الزمان أن يحمل الإنسان سيفاً أو سلاحاً، ولكن البطولة الحقيقية أن يحمل ضميراً"؛

الضمير هو تقييم شخصية المرء ككل وليس جانباً واحداً من تلك الشخصية. لذلك فهو يتعلق بالأنا عند المرء. من هنا نستطيع إحقاق الحق من خلال ضمير بريء حي، يدافع عن الإنسانية والنفس ويريح القلب ويهدىء الروح... والضمير وليد مجتمع الإنسان وظروفه وبيئته، فيقوم المرء بتقييم نفسه في المجتمع الذي يعيش فيه، وبدوره يقوم محيطه بتقييم شخصيته من كل الجوانب. لذلك قال الإمام علي بن أبي طالب(ع): "إبحث عن نفسك في ضميرك، فإذا ارتاح الضمير، إرتفع المقام".

والميزان هو الأعمال والأقوال التي تفرق بين الحق والباطل، الصحيح والعاطل، الصدق والكذب، الكفر والإيمان، الحب والكراهية... إبحث عن هذا الميزان الأمين الرافض لجميع الأفكار والأعمال المخلّة بالشرف والوفاء والإيمان، واجعل أيامك ولياليك خالية من الذنوب واللاوعي، وطهّر نفسك وروحك بالفضائل والمبادئ الحسنة، وصفِ نواياك وأفكارك...

- **بين الحقد والطموح.. رسالة:**

"الأيادي التي تساعد أقدس من الشفاه التي تصلي"؛

بهذه المقولة نوّه الكاتب الأميركي روبرت غرين بالأيادي البيضاء التي تُمدّ للمحتاجين والمحرومين، ليس فقط بالمادة والمال، ولكن بتقديم المساندة والإعانة في أمر ما.

كلنا نصلي وندعو الله ولكن قليلون هم المساعدون والمساندون. فالله تعالى دعانا للوقوف جنباً إلى جنب في الحلوة والمرّة وعدم التفرقة والتحيّز.

ويقول الكاتب والمؤلف الأميركي ستيفين كوفي عن الحقد والطموح: "بدلاً من أن تبادر بالهجوم على الشخص الناجح، بادر في أن تصبح أكثر نجاحاً منه، ذلك هو الفرق بين الحقد والطموح".

لذا نجد بعض الأشخاص يعتمدون سياسة هجومية وفوقية مع الأشخاص الناجحين والمتمكّنين في أعمالهم، على أساس أنهم يفهمون بشكل أفضل. وهذه السياسة تقود إلى نشوء ظاهرة خطيرة بين المجتمعات وهي ظاهرة الحقد.

هنا نقول: إن الحقد لا يهدينا إلى أي نتيجة إيجابية، ولا إلى حياة عزيزة وكريمة، إنما يوصلنا في نهاية المطاف إلى حياة معلّقة بالغرائز والشهوات وبعيدة كل البعد عن الإيمان والتقوى.

إن النجاحات يجب أن تُستثمر، وعلى كل إنسان التعلّم منها والعمل بطموح إلى مبادرة نشوء سياسة المنافسة، ليصبح موازياً أو ناجحاً بدرجات عالية تفوق قدرة منافسته...

- **التنمية الذاتية أو ما نسميه تطوير الذات:**

إن الطريق الأمثل للنجاح هو إعتماد خطط مرتكزة على إكتشاف قدرات ومهارات الفرد والعمل على إكسابها معارف جديدة من خلال عملية تطوير ذاتي لإكتساب معلومات تساعد في تطوير المسارين العلمي والعملي له. وهذا ما يحسّن إستخدام تقنيات وطرق حديثة لرفع مستوى الرقي عنده.

من هنا يستطيع تحقيق الأهداف التي وجد من أجلها؛ إن كانت في المجالات العلمية أو العملية أو على مستويات شخصية. هذه الأهداف تعمل على تمكين مواطن القوة وتحفيزها إلى الطريق الصحيح والمؤكد في تطوير الذات.

وفي هذا المجال قال المؤرخ الإنكليزي روبرت أشتون: "إن التنمية الذاتية والتحسّن الذاتي هما أقرب إلى صعود السلم، حيث تركز على قمة السلم، ولكنك تقر بأن كل حلقة من حلقات السلم المصنوع من الحبال لا بد من الإمساك بها بشدة على طول المسار".

- **أرواح راقية:**

يبدأ الفرد في بناء المجتمع وتعزيز السلوكيات والتعامل من خلال إنشاء وتطوير شخصية إنسانية خاصة به. وتلعب إستدامة التواصل المتبادل دوراً هاماً في تعزيز عملية التفاهم بين الأفراد، وتساعد في حل المشاكل المختلفة في الحياة والممارسات اليومية.

كما أن الإلتزام بالقيم والمبادئ والتقاليد التي يربى عليها الإنسان، يخلق أساساً صلباً في الإحترام والتقدير، وهذا ما يقوّي الروابط الإجتماعية والعائلية، ويمكّن حرية التعبير من خلال مراعاة المشاعر والكرامات والمحافظة على الآداب والأخلاق وصون العهود، وقد يرسم لنا الطريق للوصول إلى حضارات ومجتمعات إنسانية راقية متطورة تحمل قيماً حميدة وعادات نزيهة مبنية على التوازن والإحترام والإهتمام والمساندة...

- **إرضاء النفس أولاً:**

تمنح الثقة بالنفس الإدراك لنقاط الضعف وتقييم للقدرات التي تعطي الدفع القوي للوصول إلى الهدف. فتطغى الأفكار الإيجابية على السلبية منها، ويتم تحديد نقاط الضعف ومواطن القوة لمواجهة الحواجز والمخاوف، فتتعزز الإنجازات التي ترضي النفس وتبعد التوترات. وهذا ما يؤدي إلى التحلي بالصدق والتواضع في آن معاً.

فالتواضع والقناعة كنزان يفتحان آفاق الرحمة والإيمان أمام ثلّة من الأدعية والتسبيحات ليتمتّع المرء بحياة كريمة وروح بسيطة شاكرة حامدة لله تعالى.

- **شتلة التبغ.. رمز الصمود:**

يثبت الإنسان جدارته في مواجهة الحياة ومصاعبها، ويرتب الأزمات والصدمات على حسب ما يراها مناسبة لحجمها وتحملها، ويواجهها بأقوى ما لديه من أسلحة إستراتيجية تقضي على الضعف وقلة الحيلة. وتتحمل المجتمعات المحن والأخطار، وتتكيف بطريقة فعالة للتحدي والمعارضة، وللهجوم على القوى الكامنة التي تدمر الهيكلية الأساسية والبنية الوظيفية والسياسة العقائدية للشعوب والدول.

وبالرغم من النتائج والعوائق، يأتي مفهوم إيجابي يعمل كمفتاح لخزانة حوائج تتدرج تحت مسماها كفاءات ذاتية وإدارات مرنة ومقاييس نفسية تحقق الإنجازات وتبني بالتفاؤل جدران دعم تحمي وتضغط، تصون الأوطان، تحارب الظروف وتدعم الصعاب بسلوكيات صلبة ومواقف عصبية وتركيز وقائي فولاذي...

هي شتلة التبغ التي تقف كالمتراس في وجه الغطرسة والقمع والقتل المتعمّد...

- **نظام بالإتفاق:**

إشتهر عدد من فلاسفة الإجتماع بنظرية العقد الإجتماعي في تنظيم المجتمعات وهداية الإنسان إلى الحقوق الطبيعية والمدنية. فقد رأوا أن مفهوم الدولة والأهداف في نشأتها وتوفير الموارد والبنية التحتية والخدمات الإجتماعية، مسألة قابلة للحل بالتراضي، ويمكن للحالة الطبيعية للأفراد الذين يعيشون على الفطرة أن تتعايش وتعمل على خلق نظام من خلال إتفاق ضمني مع الدولة لوضع قوانين وتشريعات تقلل من النزاعات والمشكلات التي تواجهها، أو توقفها وتفرض حماية ملزمة. فبمفهوم "توماس هوبز" (١٦٥١م)، الذي يتفق معه "إيمانويل كانت" (١٧٩٧م)، حول الحالة الطبيعية للإنسان بأنه مطبوع على حب الذات والأنانية، وهو ذو طبع شرير ومتوحش، يميل دائماً نحو مصلحته الشخصية، وهو غير مستعد للتنازل عن حريته إلا من أجل منفعته؛ فيقوم بعقد إتفاق واعٍ ، كما يصفه "جان جاك روسو" (١٧٦٢م)، بالتراضي بين الأفراد بعضها ببعض أو بتفويض السلطة للوصول إلى إلتزامات وترتيبات بين الطرفين بغية الحصول على مستقبل جيد للأجيال القادمة...

- **الخراب المميت:**

يؤثر الإنسان سلباً على البيئة التي يعيش فيها، فهو إبن بيئته. كما وتعتبر سلوكياته وأساليبه في التعامل مع الطبيعة مرآة لأخلاقه وإيمانه بالحياة وقدرته في الحفاظ على إستدامة التنمية الطبيعية. فقد

يؤدي إستنزاف وإستهلاك الطبيعة الذي يتسبب به الإنفجار السكاني في العالم، إلى تلوث الهواء والمياه والبحار وإزالة الغابات، مما يضر بجودة العيش على كوكب الأرض...

لذا علينا بالتعاون وتبادل الرقابة والمعلومات بين الشعوب والدول من أجل الحد من مخاطر هذه الآفة لنرقى بعالم بعيد عن التلوث والأمراض...

- **العلم والمعرفة دليلا التنمية:**

على الإنسان أن يكون على معرفة ودراية في كافة الأمور التي تحثّ لحياة بعيدة عن الفوضى والإستبداد والفساد والإجرام والتطرف. فالجهل يتسبب بالمآسي في حالات متعددة، وينذر بكوارث تصيب المجتمعات البشرية، وسوف يؤدي إلى زلزال إذا ما إنخرط معه، وسيقود مسيره مع الثراء إلى فساد وقلة هيبة، ومع السلطة إلى إقطاعية، ومع الدين إلى إرهاب، ومع الحرية إلى تخبط وفوضى. وبالعلم نستطيع تحقيق السعادة والإستقامة والقناعة والعدل والإبداع.

وقد أكد روبرت موغابي (ثاني رئيس لزمبابوي الذي إستقال بعد الإنقلاب العسكري عليه عام ٢٠١٧) أنه: "لا يمكننا أن نقنع الجيل الجديد بأن التعليم هو مفتاح النجاح، طالما نحن محاطون بخريجين فقراء ولصوص أثرياء". فالنجاح لا يأتي إلاّ من خلال العلم والمعرفة، وهو مرتبط بتوريث الأجيال الحس بالمسؤولية لما نتخبّط به في مخاض الحياة. هنا يكمن دور التنمية بكافة فروعها لإحداث تغيير وتطور في تحقيق ما هو خير للبشرية.

- **تنمية بشرية للتحقيق:**

يقول الناشط الكويتي المتخصص في التنمية البشرية الدكتور صلاح الراشد أن هناك: أمنية، رغبة، ونيّة؛ إن إحتمالية عدم تحقيق الأمنية أكبر من تحقيقها، فيما تتساوى في الرغبة إحتمالية التحقيق وعدم التحقيق. أما النيّة، فهي العزيمة للتحقيق، يغلب فيها الظن على تحقيقها.

ليس كل ما يتمناه المرء قابل للتحقيق، فالإنسان يطمح في تحقيق كل ما يمر في باله من أمنيات وأحلام إيجابية أو سلبية له ولجميع المقربين إليه والبعيدين عن آرائه. هنا تأتي الرغبة، فقد تكون رغبة بريئة أو رغبة سيئة. وهذا يتحدد بأخلاقيات وتعليمات المرء وتربيته. لذلك هدفنا المشترك هو العزيمة التي تأتي بنيّة الخير والعمل الجاد، ولا داعي للظن بالسوء.

- **صلابة التقدير:**

تختلف إدارة الأفراد والجماعات في الوصول إلى أهداف مشتركة من أجل تأمين المصالح البشرية في المجالات الإقتصادية والإجتماعية والسياسية والعسكرية الدفاعية والإنمائية للدول. فالتعبئة بشكل عام تعني القيام بالمجهود الأقصى من الدراسات وجمع المعلومات الضرورية من أجل التخطيط والتوعية والتثقيف الإجتماعي أولاً، ومن ثم البدء بالتقنيات والمهارات لنشر الوعي، وإدارة عملية لامركزية للعمل والسعي إلى تغيير مترابط ومتكامل في تحقيق أهداف مشتركة وحاجات مستدامة وقوانين وقدرات تفرض نفسها على القوى المسيطرة.

إن مواجهة ومحاربة الإمبريالية والأفكار الإستعمارية للعالم لا يتم إلا من خلال التعبئة المتأصلة في جذور التاريخ للدفاع عن الوطن وتطبيق التنظيم والتجنيد للقوى المسلحة وفرض الوجود والهيبة في السياقات المختلفة.

- **سياق في الثراء والغنى:**

تتوجه الإهتمامات لدى الأفراد إلى بناء مبادئ وأسس وتعليمات من أجل مواجهة المشكلات والبحث عن حلول للعقبات؛ حيث يلجأ الفرد إلى عمليات وطرق وآليات تحدد التصورات والمعلومات الأساسية، بعيدة عن التجسيد التجريدي والحالات الإنفعالية والخيالية المحتملة والصيغ المعقدة والقوانين التي تستلزم إدراكاً كثيراً ومعرفة عالية. إن تجرد الأفكار وتبلور المفاهيم تدفع بالمعرفة إلى انتقاء واشتقاق خصائص أساسية للأدوات والأطر النظرية التي تنتقل من التصورات الذهنية إلى نظم عالمية. فالجوهر هنا يستهدف الواقع وتفسيره المعني من وجهة نظر معينة، ويبني تفسيراً واضحاً، واقعياً وانتقائياً، ويهدف إلى التنمية الإدراكية والوعي في الحصول على نتائج تحسّن المفاهيم القديمة، وترقى بالفكر إلى معرفة متطورة عالية الجودة.

- **عصي الدمع:**

يعتبر دمع العين من الركائز الأساسية لبقاء الحيوية والجمال في العين. وهو إن جفّ، ضرب الخراب في صميم الهندسات الإلهية لها. أحياناً تتساقط دموع العين كشلال يتدفق من نبع فجّره الخالق تعالى لإراحة النفس البشرية. وتستطيع بعض الأشخاص أن توقف أو تحبس انهمار هذه الدموع وصقل عنفوان الصبر إلى أعلى درجاته ومراتبه... فقد ربط الشاعر أبو فراس الحمداني في قصيدته الشهيرة بين

الدمع والصبر، حتى ولو كان استنزافها لوعةً أو علّةً أو عذراً أو خوفاً أو وجعاً، فقال: "أراك عصيّ الدمع شيمتك الصبر..."

إن الله تعالى لخالق عظيم... جعل للصبر حدوداً، وللوجع سدوداً، وللآلام أعذاراً، وللفقر كرماً، وللغنى ثواباً، وللموت ساعة...

- **"سلوني قبل أن تفقدوني":**

كبار السن هم أمانة الله تعالى عندنا، ونحن بحاجة إليهم قبل حاجتهم إلينا. فهم يحتاجوننا بعد كبر سنهم وعجز جسدهم من تلبية حاجاتهم ومتطلباتهم. وبمقلب آخر نحن نحتاج إليهم في عطر ذكرياتهم ونور أفكارهم وحسن سيرهم وروعة أعمالهم وإبداعاتهم وطيب خلقهم وصفاء خبراتهم...

رجائي منكم أن تحفظوا عهد أنبيائنا وأوليائنا وأجدادنا، وتسألوهم في الميادين كافة لأنهم هم الخبراء حتى لو لم يصلوا إلى درجات عليا من العلم... فالحياة هي المعلم الأول والخبرات فيها يجب أن تورث من جيل إلى جيل لينعم أولادنا بحياة أفضل...

- **سعادة الألم:**

تمر الأيام، ونحن لا نرى طيفها إلا بمرورها، فتمضي وكأنها أسراب طيور عانت الأمرين من قساوة شتاء وألم فراق وتكالب أشرار. إنها لأحداث قلبت مشاعرنا إلى أحجار وصخور، وزعزعت كيان عقولنا لتستقر عند براعة في الإختراع، وصدارة في التعاطي مع العدو والصديق، وكمال نستمده من روح أوصلها الله تعالى إلينا بواسطة ملائكة السماء وهامات بيضاء ناصعة.

- **البرمجة الزوجية في حياة أفضل:**

تعتمد ركيزة الحياة الزوجية على أربع قواعد رئيسية تشكل الحجر الأساس لجهة الراحة والصدق والمتانة في العلاقة، ولكلٍ من هذه القواعد وظيفتها التي تنفرد في تثبيت جذورها وتقوية الأسس بين الطرفين. والقواعد هي: الإحترام – التقدير – الثقة – التعاون.

فعندما تنعدم أية وظيفة من وظائف هذه القواعد، يختل التوازن بين الزوجين، حيث تعمد عوامل عدة بالمثابرة للمحافظة على القواعد الأخرى وتدعيمها دون المس بأسسها وروابطها. كما وتعمل بعض العوامل الخارجية بمحاولة ترميم الخلل، ولكن دون جدوى؛ فقد ضرب الإهتراء في الجذور، وتآكلت

ثوابتها. وهذا قد يؤدي إلى إنتقال العدوى بشكل تلقائي وغير مبرمج من قاعدة لأخرى، كون الإرتباط وثيق فيما بين هذه القواعد الأربع.

- **دروب تبعث الأمل:**

تمضي أيامنا ولا نشعر، وتتهادى نسمات الحياة بدبدبات بطيئة، بلغة لم نعد نفهمها؛ جنين يصارع من أجل بصيرة نور، طفل يجعل من الأوراق صاروخاً أو سفينة، يافع يجهل من أين تأتي بركات الحياة، وشاب يتعلعل ويتخبّط ليؤمن مستقبل مشرّف لعائلته وأولاده.

وما أن يشرف المرء على الخمسين، حتى يبدأ بإنتقاد كل ما سار به من خطوات، ويفكر بالأفضل، ولكن... فات الأوان وأصبح التفكير ممل، والعمل صعب، وأجمل لحظات الصبا والشباب إنقضت بالبحث عن مسيرة تقلب صفحات الأمل.

- **كن مستعداً قبل فوات الأوان:**

عبارة يجهلها المرء في حياته، ولا يعطيها الإهتمام اللازم، لكنها عبارة في غاية الأهمية، وضرورة في جميع الأمور؛ إن مع العائلة أو الأصدقاء أو المسؤولين في العمل...

كثير منا لا يهتم بشؤون إدارة أمر ما في حياته اليومية، وهذا ما يراكم كمّاً هائلاً من المسؤوليات تتكدّس وتصبح همّاً يصعب الوصول به إلى حل. فبمحاولة سهلة وبسيطة، يمكن التخفيف من خطورة المشكلة والتعامل معها بصدق وصراحة وطيب خاطر، للوصول إلى معادلة تشكل البر الآمن وخط الدفاع الأول. وهذه المعادلة هي: "هوّن عليك الأمور، تصل إلى حلٍ مرضٍ".

- **حُسن الخلق:**

نتحدث دائماً عن الأخلاق والدين، ولكن قليل من يعي المعنى الحقيقي للأخلاق، وكثيرون يجهلون العلاقة المتينة بين مفهوم الأخلاق وبين الدين. الدين بحد ذاته هو مكارم الأخلاق جميعها. والأخلاق إن نقصت من المرء، سال الدين كالماء في مجارير الطرقات.

قال رسول الله(ص): "إنما جئتُ لأتمم مكارم الأخلاق"، ولم يقل أنه أتى للعالمين ليتمم الدين الإسلامي، فالمعادلة التي أطلقها الخوارزمي، والتي تعني أن الأخلاق تمثل رقم واحد، والصفر إن كان من جهة اليسار أم من جهة اليمين، ويمثل جميع مغريات الحياة وجمالها، يبقى صفراً وتبقى الأخلاق رقم واحد.

الأخلاق هي ذلك الوعاء الذي يعيش معنا طوال حياتنا، ويدوم حتى بعد مماتنا. نملؤه منذ الولادة، ويلازمنا في جميع المراحل، ليحط بنا عند أولادنا وأحفادنا... فالأخلاق الطيبة خير وبركة تحيي الأنام وهم في القبور.

دين بلا أخلاق ليس بدين؛ إنه وقود عالي الجودة لنار أوقدها الله تعالى للمنافقين. لذا صفّوا النوايا وكونوا الحارس الوقور على أخلاقكم، كي لا تلوك بكم أفواه المغرضين والمفسدين، وتعلّقون على حبل شديد الحرارة يحرق جلدكم ويسلخه.. فلا ينفع في الحياة حدوث أي خلل في الحماية والدفاع.

د. غدير خليل حوماني

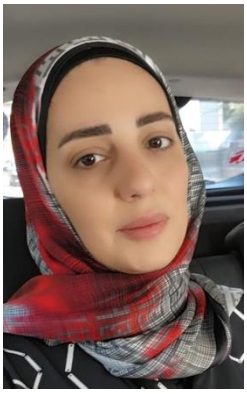

تناقل ونقل الثقافة

يمثّل التراث الثقافي المعرفي ذاكرة الشعوب، ويُميَّز فيه بين نوعين مادي وغير مادي ، وما يهمنا هنا التراث المادي الذي تدخل فيه المعارف والمهارات والممارسات والخبرات وأشكال التعبير، فضلاً عن المنقولات الثقافية، والأماكن المتصلة بها ووسائل نقلها... وهذا التراث المتمثل بالثقافة التي تشمل كل ما صنعه الإنسان خلال تاريخه الطويل، وهي تعبير أصيل عن الخصوصية التاريخية لكل مجموعة بشرية تُحاكي اسلوب حياتها، وتتجلّى في كل ما يرثه الفرد عن محيطه الإجتماعي بعدة وسائل ومنها: التنشئة والتعليم الاجتماعيين، والتناقل أو المثاقفة بين الأجيال داخل نفس المجتمع، الى جانب ما يتم نقله أو تبادله مع ثقافات أخرى مختلفة.

هذا التراث المعرفي الذي يعني بشكل عام ما تركته الأجيال السابقة للأجيال اللاحقة، في مختلف المجالات الفكرية والتاريخية والأدبية وكل ميادين المعرفة، لأن التنوّع الثقافي هو التراث المشترك للإنسانية ، وينبغي الإعتراف به والتأكيد عليه لصالح الأجيال الحالية والقادمة، وبالشكل الذي يعكس طبيعة حياة المجتمع، وسلوك أفراده، ومستوى وطبيعة مداركه ومعارفه ،

تناقلته الأجيال وتعيد إنتاجه إستجابة لبيئتها، يزوّد إحساس الأجيال بهويتها وإستمراريتها ويغذّي فيها إحترام التنوّع الثقافي والإبداع البشري...

من هنا جاءت مجلة معرفة وعطاء التي تصدرها هيئة تكريم العطاء المميّز لتسعى الى حماية وحفظ الثقافة المعرفية، ونقلها الى الأجيال، لتدعها تعيش روح الماضي النابض وإستمرارية الإبداع الجديد، من خلال التنوّع الثقافي المتراكم عبر التاريخ من إبتكارات وإكتشافات وتطورات معرفية، ساهمت في تكوين الحضارة التي وصلت اليها المجتمعات.